أجاثا كريستي

لغز الحذاء

دار النجمة للنشر والتوزيع

لُغْز الحِذاء

أجاثا كريستي

لُغْز الحِذاء

دار النجمة للنشر والتوزيع

جميع حقوق هذه الطبعة محفوظة للناشر:
دار النجمة للنشر والتوزيع

يُمنَع تصوير أو إعادة إنتاج هذا الكتاب
ورقياً أو إلكترونياً إلا بإذن خطي مسبَق من الناشر

للاستفسار والطلبات التجارية
AgathaBooks@sardira.com

الفصل الأول

لم يكن مزاج الدكتور مورلي على ما يُرام في أثناء تناوله طعام الإفطار، فاشتكى من اللحم وقال إن القهوة تشبه الطين السائل، كما لاحظ أن حبّات البازلاء لا طعم لها. وكان السيد مورلي رجلاً نحيلاً له فكّ حاد وذقن عريض كذقن المشاغبين، وكانت أخته التي تدير له بيته امرأة بدينة تشبه الجنديّ. نظرت الآنسة مورلي إلى أخيها وقالت له: هل برد ماء الحمام مرّة ثانية؟

فأجابها السيد مورلي بنبرة فيها غضب قائلاً: لا، لم يبرد.

ثم نظر إلى الصحيفة وقال: إن الحكومة تنتقل من مرحلة العجز إلى مرحلة الضعف الإيجابي.

فقالت أخته بصوت غليظ منخفض: هذا أمر مخجل.

وكانت الآنسة مورلي كفتاة عادية تنظر إلى أية حكومة تتولى السلطة على أنها حكومة نافعة. ثم طلبت من أخيها أن يشرح لها لماذا تبدو سياسة الحكومة الحالية ناقصة بلهاء ضعيفة تدعو إلى الانتحار، وبعد أن شرح السيد مورلي لها الأسباب بالتفصيل احتسى قدحاً آخر من القهوة الكريهة ثم بدأ يتحدّث عن سبب حزنه الحقيقي فقال: كل البنات يشبه بعضهن بعضاً، كلهن لا يمكن أن يثق الواحد فيهن، أنانيات لا يمكن الاعتماد عليهن بأية حال

من الأحوال.

فتساءلت أخته قائلة: أتقصد غلاديس؟

- أظن أنها تلقّت الرسالة. لقد أُصيبت خالتها بنوبة مفاجئة وكان عليها أن تذهب إلى منطقة سومرست.

فقالت له أخته: بالطبع هذا أمر متعب يا عزيزي، ولكنها لم تخطئ.

فهزّ السيد مورلي رأسه بحزن وقال: كيف أعرف أن خالتها أُصيبت بنوبة؟ ولماذا لا يكون الأمر كله مرتّباً بين الفتاة وذلك الشاب القذر الذي ترافقه؟ ربما كانا متّفقَين على الخروج إلى نزهة اليوم.

- لا يا عزيزي، لا أعتقد أن غلاديس يمكن أن تفعل هذا، وأنت تعرف أنها صاحبة ضمير حيّ دائماً.

- أجل، ولكن هذا كان قبل أن تتعرّف على ذلك الشاب الفاسد. لقد تغيّرت تماماً في الفترة الأخيرة فأصبحت شاردة الذهن مضطربة عصبية.

فتأوّهت أخته وقالت: يجب أن تعرف أن الفتيات يقعن في الحب يا هنري وأن الحب لا يمكن تجنّبه و...

فقاطعها السيد مورلي قائلاً: كان من الواجب أن لا تجعل الحب يؤثّر على كفاءتها كسكرتيرة لي. أنا مشغول إلى أقصى حدّ هذا اليوم بالذات.

- أنا متأكدة من أن العمل اليوم سوف يضايقك للغاية يا هنري. بالمناسبة، ما أخبار الخادم الجديد الذي أحضرته؟

فأجابها أخوها بحزن قائلاً: إنه أسوء ولد رأيته في حياتي؛ فهو لا يستطيع أن يقرأ اسماً صحيحاً، كما أن طباعه سيئة، وإذا لم يتغيّر فسأطرده. أنا لا أعرف ما فائدة التعليم عندنا هذه الأيام.

ثم نظر إلى ساعته وقال: إن الوقت يمرّ بسرعة، وأنا مشغول اليوم. سوف تأتي ساينسبري سيل التي تشكو من آلام حادة في أسنانها، وقد اقترحت عليها أن تقابل الدكتور ريلي ولكنها لم تستمع لي.

فقالت جورجينا لأخيها بإخلاص: إنها على حق.

- ولكن الدكتور ريلي بارع في عمله، كما أنه دبلوماسي من الدرجة الأولى ويعمل بطريقة حديثة.

- إن يده تهتزّ، وأعتقد أنه يشرب شيئاً.

فضحك أخوها وعاد إليه مزاجه المرح وقال: سوف أعود في الواحدة والنصف لأتناول شطيرة كالمعتاد.

* * *

كان السيد أمبريوتيز ينظّف أسنانه في فندق سافوي وهو يبتسم إلى نفسه؛ فقد كان كل شيء يسير على ما يرام. لقد كان حَسن الحظ، وقد تذكّر كلماته الرقيقة التي وجّهها إلى مجموعة النساء المغفّلات وكيف سار كل شيء كما يجب. لقد كان رجلاً طيباً كريماً دائماً، وسوف يصبح أكثر كرماً في المستقبل. ثم طافت في مخيلته صور جميلة، فتذكّر ديمتري الصغير وكونستانتبولوس الذي يجاهد من أجل لقمة العيش في مطعمه الصغير، ثم قال في نفسه: تُرى ماذا يجري لهما الآن؟

ووخزته الخلّة التي ينظف بها أسنانه فطرف السيد أمبريوتيز

بعينه من الألم، ثم اختفت أحلام المستقبل الوردية وحلّت محلّها مخاوف الوقت الحاضر، وبدأ يحرّك لسانه في فمه ليكتشف مواضع الألم في أسنانه، ثم أخرج مفكّرته وقرأ فيها ما يلي: «الساعة الثانية عشرة، المنزل رقم ثمانية وخمسين بشارع الملكة شارلوت».

وحاول أن يستعيد مزاجه المرح مرّة ثانية ولكن دون جدوى، لقد انطبق الأفق كله على هذه الكلمات الست: الساعة الثانية عشرة، شارع الملكة شارلوت.

* * *

انتهى الإفطار في فندق غلنغوري بمنطقة جنوب كنغستون، وكانت الآنسة ساينسبري سيل تجلس في الاستراحة وتتحدّث مع السيدة بوليفو، وكانتا تشغلان منضدتين متجاورتين في حجرة الطعام، وقد أصبحتا صديقتين بعد يوم واحد من وصول الآنسة ساينسبري سيل منذ أسبوع مضى. قالت الآنسة ساينسبري: أنت تعرفين أن الألم قد توقّف يا عزيزتي، فلا يوجد ألم الآن، ويمكنني أن...

فقاطعتها السيدة بوليفو قائلة: لا تكوني حمقاء يا عزيزتي، اذهبي إلى طبيب الأسنان وتخلّصي من ذلك الألم نهائياً.

فقالت ساينسبري بحزن: ولكن الضرس لا يؤلمني الآن حقاً.

- هذا كلام فارغ. لقد قلت لي إنك لم تنامي ليلة أمس، وهذا يدعوك إلى أن تذهبي إلى الدكتور. نحن جميعاً نفضّل أن ينتهي الألم دون أن نذهب، ولكن هذا جبن. يجب أن يعزم الواحد منا أمره ويخلع الضرس.

فهمست الآنسة ساينسبري بصوت منخفض قائلة لنفسها: نعم، ولكن الضرس ليس ضرسك.

ثم قالت بعد ذلك بصوت مسموع: كلامك صحيح، كما أن الدكتور مورلي رجل حريص ولا يؤذي أحداً على الإطلاق.

* * *

انتهي اجتماع مجلس المديرين، وقد مرّ الوقت خلال الاجتماع بسرعة وكان التقرير جيداً ولم يوجد شيء شاذ، أما السيد صامويل روزرشتين الحسّاس فقد لاحظ أنه يوجد شيء ما في تصرّفات رئيس مجلس المديرين، فقد كانت توجد خشونة في صوته وكان كلامه مختصراً على غير العادة. هل بينهما شيء يدعو إلى القلق وهو يخفيه عن الناس؟ ربما، ولكن لا يمكن أن يحدث شيء يدعو إلى القلق بين روزرشتين وأليستير بلنت؛ فقد كان بلنت رجلاً بريطانياً عادياً لا يتأثّر بانفعالاته.

لم يكن يوجد شيء سوى كبد السيد روزرشتين الذي يؤلمه بين آونة وأخرى، ولكنه لم يسمع أن أليستير كان يشكو من الكبد، فقد كانت صحّة أليستير قوية مثل عقله وسيطرته على المال. لقد كان قوي الصحة ولكنه كان يشعر بوجود شيء ما، فقد تحرّكت ذراع رئيس مجلس الإدارة مرّة أو مرتين ناحية وجهه ثم وضع يده تحت ذقنه، ولم تكن تلك هي جلسته المعتادة، كما أنه قد بدا مشتت الذهن.

خرجوا جميعاً من حجرة الاجتماعات وهبطوا الدرَج فقال روزرشتين: هل تريد أن أوصلك؟

فابتسم أليستير بلنت وهزّ رأسه وقال: سيارتي تنتظرني.

ثم نظر إلى ساعته وقال: أنا لن أعود إلى المدينة لأن لدي موعداً مع طبيب الأسنان.

عندئذ انكشف اللغز، إذن فقد كانت أسنانه تؤلمه.

* * *

نزل هيركيول بوارو من سيارة الأجرة ودفع الأجر إلى السائق، ثم ضغط جرس باب المنزل رقم ثمانية وخمسين بشارع الملكة شارلوت، وبعد برهة فتح الباب غلام ذو وجه منقّط وشعر أحمر ويبدو عليه الاهتمام. قال هيركيول بوارو: أريد السيد مورلي.

وكان يأمل أن يكون السيد مورلي متغيّباً أو مريضاً أو لا يريد أن يستقبل المرضي في ذلك اليوم، ولكن كل هذه الأماني تحطّمت حينما تراجع الغلام إلى الخلف ليدخل بوارو، ثم أغلق الباب خلفه وكأنه قد دخل إلى مصيره المحتوم. ثم سأله الغلام عن اسمه وفتح باباً على يمين الصالة فأدخله إلى حجرة استقبال المرضى، وكانت الحجرة مؤثثة بطريقة حسنة ولكنها بالنسبة إلى بوارو كانت مُقبضة للغاية، وكان على المنضدة مجموعة من الجرائد والمجلاّت الموضوعة بعناية فائقة، والطاولة فوقها شمعدان وطبق كبير، أما الستائر فكانت مثبّتة بقرصين من البرونز وبجوارها زهريتان برونزيتان، وفوق أحد الكراسي كان يجلس شاب له سمات العسكريين لونه أصفر وشاربه غير منسّق.

نظر الشاب إلى بوارو وكأنه ينظر إلى حشرة ضارّة، فنظر إليه بوارو باحتقار وقال لنفسه: في الحقيقة يوجد بريطانيون عديمو الذوق.

وبعد نظرة طويلة إلى بوارو انتزع الشاب العسكري صحيفة

التايمز وأدار كرسيه حتى لا يراه وبدأ يقرأ في الصحيفة، ثم جاء الغلام فنادى على العقيد إميركومبي فذهب معه، وفي ذلك الوقت فُتح الباب ودخل شاب في الثلاثين من عمره، وبينما كان الشاب يقف بجوار المنضدة وينقر على أغلفة المجلاّت نظر إليه بوارو نظرة جانبية. كان شاباً تبدو عليه سمات الخطورة والشغب، ولكن بوارو استبعد أن يكون الشاب قاتلاً، وإن كانت تبدو عليه سمات القتلة أكثر من القتلة الحقيقيين.

ثم نادى الغلام على السيد بوارو وقاده إلى ركن به مصعد حملهما إلى الطابق الثاني، ثم سار به الغلام إلى صالة وفتح باباً يؤدّي إلى حجرة انتظار، ثم طرق باباً وفتحه دون أن ينتظر إجابة وتراجع إلى الخلف كي يُدخل بوارو. دخل بوارو فسمع صوت جريان مياه، ثم اقترب من باب وجد خلفه الدكتور مورلي يغسل يديه.

في حياة العظماء لحظات مهينة، ويمكننا أن نضيف إلى هذا أن قليلاً من الرجال فقط هم الذين يكونون أبطالاً مع طبيب الأسنان، وكان هيركيول بوارو يعرف هذه الحقيقة. وقد كان بوارو معتاداً على أن يثق في نفسه، ولكنه في اللحظة التي يجلس فيها مع طبيب الأسنان تهبط روحه المعنوية إلى درجة الصفر ويتحوّل إلى شبح جبان، إلى رجل يخاف من كرسي طبيب الأسنان.

انتهى الدكتور مورلي من تنظيف يديه وبدأ يتكلّم بطريقته التشجيعية المعتادة قائلاً: إن الجو دافئ في هذه الأيام من العام على غير المعتاد.

ثم تحرّك برفق ناحية الكرسي وبدأ يحرّك الرأس إلى أعلى وإلى أسفل، فأخذ بوارو نفَساً عميقاً وترك رأسه للسيد مورلي

يحرّكه كيفما شاء. قال الدكتور مستبشراً: أعتقد أن هذا الوضع مريح، أليس كذلك؟

فردّ عليه بوارو بلهجة جنائزية قائلاً: بلى، هذا الوضع مريح جداً.

اقترب الدكتور بكرسيّه فالتقط المرآة الصغيرة ثم أمسك آلة وبدأ يزاول مهنته، فقبض بوارو على ذراعَي الكرسي وأغلق عينيه وفتح فمه، ثم سأله الدكتور قائلاً: هل تشكو ألماً معيّناً؟

وفهم الدكتور منه أنه لا يشكو من ألم معيّن، وذلك من خلال كلماته غير الواضحة الناتجة عن فمه المفتوح، وأن كل ما في الأمر أن ذلك هو الفحص نصف السنوي المعتاد الذي يدفعه إليه حبّه للنظام والأناقة في حين أنه قد تكون أسنانه غير محتاجة إلى شيء.

مرّ الدكتور ببطء على الأسنان فاحصاً إياها وهو يدلي بتعليقات قصيرة مفتعلاً ذلك قائلاً: هذا الحشو بدأ يخفّ قليلاً، ولكن الأمر ليس خطيراً، أما اللثة ففي حالة جيدة للغاية. أنا مسرور لذلك.

ومرّت لحظة شكّ ضغط خلالها الدكتور على أسنان بوارو بالمجسّ، فحمد بوارو الله على أنه لم يجد شيئاً في تلك المنطقة، ثم انتقل الدكتور إلى الجانب السفلي من الأسنان فخشي بوارو أن يرى الدكتور موضعاً فاسداً، ثم قال الدكتور: يوجد هنا خلل بسيط. ألا يسبّب لك ألماً؟

وبدأ المجسّ يتحرّك مرّة أخرى، وأخيراً تراجع الدكتور إلى الخلف مقطباً لأنه لم يجِد شيئاً خطيراً، كل ما في الأمر أنه يحتاج إلى تعديل بعض الحشو فقط. وبعد ذلك وبينما كان الدكتور

مورلي يُعدّ الحشو استأنف الاثنان الحوار فقال الدكتور: عليّ أن أُعدّ الحشو اليوم بنفسي لأن سكرتيرتي الآنسة نيفيل غير موجودة اليوم. هل تذكر الآنسة نيفيل؟

فأجابه بوارو بالإيجاب فاستطرد الدكتور قائلاً: لقد استدعوها اليوم إلى الريف بسبب مرض قريبة لها، وهذا أمر عادي يحدث في الأيام المشحونة بالعمل، وأنا مشغول اليوم تماماً. لقد تأخّر المريض الذي جاء قبلك، وهذا أمر يضايقني لأن هذا يضيّع اليوم بأسره، وفي نفس الوقت عليّ أن أستقبل مريضة إضافية تشكو من آلام حادة مفاجئة. أنا عادةً أسمح بربع ساعة في اليوم للطوارئ، ولكن مريضة اليوم ستضاعف من تعبي.

ثم نظر الدكتور إلى إناء المحاليل الموضوع على الأرض واستأنف كلامه قائلاً: إن الكبراء يحافظون على المواعيد عادة، وسوف أستقبل السيد أليستير بلنت، وهو من الشخصيات الهامة.

نطق الدكتور الجملة الأخيرة بانتصار حقيقي، ثم وضع لفائف من القطن وأنبوبة زجاجية تحت لسان بوارو. إن اسم أليستير بلنت كان يهزّ الدنيا في تلك الأيام، فلا يهتم الناس بأسماء مثل الدوق أو رئيس الوزراء، وإنما يهتمّون بأسماء مثل أليستير بلنت. وكان بلنت شخصاً عادياً ولكنه ثري إلى أقصى درجات الثراء ويرأس أكبر شركة تمويل في بريطانيا، إنه رجل يمكن أن يقول نعم أو لا للحكومات. وكان بلنت يحيا حياة هادئة لا يحب الظهور، فلم يقف على منصة ليلقي خطاباً طَوال حياته، ولكنه كان رجلاً ذا سلطة كبيرة.

كان صوت الدكتور مورلي تعلوه رنة الخشوع وهو يتكلّم

قائلاً: إن السيد بلنت يأتي في موعده بالضبط، وغالباً ما يرسل سيارته ويعود إلى مكتبه على الأقدام. إنه شخص لطيف وهادئ لا يميل إلى الظهور، وهو يهوى لعب الغولف ورعاية حديقته. لن تصدق إذا قلت لك إنه يمكنه أن يشتري نصف أوروبا، ومع ذلك فهو شخص عادي مثلي ومثلك.

ثم قطع الدكتور حديثه وقال لبوارو: تمضمض من فضلك.

ثم استطرد قائلاً وهو يتحول إلى السنّ الثانية: هذا هو الردّ على الهتلريين والفاشست وبقيّة من يدورون في فَلكهم، إنه يعمل في صمت. بما أنك رجل فرنسي معتاد على الفكر الجمهوري قُل لي، إلى أي حدّ يحقّق مَلكنا ومَلكتنا الديمقراطية؟

فغمغم بوارو قائلاً: أنا لست فرنسياً، وإنما أنا بلجيكي.

فردّ الدكتور بحزن قائلاً: صه، صه. يجب أن يظلّ التجويف جافاً.

ثم دفع الدكتور هواءً ساخناً على الأسنان واستطرد قائلاً: لم أكن أعرف أنك بلجيكي. إن مَلككم ليوبولد رجل ممتاز، وأنا من المؤمنين بالنظام الملكي لأن خبرة الملوك مفيدة. انظر إلى الطريقة التي يحفظون بها الأسماء والوجوه، هذا كله ناتج عن الخبرة والتدريب بالطبع. أنا شخصياً لا أذكر الأسماء ولكنني لا أنسى الوجوه، فمنذ أيام قابلت أحد مرضاي فلم أتذكر الاسم، ولكنني سألت نفسي متى قابلت ذلك الوجه من قبل، ولم أتذكر حتى الآن، ولكنني سأتذكّر بالطبع. من فضلك، تمضمض مرّة أخرى.

فتمضمض بوارو، ثم نظر الدكتور إلى داخل فمه بتفّحص وقال: حسناً، أعتقد أن الأمر على ما يرام الآن. أغلق فمك برفق.

الحشو مريح، أليس كذلك؟ أنت لن تشعر به إطلاقاً. افتح فمك مرّة أخرى، الأمر على خير ما يرام الآن.

ثم تحركت المنضدة إلى الأمام ودار الكرسي ونزل بوارو رجلاً حراً، وعندما كان بوارو يغلق الباب خلفه سمع صوت الماء، ثم نزل الدرَج فرأى في نهايته العقيد الإنكليزي يخرج. إن ذلك العقيد ليس سيئاً تماماً كما تصوّر، بل ربما كان صياداً ماهراً قتل عدّة نمور، وربما كان رجلاً مفيداً أو ذا منصب هام في الإمبراطورية.

ذهب بوارو إلى حجرة الانتظار ليأخذ قبّعته وعصاه اللتين تركهما من قبل، وفي حجرة الاستقبال كان الشاب القلق لا يزال موجوداً مما أثار دهشة بوارو، وكان يوجد مريض آخر يقرأ صحيفة ذا فيلد، فنظر بوارو إلى الشاب بنفسيّته الجديدة فرأى أن الشاب لا يزال يبدو شرساً للغاية وكأنه سيهمّ بقتل أحد الأشخاص، ولكن بوارو استبعد أن يكون الشاب قاتلاً، واعتقد أن ذلك الشاب بعدما ينتهي من الكشف على أسنانه سوف يهرول على الدرَج وقد انتهت محنته وأصبح سعيداً مبتسماً يتمنّى الخير للجميع.

دخل الغلام ونادى بوضوح وحزم قائلاً: السيد بلنت.

فنهض الرجل الذي كان يجلس بجوار المنضدة والذي كان يقرأ صحيفة ذا فيلد. يا للعجب! رجل من أغنى وأقوى رجالات إنكلترا، ومع ذلك يذهب إلى الأطباء كأي مواطن عادي! لا شكّ أنه يشعر بنفس المشاعر التي يشعر بها أي مواطن آخر تحت يد الطبيب.

كانت تلك الأفكار تدور في ذهن بوارو وهو يلتقط قبّعته وعصاه متوجّهاً إلى الباب، ثم خطر له خاطر غريب وهو أن ذلك الشاب الشرس يعاني آلاماً مبرحة في أسنانه. وفي الصالة وقف

بوارو أمام المرآة ليصلح شاربه الذي تشعّث بعد الخدمات الجليلة التي قدّمها الدكتور مورلي، وما إن انتهى من إصلاح شاربه حتى نزل المصعد وبرز الغلام من خلف الصالة وهو يصفر، ثم توقّف الغلام عن الصفير فجأة عندما رأى بوارو ثم هُرع ليفتح الباب الأمامي له.

وكانت قد اقتربت سيارة أجرة من باب العيادة وظهرت منها قدم، فنظر بوارو إلى القدم باهتمام بالغ حيث رأى جورباً من نوع جيّد وقدماً لا بأس بها، ولكن بوارو لم يسترِح إلى الحذاء الذي كان مصنوعاً من الجلد الناعم اللامع وله إبزيم معدني. وبينما كانت السيدة تنزل من سيارة الأجرة انفك إبزيم الحذاء وتدحرج على الرصيف، فقفز بوارو بجسارة فالتقطه وأعاده إلى السيدة بانحناء.

كانت السيدة أقرب إلى سنّ الخمسين وتضع على عينيها نظارة، أما شعرها فغير منسّق ولونه رمادي مائل إلى الاصفرار، كما كانت ملابسها غير أنيقة تشبه ملابس الممثّلات. وبينما كانت السيدة تشكره وقعت منها النظارة وحقيبة اليد فالتقطهما بوارو بأدب وأعادهما إليها، ثم صعدت درَج المنزل رقم ثمانية وخمسين بشارع الملكة شارلوت.

* * *

الفصل الثاني

كانت الساعة الثالثة إلا الربع عندما رنّ جرس الهاتف، فلم يحرّك بوارو ساكناً وإنما ترك جورج خادمه المخلص يردّ على المكالمة، ثم قال جورج وهو يقرّب جهاز الهاتف إلى سيده: تفضّل يا سيدي، إنه السيد جاب كبير المفتشين يا سيدي.

فرفع بوارو السماعة إلى أذنه، وبعد تبادل التحية قال المفتش جاب: لقد بلغني أنك ذهبت إلى طبيب الأسنان اليوم، فهل هذا صحيح؟

فهمس بوارو قائلاً: إن اسكتلنديارد تعرف كل شيء.

- الدكتور اسمه مورلي ويسكن في المنزل رقم ثمانية وخمسين بشارع الملك شارلوت، أليس كذلك؟

- بلى، هو كذلك.

ثم تغيّر صوت بوارو وهو يسأل قائلاً: لماذا؟

- لقد كانت زيارة عادية، أليس كذلك؟

- بلى، وقد حشوت ثلاث أسنان، هذا هو ما حدث.

- وكيف بدا لك؟ هل كانت تصرّفاته عادية؟

- أعتقد ذلك. ولكن لماذا؟

ولم يتغيّر صوت جاب وهو يقول: لأنه أطلق النار على نفسه بعد وقت قليل من زيارتك.

- هذا شيء عجيب.

فقال جاب: أريد أن أتحدّث إليك، فهل تمانع في الحضور إليّ؟ أنا في شارع الملكة شارلوت.

فقال بوارو: سأصل إليك فوراً.

* * *

فتح شرطي الباب رقم ثمانية وخمسين وقال بأدب: كبير المفتشين في الطابق الثاني. هل تعرف المكان؟

فقال بوارو: لقد كنت هنا هذا الصباح.

كان في الحجرة ثلاثة رجال، فنظر جاب إلى بوارو وهو يهمّ بالدخول وقال: أنا مسرور برؤيتك يا بوارو. نحن ننوي أن ننقله، فهل تحبّ أن تراه أولاً؟

كان يوجد رجل يصوّر بآلة التصوير الفوتوغرافي قرب الجثة، ثم تقدّم بوارو إلى الجثة التي كانت مسجاة بالقرب من المدفأة، وكانت تبدو على مورلي في موته نفس ملامحه وهو حيّ، إلا أنه كانت توجد فتحة سوداء في الجانب الأيمن من جبهته وبجوار يده اليمنى المنبسطة مسدس أُلقي على الأرض، فهزّ بوارو رأسه برفق وقال: جاب، يمكنكم أن تنقله الآن.

فقال جاب: لقد انتهينا من كل الإجراءات، البصمات وغير ذلك.

جلس بوارو وقال لجاب: احكِ لي كل شيء.

فمطّ جاب شفتيه وقال: من المحتمَل أن يكون قد انتحر لأننا قد وجدنا خمس بصمات على المسدس، ولكنني لست مطمئنّاً إلى هذا التفسير.

- ما الذي جعلك غير مطمئنّ؟

- حسناً، في البداية لا يوجد سبب يدعوه إلى أن ينتحر، فقد كان موفور الصحّة ذا دخل كبير، كما أنه لم تكن لديه أية متاعب، ولم يكن متعلقاً بأية امرأة على قدر ما نعلم، ولم يكن متقلّب المزاج ولا مكتئباً أو حزيناً.

فهزّ بوارو رأسه وقال: أجل، لقد كان... ماذا أقول لك؟ لقد كان طبيعياً تماماً.

- وهذا يجعل الأمر غريباً، أليس كذلك؟ على أية حال لا يمكن أن يُطلق إنسان النار على نفسه خلال ساعات النهار. لماذا لم ينتظر المساء؟ فلو أنه انتحر في المساء لكان الأمر طبيعياً.

- متى تم الحادث؟

- لا أستطيع أن أحدّد بالضبط لأنه لم يسمع أحد الرصاصة، ولا أعتقد أنهم كانوا يستطيعون سماعها؛ إذ يوجد بابان بيننا هنا وبين الصالة، وحول البابين يوجد قماش صوفيّ يكتم صراخ مرضى الأسنان.

- هذا محتمَل؛ فالناس عندما يجلسون على كرسي طبيب الأسنان يحدِثون ضوضاء.

- هذا إلى جانب أن الشارع كان مليئاً بضوضاء المرور.

- متى اكتُشف الحادث؟

- في نحو الساعة الواحدة والنصف، بواسطة الغلام ألفريد برغز، وهو غلام سيئ، ويبدو أن المريضة التي كانت من المفروض أن تقابل الدكتور مورلي في الثانية عشرة والنصف أثارت شغباً بسبب طول الانتظار، وفي الواحدة وعشر دقائق طرق الغلام الباب ولكنه لم يسمع إجابة، ولم يجرؤ على أن يدخل؛ فقد عنّفه الدكتور قبل ذلك عدّة مرات فخشي أن يُخطئ مرّة أخرى. ثم نزل الغلام مرّة ثانية مما أثار غضب المريضة وأدّى إلى انصرافها في الواحدة والربع.

- ومَن تلك المريضة؟

فابتسم جاب وقال: طبقاً لما قاله الغلام فإن اسمها الآنسة شبرتي، ولكن المكتوب في دفتر الحجز اسم الآنسة كيرين.

- ما النظام الذي كان متّبعاً لاستقبال المرضى؟

- عندما يكون الدكتور مورلي مستعداً لاستقبال مريض جديد يضغط على جرس هناك فيأتي الغلام بالمريض.

- وهل ضغط مورلي الجرس في المرّة الأخيرة؟

- ضغطه في الثانية عشرة إلا خمس دقائق، فأحضر الغلام السيد أمبريوتيز الذي يقيم في فندق سافوي كما هو مدوّن بدفتر الحجز.

فسأله بوارو قائلاً: ومتى غادر السيد أمبريوتيز العيادة؟

- لم يصحبه الغلام، لذلك لا يعرف. إن مرضى كثيرين ينزلون الدرَج دون أن يضغطوا جرس المصعد ثم يغادرون العيادة.

فأومأ بوروا برأسه واستطرد جاب قائلاً: وقد اتصلت بفندق سافوي، وكان السيد أمبريوتيز دقيقاً للغاية؛ إذ قال لي إنه نظر إلى ساعته وهو يغلق الباب فوجد أنها تشير إلى الثانية عشرة وخمس وعشرين دقيقة.

- ألم يذكر لك شيئاً مهماً؟

- نعم، لم يذكر، وكل ما قاله لي هو أن الطبيب كان عادياً للغاية وهادئاً في تصرّفاته.

- حسناً، يبدو الأمر واضحاً تماماً الآن. لقد حدث شيء ما بين الثانية عشرة وخمس وعشرين دقيقة والواحدة والنصف، وربما كان قد حدث قريباً من الوقت الأخير وإلا...

- وإلا فإن الدكتور كان سيضغط الجرس للمريض التالي.

- تماماً. وقد كشف جرّاح المنطقة على الجثة في الساعة الثانية وعشرين دقيقة، ولا يحب هؤلاء الجرّاحون أن يُقحموا أنفسهم في الأمور الخاصة كما يقولون هذه الأيام، ولكن الجرّاح ذكر أن مورلي لا يمكن أن يكون قد مات قبل الواحدة، بل قد يكون قبل ذلك، ولكنه ليس متأكّداً.

فقال بوارو وهو يفكّر: هذا معناه أن الدكتور كان عادياً مبتهجاً مهذباً رقيقاً في الثانية عشرة وخمس وعشرين دقيقة، وبعد ذلك أصابه اليأس والتعاسة ثم قتل نفسه، أليس كذلك؟

فقال جاب: هذا أمر عجيب.

فقال بوارو: «عجيب» ليست الكلمة الدقيقة.

- أعرف أنها ليست الكلمة الدقيقة ولكن ماذا أقول؟ هل أقول إنه غريب؟

- هل انتحر بمسدسه الخاص؟

- لا، لم يكن بمسدسه الخاص؛ فهو لم يشترِ مسدساً طَوال حياته، وطبقاً لأقوال أخته لم تكن توجد آلات نارية في منزله، ولكنه إذا كان قد صمّم على أن ينتحر فمن الجائز أن يكون قد اشتراه، وإذا كان الأمر كذلك فسنعرفه حتماً.

فسأله بوارو قائلاً: هل يوجد شيء آخر لفت نظرك؟

فحكّ جاب أنفه ثم قال: حسناً، الطريقة التي كان يرقد بها. لم أُقل إن الرجل لا يمكن أن يسقط بهذه الطريقة، ولكنني أقول إن الطريقة لم تكن صحيحة إلى حدّ ما، كما أنه توجد علامة أو علامتان على السجادة وكأنه قد سُحب فوقها.

- هذا يوحي بأمور كثيرة.

- بالطبع، هذا إذا لم يكن قد حرّكه ذلك الغلام الشقي. أنا أخشى أن يكون ذلك الغلام قد حرّك جثة الدكتور عندما اكتشف أنه مقتول، وقد أنكر ذلك بالطبع وكانت ترتسم على وجهه أمارات الصدق. إنه ولد سيئ، من ذلك النوع الذي يتدخّل في كل شيء، وعندما يواجَه يكذب بطريقة طبيعية.

فنظر بوارو بتأمّل إلى الحجرة، نظر إلى حوض الغسيل خلف الباب والخزانة التي على الجانب الآخر للباب والكرسي والآلات الطبية القريبة من النافذة والمدفأة ومكان الجثة، ووجد بوارو باباً آخر بالقرب من المدفأة، وكان جاب يتابع نظراته فقال: يوجد مكتب خلف هذا الباب.

ثم دفع الباب بقوة ففتحه فوجدا حجرة صغيرة بها منضدة ومصباح يوضع به غاز وأدوات صنع الشاي وعدّة كراسي، ولم

يكّن يوجد باب آخر. ثم شرح له جاب قائلاً: هذه حجرة سكرتيرته الآنسة نيفيل، ويبدو أنها متغيّبة اليوم.

والتقت أعينهما فقال جاب: وهذه نقطة أخرى تثبت أنه لم ينتحر.

- هل تقصد أنها أُبعدت عن المكان؟

- إذا كان لم ينتحر فإنه يكون قد قُتل، ولكن لماذا؟ هذا الاحتمال أبعد من الاحتمال الأول. لقد كان الدكتور شخصاً هادئاً لا يُناصب أحداً العداء، فمَن الذي كان يريد أن يقتله؟

فسأله بوارو قائلاً: بل مَن استطاع أن يقتله؟

فردّ جاب قائلاً: إن الإجابة على سؤالك هي أن أي شخص يمكن أن يكون قد قتله، فربما جاءت أخته من شقّتها وقتلته، وقد يكون أحد الخدم هو الذي قتله، أو شريكه الدكتور ريلي، أو الغلام ألفريد، أو أحد المرضى.

وصمت برهة ثم قال: وقد يكون أمبريوتيز هو الذي قتله.

فأومأ بوارو وقال: في هذه الحالة علينا أن نتساءل عن السبب. إن أمبريوتيز يقيم في فندق سافوي، فلماذا يأتي ذلك اليوناني الثري إلى هنا ليقتل طبيباً بريئاً؟ إن حجر العثرة في هذه القضية هو الدافع.

فهزّ بوارو كتفيه وقال: يا لهذا الخليط العجيب! اليوناني الغامض، المموّل الثري، المخبر المشهور. ربما كان الأجانب الغامضون يعملون في شبكات تجسّس، وربما كان للمولين الأغنياء اتصالات تستفيد من موتهم، أما المخبرون المشهورون فربما كانوا خطِرين على المجرمين.

- ولكن الدكتور المسكين لم يكن خطِراً على أحد.

- أنا مدهوش.

ثم استدار جاب ناحيته وقال: ولماذا أنت مدهوش؟

- لا شيء، مجرّد ملاحظة.

ثم روى بوارو لجاب ما كان الدكتور مورلي قد ذكره له عن قدرته على تذكّر الوجوه والمريض الذي تذكّره، فنظر جاب بارتياب وقال: من الممكن أن يكون قد حدث ما اعتقدته، ولكن هذا أمر مستبعَد؛ إذ ربما وُجِد شخص أراد أن يخفي هويته. ألم تلاحظ شيئاً على المرضى هذا الصباح؟

فهمس بوارو قائلاً: بلى، لقد رأيت هذا الصباح شاباً في حجرة الانتظار عليه سمات القتلة.

فقفز جاب من الدهشة وقال: ماذا تقول؟!

فابتسم بوارو وقال: يا عزيزي، لقد كان ذلك عندما جئت في الصباح إلى هنا، وقد كنت عصبياً متخوّفاً معكر المزاج، وكان كل شيء يبدو لي سيئاً، حجرة الاستقبال والمرضى والسجادة المفروشة على الدرَج. في الحقيقة أنا أعتقد أن ذلك الرجل كان يعاني من آلام عنيفة في أسنانه، وهذا كل ما في الأمر.

فقال جاب: أنا أعرف ما يمكن أن يكون قد حدث، وعلى أية حال فسنرى ذلك الشاب القاتل لأننا سوف نحقّق مع كل شخص سواء كان الحادث انتحاراً أم لا. أعتقد أن أول شيء يمكن أن نقوم به هو أن نحقق مع الآنسة مورلي.

- أريد أن أتحدّث معها حديثاً قصيراً.

– لقد كان مصرع أخيها صدمة لها، ولكنها ليست من النوع الذي ينهار بسرعة. سوف نذهب لنراها الآن.

* * *

أنصتت الآنسة جورجينا مورلي الحزينة إلى كلام الرجلين ثم أجابت على أسئلتهما قائلة مدهوشة: أنا لا أصدّق ما حدث؛ لا أصدّق أن أخي قد انتحر.

فقال بوارو: هل تعرفين البديل الآخر يا آنسة؟

فقالت بعد برهة: هل تقصد أنه قُتل؟ في الحقيقة إن هذا البديل أكثر استحالة من الأول، ولكنه ليس مستحيلاً تماماً. لا، بل هو في المقام الأول، فأنا أتحدّث عن شيء أعرفه، عن الحالة العقلية لأخي، فلم يكن يوجد خلل في عقله، ولذلك فلا يوجد سبب يدعوه إلى أن ينتحر.

– هل رأيتِه هذا الصباح قبل أن يذهب إلى عمله؟

– نعم، رأيته وهو يتناول طعام الإفطار.

– وهل كان طبيعياً؟ ألم يكن مضطرباً بأية صورة من الصور؟

– بلى، لقد كان مضطرباً ولكن ليس بالصورة التي تقصدها. لقد غاضباً لأن اليوم كان مشغولاً تماماً بالنسبة له وكانت سكرتيرته الآنسة نيفيل قد استُدعيت إلى الريف.

– وماذا كانت تفعل له؟

– كانت تردّ على مراسلاته وتمسك له دفتر المواعيد وتنظّم له الملفات، كما كانت تعقّم له الآلات وتجهّز له الحشو وتناوله

إياه وهو يعمل.

- منذ متى وهي تعمل عنده؟

- منذ ثلاث سنوات. إنها فتاة يمكن الاعتماد عليها وكلّنا نحبّها.

فقال بوارو: لقد استُدعيَت بسبب مرض قريبة لها كما ذكر لي أخوك، أليس كذلك؟

- بلى، لقد تلقّت برقية تفيد بأن خالتها أُصيبت بأزمة، فسافرت إلى سومرست في قطار الفجر.

- وهل هذا هو الذي ضايق أخاك؟

- نعم.

قالتها الآنسة مورلي بتردّد ثم استطردت قائلة: لا تعتقد أن أخي كان متقلّب المزاج. لقد اعتقد فقط...

- ماذا اعتقد يا آنسة؟

- اعتقد أنها خدعته عن قصد. من فضلك لا تُسئ الظن بي، أنا على ثقة من أن غلاديس لا يمكن أن تكون قد فعلت ذلك، وقد قلت ذلك لهنري، ولكن الحقيقة أن غلاديس ارتبطت بشاب غير مناسب، مما أثار غضب هنري وجعله يتصوّر أن ذلك الشاب قد أقنعها بأن تتغيّب هذا اليوم.

- وهل هذا أمر محتمَل؟

- لا، أنا متأكّدة من أن الأمر ليس كذلك لأن غلاديس فتاة صاحبة ضمير حيّ.

- ولكنه أمر يمكن أن يكون الشاب قد اقترحه، أليس كذلك؟

فقالت الآنسة مورلي: هذا جائز.

- ما اسم ذلك الشاب وماذا يعمل؟

- اسمه فرانك كارتر، وقد كان يعمل كاتباً في شركة تأمين على ما أعتقد، ثم فقد وظيفته منذ عدّة أسابيع، ولا يبدو أنه سيتمكّن من الحصول على وظيفة أخرى. لقد أخبرني هنري بأن ذلك الشاب فاسد تماماً. وقد أعارته غلاديس بعض مدّخراتها مما أزعج هنري.

فسألها جاب بحدّة قائلاً: هل حاول أخوك أن يقنعها بأن تفسخ خطبتها؟

- نعم، أنا متأكّد من أنه حاول ذلك.

- هذا معناه أن ذلك الشاب كان يحقد على أخيك، أليس كذلك؟

فردّت الأخت بقسوة قائلة: إذا كنت تتصوّر أن فرانك كارتر قد أطلق النار على أخي فهذا كلام فارغ. صحيح أن هنري قد نصح الفتاة بفسخ خطبتها من الشاب ولكنها لم تعمل بنصيحته لأنها تحب فرانك.

- هل تعتقدين أنه يوجد شخص آخر كان يحقد على أخيك؟

- حسناً، إن شريك أخي، الدكتور ريلي، يحب المناقشات السياسية.

- أهذا كل ما في الأمر؟

- نعم، هذا كل ما في الأمر. إن الدكتور ريلي رجل سيئ في نواحٍ عديدة، ولكنه متفوّق في عمله كما قال لي أخي.

فسألها جاب بإصرار قائلاً: في أي النواحي يبدو الدكتور ريلي سيئاً؟

فتردّدت الآنسة مورلي وقالت بأسىً: إنه يدمن الخمر، ولكن لا أريد أن أستمرّ في هذا الحديث إذا سمحتما.

- هل اختلف هو وأخوك حول هذا الموضوع؟

فردّت الآنسة مورلي قائلة: لقد نصحه أخي مرّة أو مرّتين.

وصمتت برهة ثم استطردت قائلة: اليد الثابتة مطلوبة، ولكن التنفّس المشبّع بالخمور لا يدعو إلى الثقة.

فأومأ جاب برأسه موافقاً وقال: هل يمكن أن تقولي لنا شيئاً عن مكانة أخيك المالية؟

- إن دخل هنري كبير، وهو يدّخر جزءاً كبيراً منه، كما أن لدينا دخلاً خاصاً يأتينا من ميراث والدي.

فهمس جاب وهو يسعل سعالاً خفيفاً قائلاً: طبعاً أنت لا تعرفين إذا كان أخوك قد ترك وصية أم لا.

- لا، بل أعرف. لقد ترك وصية، ويمكن أن أقول لك محتوياتها، فقد ترك مئة جنيه لغلاديس، أما الباقي فهو لي.

وعندئذ سمعوا طرقاً شديداً على الباب ثم ظهر وجه ألفريد الذي نظر بعينيه البرّاقتين إلى الضيفين وهو يقول: لقد وصلت الآنسة نيفيل، وهي في حالة سيئة وتريد أن تعرف هل يمكن أن

تدخل إلى هنا أم لا.

فأومأ له جاب وقالت الآنسة مورلي: قل لها بأن تحضر إلى هنا يا ألفريد.

كانت غلاديس نيفيل فتاة طويلة شقراء مملوءة بالحيوية، وكانت سنّها نحو ثمانٍ وعشرين سنة، ورغم اضطرابها فقد أظهرت حُسن تصرّفها وذكاءها على الفور. قالت الآنسة مورلي: إنه يريد أن يفحص أوراق الدكتور مورلي.

فأخذت جاب إلى المكتب الصغير المجاور لحجرة العمليات، وقد كرّرت أكثر من مرّة قولها: أنا لا أصدّق أن الدكتور مورلي يمكن أن يفعل ذلك.

وبدأ جاب استجوابه قائلاً: لقد استُدعيت إلى خالتك يا آنسة نيفيل، أليس كذلك؟

- بلى، ولكن الغريب في الأمر أن خالتي كانت بصحة جيدة للغاية، وهي لم تفهم شيئاً عندما زرتها فجأة اليوم. صحيح أنني سعدت برؤيتها ولكنني كدت أُجَنّ بسبب إرسال البرقية وحدوث كل هذه الاضطرابات.

- وهل هذه البرقية معك الآن يا آنسة؟

- لقد ألقيتها عند المحطّة على ما أذكر، وكانت كلمات البرقية تقول: «أُصيبت خالتك بأزمة صحية، من فضلك تعالي فوراً».

فسعل جاب ثم قال: هل أنت متأكّدة من أن صديقك كارتر لم يرسل تلك البرقية؟

- آه، فهمت. هل تقصد أنها لعبة منه؟ لا يا سيادة المفتش،

نحن لا يمكن أن نفعل ذلك.

وغضبت غضباً شديداً، وقد بذل جاب جهداً في التخفيف عنها ثم سألها سؤالاً عن مرضى ذلك اليوم مما جعلها تعود إلى طبيعتها وتقول: إن أسماءهم جميعاً مدوّنة هنا في هذا الدفتر الذي أعتقد أنك رأيته من قبل. أنا أعرف معظم هؤلاء المرضى.

فسألها بوارو قائلاً: عندما حضرت إلى هنا كان يوجد رجل عسكري، فمن هو؟

- إنه واحد من مرضى الدكتور ريلي على ما أعتقد. هل تريد قائمة مرضاه؟

- سأكون شاكراً إذا أحضرتها لي يا آنسة نيفيل.

واختفت لعدّة دقائق ثم عادت ومعها دفتر يشبه دفتر الدكتور مورلي وقرأت قائلة: في العاشرة بيتي هيث، وهي بنت صغيرة في التاسعة من عمرها، وفي الحادية عشرة العقيد إميركومبي.

- إميركومبي؟ إنه هو!

ثم تابعت القراءة قائلة: وفي الحادية عشرة والنصف السيد هوارد ريكس، وفي الثانية عشرة السيد بارنز. هؤلاء هم كل مرضى الصباح، وبالطبع ليس الدكتور ريلي مشغولاً جداً مثل الدكتور مورلي.

- هل يمكن أن تحدّثينا عن واحد من مرضى الدكتور ريلي؟

- العقيد إميركومبي يعالَج منذ وقت طويل، كما أن كل أطفال السيدة هيث يعالَجون عند الدكتور ريلي، ولا أستطيع أن أقول شيئاً

عن السيد ريكس أو السيد بارنز رغم أنني سمعت اسميها لأنني أتلقى كل المكالمات الهاتفية. هل فهمتموني؟

فقال جاب: يمكننا أن نسأل السيد ريلي بأنفسنا.

فقال بوارو: أريد أن أراه بأسرع ما يمكن.

وخرجت الآنسة نيفيل فقال جاب لبوارو: كل مرضى مورلي قدامى فيما عدا أمبريوتيز، وأرى أن أُجري حديثاً مع السيد أمبريوتيز في الحال لأنه كان الرجل الأخير الذي شاهد الدكتور مورلي قبل أن يحدث ما حدث، وعلينا أن نتأكّد من أنه رأى الدكتور مورلي حياً.

فقال بوارو ببطء وهو يهزّ رأسه: عليك أن تبرهن على وجود دافع.

- أعرف ذلك، وسوف يكون هذا هو محرّكنا، ولكن قد تكون لدينا معلومات عن أمبريوتيز في اسكتلنديارد.

ثم سأل جاب بحدّة قائلاً: لماذا أراك مشغول الفكر يا بوارو؟

فقال بوارو وهو يفكّر: لماذا كبير المفتشين جاب بالذات؟ لماذا يُستدعي ضابط له مكانته الكبيرة مثلك إلى حادث انتحار؟

- في الواقع إن الأمر حدث مصادفة، فقد كنت قريباً من هنا وقت الإبلاغ، كنت في منطقة فينهام في شارع وبيغمور، وهؤلاء الانتهازيون في الإدارة استغلّوا وجودي بالقرب من هذا المكان وطلبوا منّي أن أحضر إلى هنا.

- ولكن لماذا أبلغوك أنت؟

- هذا أمر بسيط جداً، السبب هو أليستير بلنت، فما إن سمع مفتش المنطقة أن بلنت كان هنا حتى ذهب فوراً إلى اسكتلنديارد للإبلاغ، وأنت تعلم أن أليستير بلنت من الأشخاص الذين نهتم بهم اهتماماً شديداً.

- هل تعتقد أنه يوجد أشخاص يريدون التخلّص منه؟

- وهل يوجد جدال في هذا؟ توجد أولاً الجماعة الحمراء، فبلنت ورفاقه يقفون وقفة قوية خلف الحكومة الراهنة، إذ إن بلنت ثري ينتمي إلى الجناح المحافظ، ولذلك إذا حدثت أدنى إساءة إليه هذا الصباح فإن اسكتلنديارد ستطلب تحقيقاً شاملاً.

فأومأ بوارو مؤمّناً واستطرد جاب قائلاً: وهذا هو ما أشعر به.

ثم حرّك جاب يديه كي يعبّر عن مشاعره فقال بوارو: أشعر بأنه توجد خدعة من نوع ما أو أن الخصم الحقيقي هو أليستير بلنت. والسؤال الآن، هل هذا الحادث هو بداية لحملة من نوع معيّن؟ أنا أشمّ كمية ضخمة من المال في هذه العملية.

وصمت بوارو برهة ثم استطرد قائلاً: أنا أعتقد أن مورلي المسكين ليس إلا ورقة عادية في لعبة كبيرة، وربما كانوا قد خافوا من أن يقول مورلي شيئاً و...

وتوقّف بوارو عن الكلام لأن نيفيل غلاديس دخلت الحجرة وقالت: إن السيد ريلي مشغول بخلع ضرس أحد المرضى، وسوف ينتهي من مهمّته بعد عشر دقائق.

فردّ جاب قائلاً: أريد أن أتحدّث مرّة أخرى مع الغلام ألفريد.

كان الغلام ألفريد مشتّت الفكر بين القلق والفرح والخوف من أن يلومه أحد أو أن يكون قد حدث شيء ما، فقد التحق بعيادة الدكتور مورلي منذ أسبوعين عمل خلالهما كل شيء بطريقة خاطئة وأفقده التأنيب ثقته في نفسه. وفي ردّ على سؤال وجّهه إليه جاب قال ألفريد: لم يكن الدكتور يعاني من شيء سوى أنه كان دائم الخوف أكثر من اللازم، ولم أكن أتصوّر أنه يمكن أن ينتحر.

وتدخّل بوارو قائلاً: يجب أن تخبرنا عن كل شيء تذكره عن ذلك الصباح لأنك شاهد مهمّ جداً، وربما كان لشهادتك أهمية قصوى لنا.

فاحمرّ وجه ألفريد ونفخ صدره وفرد عضلاته وملأه شعور بأنه إنسان مهم ثم قال: اسألوني وسوف أقول لكم كل شيء.

- هل حدث شيء غير عادي هذا الصباح؟

ففكر ألفريد ثم قال بحزن: لا، لقد مرّ كل شيء على ما يرام.

- هل حضر غرباء إلى العيادة؟

- لا يا سيدي.

- ولا حتى بين المرضى؟

- أنا لا أفهم ماذا تعني. إن أحداً لا يحضر إلا إذا كان مرتبطاً بموعد، وإن كل المرضى كانوا مدوّنين في الملف.

فأومأ جاب برأسه، ثم سأله بوارو قائلاً: هل يمكن أن يكون قد تسلل شخص من الخارج؟

- إن أحداً لا يستطيع ذلك لأنهم لا يملكون مفاتيح.

- ولكن من السهل أن يخرجوا من المنزل، أليس كذلك؟

- بلى، من السهل على الشخص أن يشدّ مقبض الباب ويخرج ويغلق الباب خلفه، وكما قلت لكم إن كثيرين يفعلون ذلك، فالمرضى غالباً ينزلون على الدرَج وأنا في المصعد أصطحب مريضاً آخر.

- مفهوم، ولكن قل لنا، مَن أول مريض جاء هذا الصباح؟ ومَن الذين جاؤوا بعده؟ صفهم لنا إذا كنت لا تذكر أسماءهم.

فكّر ألفريد لحظة ثم قال: سيدة معها بنت صغيرة أتيا إلى الدكتور ريلي، والسيدة سوب أو اسم يشبه ذلك إلى الدكتور مورلي، ثم رود بيرون، وبعد ذلك جاءت سيدة في منتصف العمر سمينة بعض الشيء، ثم جاء رجل عسكري طويل، ثم جئت أنت بعده يا سيد بوارو، ثم جاء الرجل الأمريكي و...

فقاطعه جاب بحدّة قائلاً: أمريكي؟

- نعم يا سيدي، شاب أمريكي يمكن أن تعرفه من صوته جاء قبل موعده، وقد كان موعده في الحادية عشرة والنصف ولكنه لم يحافظ عليه. لقد حضرت إليه عندما دقّ الدكتور ريلي الجرس في الحادية عشرة والنصف، ويبدو أن الوقت كان متأخّراً، أي كان بعد ذلك بعشر دقائق، فلم أجده، ويبدو أنه خاف من طبيب الأسنان وهرب.

ثم أضاف ألفريد بلهجة العارف قائلاً: هم يفعلون ذلك أحياناً.

فقال بوارو: إذن فقد خرج بعدي مباشرة، أليس كذلك؟

- بلى يا سيدي، لقد انصرفت أنت بعد أن جاءت سيارة السيد

بلنت الفاخرة، وقد ودّعتك أنا، ثم جاءت الآنسة بري سيل أو اسم يشبه هذا، وبعد ذلك ذهبت إلى المطبخ لآكل شيئاً، وعندما عدت سمعت جرس الدكتور ريلي يدقّ فذهبت لأحضر الرجل الأمريكي فوجدته قد هرب، فأخبرت الدكتور ريلي فأخذ يسبّ ويلعن كعادته.

فقال بوارو: استمرّ.

- دعني أتذكّر ماذا حدث بعد ذلك. نعم، لقد دقّ جرس الدكتور مورلي طالباً الآنسة سيل التي في المصعد، وبعد ذلك نزلت فوجدت شخصين أحدهما صغير وصوته أجشّ لا أذكر اسمه، وقد جاء إلى الدكتور ريلي، أما الآخر فكان أجنبياً ضخم الجسم جاء إلى الدكتور مورلي. ولم تمكث الآنسة سيل طويلاً، بل مكثت نحو ربع ساعة فقط، ثم أخذتها إلى الخارج، وبعد ذلك أحضرت الرجل الأجنبي كما اصطحبت رجلاً آخر إلى الدكتور ريلي و...

فقاطعه جاب قائلاً: ألم ترَ السيد أمبريوتيز أو الرجل الأجنبي وهو يغادر المكان؟

- نعم يا سيدي، لا أستطيع أن أقول إنني رأيته، ويبدو أنه خرج بمفرده لأنني لم أرَ أياً من الأجنبيَّين وهو يخرج.

- وأين كنت منذ الثانية عشرة؟

- عادة أجلس في المصعد منتظراً أن يُفتح الباب الخارجي أو أن يُدقّ الجرس.

فسأله بوارو قائلاً: وهل كنت تقرأ شيئاً؟

فاحمرّ وجه ألفريد وقال: لا يوجد ضرر في هذا.

- بالضبط. وماذا كنت تقرأ؟

- «الموت في الحادية عشرة إلا الربع». إنها قصّة بوليسية أمريكية تتحدّث عن الغابات والقنّاصة يا سيدي.

فابتسم بوارو ابتسامة صفراء ثم قال: وهل كنت تستطيع أن تسمع الباب الخارجي وهو يُغلق وأنت في مكانك في المصعد؟

- هل تقصد حينما يخرج أي شخص؟ إن ما كنت أعنيه هو أنني لا أرى ذلك، فكما تعرف أن المصعد يقع على الجانب الأيمن خلف الصالة بالقرب من الكرسي، والجرس يدقّ خلفه وتستطيع أن تسمعهم.

فأومأ بوارو برأسه، ثم سأل جاب قائلاً: ماذا حدث بعد ذلك؟

فقطب الغلام جبينه محاولاً أن يتذكّر ثم قال: لم تبقَ إلا الآنسة شارتي، وقد انتظرت ليدقّ جرس السيد مورلي ولكنني لم أسمع شيئاً، فتضايقت الآنسة شارتي للغاية.

- ألم يخطر لك أن تصعد إلى الدكتور مورلي وتسأله عمّا إذا كان مستعداً أم لا؟

فهزّ ألفريد رأس ثم قال: لست أنا الذي أفعل ذلك لأنني أعلم أن الشاب كان لا يزال هناك وعليّ أن أنتظر الجرس، وبالطبع لو كنت أعرف أن الدكتور مورلي قد انتحر...

وهزّ ألفريد رأسه بفزع فسأل بوارو قائلاً: هل يدقّ الجرس قبل أن ينزل المريض أم بعد ذلك؟

- حسب الأحوال، فالعادة أن ينزل المريض على الدرَج ثم

يدقّ الجرس، وإذا طلبوا المصعد يدقّ الجرس في الوقت الذي أكون فيه مشغولاً بإنزال مريض آخر، ولكن لا يوجد نظام ثابت بصفة دائمة، فأحياناً يدقّ الجرس قبل أن يفرغ من المريض بعدّة دقائق، وإذا كان على عجل فإنه يدقّ الجرس فور خروج المريض من الحجرة.

وصمت بوارو هنيهة ثم قال: فهمت. هل دهشت عندما سمعت عن انتحار السيد مورلي؟

فردّ ألفريد قائلاً: لقد صعقت تماماً؛ فلم يكن يوجد أي دافع يدعوه إلى الانتحار.

ثم اتسعت عينا ألفريد وقال: هل قُتل؟

فتدخل بوارو قبل أن يتكلم جاب قائلاً: إذا افترضنا أنه قُتل، فهل يدهشك هذا؟

- لا أدري يا سيدي، أنا لا أفهم لماذا يقدِم شخص على قتل السيد مورلي. لقد كان شخصاً طيباً. هل قُتل حقاً يا سيدي؟

فردّ عليه بوارو بحزن قائلاً: علينا أن نضع كل احتمال في الاعتبار، ولهذا فقد قلت لك إنك شاهد مهم وإن عليك أن تتذكّر كل شيء حدث هذا الصباح.

وضغط بوارو على الكلمات الأخيرة في حين قطب ألفريد جبينه في محاولة رهيبة للتذكّر ثم قال: أنا لا أذكر شيئاً آخر يا سيدي، لا أذكر شيئاً حقاً.

وامتلأ صوت ألفريد بالأسى فقال بوارو: حسناً يا ألفريد. هل أنت متأكّد من أنه لم يكن في المنزل غير المرضى؟

– لم يأتِ أي شخص غريب يا سيدي. لقد جاء صديق الآنسة نيفيل فقط، وكان في حالة سيئة عندما لم يجدها.

فسأله جاب بحدّة قائلاً: ومتى كان ذلك؟

فردّ ألفريد قائلاً: بعد الثانية عشرة بقليل. وعندما أخبرته بأن الآنسة نيفيل غير موجودة تذمّر وقال إنه سوف ينتظر حتى يقابل السيد مورلي، إلا أن السيد مورلي كان يتناول طعام الغداء، ولكنه قال: لا بأس سوف أنتظر.

فسأله بوارو قائلاً: وهل انتظر؟

فامتلأت عينا ألفريد بالدهشة وقال: أنا لم أفكّر في ذلك! لقد ذهب إلى حجرة الاستقبال، ولكنه لم يمكث فيها طويلاً، ويبدو أنه ضجر من الانتظار ففكّر في الانصراف والعودة بعد ذلك في وقت آخر.

وعندما انصرف ألفريد من الحجرة قال جاب: والآن علينا أن نستمع إلى الدكتور ريلي.

* * *

كان مكتب وحجرة عمليات الدكتور ريلي يقعان في الدور الأول، وكانتا متّسعتين مثل الحجرتين العلويتين ولكنهما كانتا أقل إضاءة، كما أنهما لم تكونا مؤثثتين بنفس فخامة الحجرتين العلويتين. وكان الدكتور ريلي طويلاً أسمر له خصلة من الشعر تتدلى على جبينه بغير انتظام، وكان صوته جذاباً وعيناه لماحتين. قال له جاب بعد أن قدّم نفسه: نحن نأمل أن تلقي بعض الأضواء على الحادث.

فردّ عليه الدكتور قائلاً: أنت مخطئ يا سيدي لأنني لا أستطيع، وإن كل ما أستطيع أن أقوله هو أن هنري مورلي كان آخر شخص يمكن أن ينتحر، فمن الممكن أن انتحر أنا، أما هو فلا.

فسأله بوارو قائلاً: لماذا يمكن أن تنتحر أنت؟

فردّ عليه قائلاً: لأنني أعيش في بحار من الأسى، فمثلاً أنا أعاني من مشكلات مالية لأنني لا أستطيع أن أوفّق بين دخلي ونفقاتي، ولكن مورلي كان رجلاً منظّماً ليست عليه ديون ولا يعاني من مشكلات مالية، أنا متأكّد من ذلك.

فاقترح جاب مشكلات غرامية فقال ريلي: هل تقصد مورلي؟ لم تكن لديه أي لذة في الحياة، لقد كان تابعاً لأخته. يا له من رجل مسكين.

فسأله جاب عن مرضى ذلك الصباح فردّ قائلاً: لقد كانوا كثيرين، فكانت توجد البنت الصغيرة بيتي هيث، وأنا أعالج كل أفراد تلك العائلة، ثم كان يوجد العقيد إميركومبي، وهو عميل قديم عندي.

فسأل جاب قائلاً: وماذا عن السيد هوارد ريكس؟

فابتسم ريلي ابتسامة عريضة ثم قال: الرجل الذي دخل فجأة؟ إنه لم يحضر إليّ من قبل ولا أعرف عنه شيئاً. لقد اتّصل بي وطلب منّي أن أحدّد له موعداً في ذلك الصباح.

- ومن أين اتصل بك؟

- من فندق هلبورن بالاس، وأعتقد أنه أمريكي.

- لقد قال ألفريد ذلك.

فردّ ريلي قائلاً: إن ألفريد يجب أن يعرف لأنه من عشّاق التمثيل.

- وماذا عن المريض الآخر؟

- بارنز؟ إنه رجل صغير مضحك، وهو موظّف على المعاش يعيش في شارع إيلنغ.

فقال جاب: ماذا يمكن أن تقول لنا عن الآنسة نيفيل؟

فرفع الدكتور ريلي حاجبيه وقال: أتقصد السكرتيرة الشقراء؟ لا شيء بينها وبين مورلي.

فقال جاب وقد احمرّ وجهه قليلاً: لم أقصد ذلك.

فردّ ريلي قائلاً: هذا سوء فهم مني، اغفر لعقلي القذر. لقد ظننت أنك تحاول أن تعرف أسرار الفتاة، فسامحني إذا كنت قد قلت الجملة الأخيرة باللغة الفرنسية. إن نطقي بالفرنسية ممتاز، أليس كذلك؟ هذا مرجعه إلى أنني تعلمت على أيدي معلمين فرنسيين.

ولم يطمئنّ جاب إلى هذه الحذلقة فسأله قائلاً: هل تعرف شيئاً عن خطيب الآنسة نيفيل الذي يُدعى كارتر؟

فردّ ريلي قائلاً: لم يكن مورلي راضياً عن ذلك الولد، وقد حاول أن يفسخ خطبته لنيفيل.

- أتعتقد أن ذلك قد ضايق كارتر؟

فردّ ريلي قائلاً بابتهاج: طبعاً ضايقه إلى حدّ كبير.

وصمت برهة ثم استطرد قائلاً: معذرة، إنكما تحقّقان في جريمة انتحار وليست جريمة قتل، أليس كذلك؟

ردّ جاب: وإذا كانت جريمة قتل فهل لديك ما تقترحه؟

- لست أنا مَن يقترح. إن جورجينا من النساء العصبيات، ولكنني متأكّد من أن جورجينا متديّنة وعلى خُلق قويم، وبالطبع قد أكون صعدت بنفسي على الدرَج وقتلت الرجل العجوز بنفسي. في الحقيقة أنا لا أعتقد أن أحداً قتل مورلي، ولكنني أعتقد أنه قتل نفسه.

وصمت برهة ثم استطرد قائلاً بصوت مختلف: في الواقع أنا حزين لذلك، ولا تحكم عليّ من خلال مظهري؛ فهذا مجرّد اضطراب في أعصابي. لقد كنت أحب مورلي العجوز، وسوف أفتقده.

* * *

عاد الشرطيان إلى العيادة ثم تكلّم جاب في الهاتف، وكان وجهه وهو يلتفت إلى بوارو محمرّاً بعض الشيء ثم قال: إن صحة السيد أمبريوتيز ليست على ما يرام ولا يستطيع أن يقابل أحداً هذا المساء، ولكنه سوف يقابلني أنا فقط، وسوف يعطيني المعلومات اللازمة. ولدينا شرطي في فندق سافوي مستعدّ لأن يقبض عليه إذا حاول الهرب.

فقال بوارو وهو يفكّر: هل تعتقد أن أمبريوتيز هو الذي أطلق النار على مورلي؟

- لا أدري، ولكنه كان الرجل الأخير الذي شاهد مورلي حياً، كما أنه كان مريضاً جديداً، وطبقاً لأقواله فقد ترك مورلي حياً في الساعة الثانية عشرة وخمس وعشرين دقيقة، وقد يكون هذا صحيحاً وقد لا يكون. ماذا كان يفعل مورلي في ذلك الوقت؟

علينا أن نعيد بناء ما حدث بعد ذلك حيث توجد خمس دقائق قبل موعد المريض التالي، فهل دخل عليه كارتر أو ريلي مثلاً خلال تلك الدقائق الخمس؟ إن كل شيء يعتمد على هذه النقطة وعلى المدّة من الساعة الثانية عشرة وخمس وعشرين دقيقة وحتى الواحدة إلا الثلث على الأقل. كان مورلي قد مات بالفعل، وإلا فإنه كان سيدقّ الجرس أو يرسل إلى الآنسة كاربي معتذراً، أو يكون أحد الأشخاص قد ذكر له شيئاً قلبه رأساً على عقب وجعله يتخلّص من حياته.

وصمت جاب برهة ثم استطرد قائلاً: سوف أحقّق مع كل شخص رآه في ذلك الصباح لأنه يوجد احتمال أن يكون قد ذكر شيئاً لأحد المرضى يضعنا على الطريق الصحيح.

ثم نظر جاب إلى ساعته واستطرد قائلاً: لقد قال لي السيد أليستير بلنت إنه سيسمح لي ببضع دقائق في الرابعة وخمس عشرة دقيقة، وسوف نذهب إليه أولاً. إن منزله يقع في منطقة شيليزيا، وبعد ذلك علينا أن نقابل الآنسة ساينسبري سيل ونحن في طريقنا إلى أمبريوتيز. أنا أريد أن تعرف كل شيء قبل أن تحقّق مع صديقنا، وبعد ذلك أحب أن أقول كلمة أو كلمتين للأمريكي الذي يشبه القاتل كما قلت أنت.

فهزّ بوارو رأسه وقال: ليس قاتلاً، وإنما كان يعاني من آلام في أسنانه.

– هذا هو نفس الشيء، فقد كان مظهره غريباً على أقل تقدير، وسوف نراجع برقية الآنسة نيفيل ونحقّق مع عمّتها وخطيبها. في الحقيقة أنا أريد أن أراجع كل شيء وأحقّق مع كل شخص.

* * *

لم يثِر أليستير بلنت دعاية حول نفسه، ربما لأنه شخص هادئ للغاية ويركن إلى الاعتزال، وربما لأنه يفضّل أن يكون الرجل الثاني عن أن يكون الرجل الأول. وكانت السيدة ربيكا سانزفيراتو قد جاءت إلى لندن، وهي سيدة في الخامسة والأربعين من عمرها وفي حالة نفسية سيئة، وهي سليلة الثراء من ناحية الأب والأم، فقد كانت أمها من عائلة روزرشتين، أما أبوها فكان رئيس المصرف الأمريكي المعروف باسم أرنهولت، وهذا اسم عائلة أبيها.

وورثت ربيكا ثروة العائلة الطائلة نظراً لوفاة شقيقها في حادث ومصرع ابن عمها في كارثة طيران، ثم تزوجت ثرياً أوروبياً معروفاً هو الأمير فيليب دي سانزفيراتو، وبعد ثلاث سنوات حصلت على الطلاق منه وعلى حضانة طفلها بعد أن قضت مع ذلك الرجل عامين من التعاسة بسبب عربدته، وبعد ذلك بسنوات قليلة تُوُفّي طفلها، ولكي تخفّف عن نفسها المتاعب العديدة التي كانت تعاني منها وجّهت تفكيرها نحو الاستثمار الذي كان يجري حبها له في عروقها، ثم اشتركت مع والدها في عمليات المصارف.

وبعد موت والداها أصبحت شخصية خطيرة في عالم المال لامتلاكها ثروات طائلة، ثم جاءت إلى لندن فاستقبلها موظّف شاب ليأخذ منها المستندات المختلفة، وبعد ستة أشهر صعق العالم عندما سمع بنبأ زواجها بذلك الموظّف الذي يُدعى أليستير بلنت والذي كان يصغرها بعشرين سنة تقريباً، فتغامز الناس وضحكوا وقال عنها أصدقاؤها: إنها إنسانه غبية بدرجة مستعصية مما جعل الرجال يضحكون عليها. لقد ضحك عليها سانزفيراتو قبل ذلك، واليوم يضحك عليها ذلك الشاب الذي تزوجها من أجل أموالها.

كما قال الناس بأنها قد أصابتها محنة جديدة، ولكن الجميع

دهشوا عندما نجح زواجها ببلنت، وتحطّمت نبوءة الذين قالوا إن أليستير بلنت سوف يهدر أموالها على نساء أُخريات، فقد بقي مخلصاً لزوجته، وحتى بعد وفاتها بعد ذلك بعشر سنوات عندما ورث ثروتها الطائلة وتحرّر منها لم يتزوج مرّة ثانية، واستمرّ يعيش نفس الحياة الهادئة البسيطة. وكانت عبقريته في مجال المال لا تقلّ عن عبقرية زوجته، كما كانت تقديراته ومعاملاته مضبوطة وتماسكه شديداً. لقد سيطر على استثمارات أرنهولت وروزرشتين بإمكانياته الخاصة، ولم يندمج في المجتمعات إلا قليلاً. وكان يمتلك منزلاً في كِنت وآخر في نورفولت حيث تعوّد أن يقضي عطلات الأسبوع مع أصدقاء عاديين هادئين، لا مع جماعات صاخبة، كما كان مُولعاً بلعب الغولف الذي كان يجيده ويحبّ فلاحة البساتين.

كان ذلك هو الرجل الذي توجّه إليه كبير المفتشين جاب وهيركيول بوارو.

* * *

وصل جاب وبوارو إلى المنزل القوطي الذي كان علامة مميزة لشاطئ سيليزيا. قال السيد أليستير: هل أنت السيد جاب كبير المفتشين؟

فتقدّم جاب ناحيته وقدّم هيركيول بوارو، فنظر إلى بوارو باهتمام وقال: أنا أعرف اسمك بالطبع يا سيد بوارو، ربما كنت قد عرفته مؤخّراً بالتأكيد.

وانتظر قليلاً ليفكّر، فردّ عليه بوارو قائلاً: هذا الصباح يا سيدي، في حجرة الانتظار بعيادة الدكتور مورلي المسكين.

فتذكّر بلنت ما حدث للدكتور مورلي المسكين وقال: بالطبع.

لقد رأيتك في مكان ما.

ثم استدار ناحية جاب وقال: ما الذي يمكنني أن أقدّمه لكما؟ أنا آسف للغاية لما حدث للدكتور مورلي. لقد كان يبدو في صحة جيدة وروحه المعنوية مرتفعة هذا الصباح.

وانتظر قليلاً ثم قال بابتسامة صبيانية: في الحقيقة أنا أخاف من الذهاب إلى طبيب الأسنان، كما أنني أكره الحفّار الذي يستخدمه الطبيب، ويستمرّ خوفي حتى ينتهي الطبيب من مهمته وأنصرف، ولكنني يجب أن أقول لك إن مورلي كان طبيعياً ومبتهجاً ومنهمكاً في عمله.

- هل تتردّد عليه دائماً؟

- أعتقد أن هذه كانت زيارتي الثالثة أو الرابعة؛ إذ لم تسبّب لي أسناني إزعاجاً إلا في العام الماضي. لقد كان بها كسر على ما أعتقد.

- ومَن الذي أوصاك بأن تذهب إلى الدكتور مورلي؟

فقطب بلنت جبينه محاولاً أن يتذكّر ثم قال: دعني أتذكر. لقد شعرت بألم مفاجئ فنصحني شخص أن أذهب إلى الدكتور مورلي في شارع الملكة شارلوت، ولكنني لا أذكر مطلقاً اسم ذلك الشخص، أنا آسف.

فقال بوارو: إذا تذكّرت اسمه فهل ستقوله لأحدنا؟

فنظر أليستير بلنت إليه بفضول ثم قال: بالطبع سوف أقول، ولكن لماذا؟ هل هذا يهم؟

فقال بوارو: أعتقد أن الاسم مهمّ للغاية.

وعندما هبطا الدرَج رأيا سيارة تقترب أمام المنزل، وكانت سيارة سباق من النوع الذي تلتوي عجلاته، ثم نزلت من السيارة فتاة نحيفة إلى درجة أن الناظر إليها يتصوّر أنها تتكّون من ذراعين وساقين فقط، وعندما نزلت من السيارة كان الرجلان قد اتجها إلى الشارع، فوقفت الفتاة على الرصيف ونظرت إليهما ثم قالت فجأة بصوت قوي: أيها السيدان.

ولم يدرك الرجلان أنها تنادي عليهما فلم يتلفتا، فكرّرت الفتاة نداءها فتوقّفا ونظرا إليها متسائلَين، فسارت الفتاة نحوهما. واستمرّ الانطباع بأنها تتكوّن من رِجلين وذراعين فقط، وقد كانت طويلة نحيفة ووجهها يدلّ على الذكاء والحيوية مما يعوّضها عن نقص جمالها، وكانت بشرتها سمراء وخدها به نمش. قالت الفتاة وهي تخاطب بوارو: أنا أعرف من أنت، أنت المخبر هيركيول بوارو.

وكان صوتها دافئاً عميقاً وبه أثر لكنة أمريكية، فردّ عليها بوارو قائلاً: تحت أمرك يا آنسة.

ثم اتجهت عيناها إلى رفيقه فقال لها بوارو: هذا كبير المفتشين جاب.

فاتّسعت عيناها فزعاً ثم قالت بصوت متهدّج: ماذا كنتما تفعلان هنا؟ هل حدث شيء لخالي أليستير بلنت؟

فقال بوارو بسرعة: لماذا تظنين ذلك يا آنسة؟

- إذن لم يحدث شيء؟ حسناً.

فالتقط جاب السؤال من بوارو وقال: لماذا تظنين أن شيئاً قد حدث للسيد أليستير بلنت يا آنسة...؟

وتوقّف متسائلاً فقالت الفتاة بطريقة طبيعية: أوليفيرا، جين أوليفيرا. ثم ضحكت ضحكة صغيرة غير مقنعة وقالت: عندما يكون رجل الشرطة على الدرَج فإن المرء يتوقّع القنابل فوق السطح، أليس كذلك؟

- ولكنه لم يحدث شيء للسيد بلنت يا آنسة أوليفيرا.

فنظرت مباشرة إلى بوارو وقالت: هل استدعاك لعمل شيء.

فقال جاب: بل نحن الذين أتينا إليه يا آنسة أوليفيرا لنرى إذا كان في إمكانه أن يلقي بعض الضوء على حادث الانتحار الذي وقع هذا الصباح أم لا.

فقالت بدهشة: انتحار؟! من؟ وأين؟

- شخص اسمه السيد مورلي، وهو طبيب أسنان عمره ثمانية وأربعون عاماً يسكن في شارع الملكة شارلوت.

- يا إلهي!

قالتها بوضوح ثم حملقت وقالت بطريقة غير متوقّعة: ولكن هذا غير معقول!

ثم استدارت وهرولت ناحية الدرَج بطريقة مفاجئة دون توديع ثم فتحت الباب بمفتاح كان معه، فقال جاب: هذا أمر غريب.

وقال بوارو متأملاً: هذا أمر يدعو إلى الاهتمام.

ولكن جاب جمع شتات فكرة ونظر إلى ساعته، ثم نادى سيارة أجرة قريبة وقال: سوف يكون الوقت متسعاً لنقابل ساينسبري سيل ونحن في الطريق إلى فندق سافوي.

* * *

كانت الآنسة ساينسبري تحتسي الشاي في صالة فندق غلنغوري كورت المضاءة إضاءة بسيطة، وقد ارتبكت عندما شاهدت ضابط شرطة بملابس عادية، ولكن ارتباكها كان له طعم محبّب كما قال بوارو الذي لاحظ أنها ما زالت لم تثبّت إبزيم حذائها. قالت الآنسة سيل: في الحقيقة أنا لا أدري أين نذهب لنكون بمفردنا يا سيادة الضابط، إن الأمر صعب لأننا في وقت تناول الشاي، ولكنك تحبّ أن تتناول شاياً أنت وصديقك طبعاً.

فردّ جاب قائلاً: لا، شكراً يا سيدتي. أعرّفك بالسيد بوارو.

فقالت سيل: أحقاً؟ إذن فلن تشربا شاياً، لنحاول أن نجلس في غرفة الاستقبال رغم أنها مكتظّة دائماً. حسناً، إنني أرى ركناً هناك في الاستراحة ليس به أحد، فهل نذهب إلى هناك؟

ثم اتجهت إلى مكان منعزل بعض الشيء به كرسيان وأريكة، فتبعها جاب وبوارو الذي التقط لها شالاً ومنديلاً وقعا منها في الطريق ثم ناولها إياهما فقالت: آه، شكراً لك، أنا مهملة حقاً. والآن يا سيادة المفتش. عفواً، بل يا كبير المفتشين، سلني عمّا شئت. إن الأمر محزن جداً، ويا له من رجل مسكين. ربما كان يعاني من متاعب في عقله، فنحن نعيش في زمن الأحزان.

- هل بدا لك الدكتور مورلي متبرّماً يا آنسة سيل؟

ففكرت الآنسة سيل ثم قالت: لا أستطيع أن أقول بالضبط إنه كان متبرماً، ولكن كان عليّ أن ألاحظ ذلك، ولكنني جبانة.

ثم ضحكت ورتّبت خصلات شعرها التي تشبه خصلات الطائر، فقال جاب: هل يمكنك أن تخبرينا عمّن كان يوجد في حجرة الانتظار عندما كنت هناك؟

– دعني أتذكّر. كان يوجد شاب عندما دخلت الحجرة، وأعتقد أنه كان يتألّم لأنه كان يكلّم نفسه وينظر بوحشية وهو يقلّب صفحات مجلّة، ثم قفز فجأة وخرج. بالتأكيد كان يعاني من آلام مبرحة.

– هل خرج من المنزل عندما ترك الحجرة؟

– لا أدري مطلقاً، وأعتقد أنه شعر بأنه لا فائدة من الانتظار وأنه يجب أن يرى الطبيب، ولكن يبدو أنه لم يذهب إلى الدكتور مورلي لأن الغلام جاء وصحبني إليه بعد عدّة دقائق.

– وهل عدت إلى حجرة الانتظار بعد أن انتهيت من مقابلة الدكتور مباشرة؟

– لا؛ لأنني مشّطت شعري ولبست القبّعة في حجرة الدكتور مورلي، وقد تعوّد بعض الناس أن يخلعوا قبّعاتهم في حجرة الانتظار، ولكنني لا أفعل ذلك لأنني كنت قد وضعت قبّعة جديدة على الكرسي وعندما نزلت كي آخذها وجدت أن طفلاً قد جلس عليها.

فقال جاب: هل هذا معناه أنك قد لاحظت ذلك الشاب الذي كان يعاني من آلام في أسنانه فقط؟

– لا، فقد رأيت رجلاً يهبط الدرَج عندما كنت في طريقي إلى الدكتور مورلي. نعم، لقد تذكّرت، إنه رجل أجنبي غريب الملامح.

فسعل جاب، فقال بوارو باعتزاز: إنه أنا يا سيدتي.

فنظرت إليه سيل ثم قالت: أجل، أجل، لقد كنت أنت فعلاً. معذرة، أنا أفخر بأن ذاكرتي للوجوه قوية، ولكن الضوء هنا

ضعيف، أليس كذلك؟ أرجو أن تسامحني.

فقال جاب: ألم يذكر الدكتور مورلي مريضاً باسم أمبريوتيز؟

- نعم، لم يقُل شيئاً فيما عدا كلام أطباء الأسنان المعتاد.

ثم انتقل جاب إلى الخطوة التالية، وهي ضرورة أن تُدلي الآنسة سيل بشهادتها في التحقيق. وبعد صرخة تأفّف وافقت، ثم أدّى بها تسلسل الموضوع إلى أن تروي تاريخ حياتها، ويبدو أنها كانت قد جاءت من الهند إلى إنكلترا منذ ستّة أشهر عاشت خلالها في الفنادق المختلفة والمنازل المفروشة، إلى أن انتهى بها المطاف إلى فندق غلنغوري كورت حيث كانت تعمل مع إرسالية وتعلّم البلاغة، ثم قالت بتعالٍ وهي تبتسم: إن الإنكليزية الصحيحة التي تُنطق جيداً مهمّة يا كبير المفتشين، وأنا عندما كنت صغيرة كنت أُمثّل على المسرح في أداور صغيرة بالإقليم، ولكنني كنت طموحة أحلم بأن أعمل في مسارح كبيرة، ثم قمت بجولة حول العالَم فمثّلت مسرحيات لشكسبير وبرنارد شو. ولكن مشكلتنا نحن النساء هي القلب، فنحن نعيش تحت رحمة القلب. لقد اندفعت في زواج عاطفي ولكن للأسف انفصلنا بسرعة؛ فقد خُدعت، ولكنني استطعت أن أستردّ اسمي الأول، وقد أمدّني صديق برأس مال صغير فتحت به مدرسة للبلاغة وتمكّنت من أن أكوّن جماعة مسرحية من الهواة. يجب أن أُريكما لقطات من مسرحياتنا.

فأدرك كبير المفتشين خطورة ذلك فهرب من الإجابة على كلامها، فقالت سيل: على أية حال إذا ظهر اسمي في الصحف باعتباري شاهدة في التحقيق فيجب أن تتأكّد من أن اسمي سوف يُكتب صحيحاً، مابيل ساينسبري سيل، مابيل، ميم ألف باء ياء

لام، وإذا شئتم فاذكروا أنني ظهرت في مسرحية «كما تحبّها» على مسرح أكسفورد.

فهرب جاب إلى سيارة أجرة وهو يقول: طبعاً، طبعاً.

ثم تنهّد وهو يمسح عرقه ويقول: إذا استدعت الضرورة فيجب أن نراجع كلامها، إلا إذا ثبت أنه مجموعة من الأكاذيب، ولكنني لا أعتقد ذلك.

فهزّ بوارو رأسه وقال: إن الكذابين لا يمكن أن يقولوا كل هذه التفصيلات التافهة.

فقال جاب: لقد خشيت أن تراوغ في إجاباتها كما تفعل العوانس اللواتي في مثل سنّها، ولكنها أجابت باستفاضة امرأة ممثّلة. يا لها من سيدة غريبة!

فسأله بوارو قائلاً: هل تريدها أن تحضر المحاكمة حقاً؟

فردّ جاب قائلاً: حسب الأحوال.

وصمت برهة ثم استطرد قائلاً: أنا مقتنع الآن أكثر من أي وقت مضى بأن الحادث لم يكن انتحاراً.

- وما هو إذن؟

- دعنا نناقش الأمر الآن، لنفرض أن مورلي خدع ابنة أمبريوتيز.

وصمت بوارو وهو يحاول أن يتصوّر الدكتور مورلي وهو يخدع تلك الفتاة اليونانية، ولكنه فشل في أن يتصوّر ذلك، ثم ذكّر صديقه جاب بما قاله الدكتور ريلي من أن مورلي لم تكن له صديقات، فقال جاب بغموض: حسناً، أنت لا تتصوّر ما يحدث

في أثناء نزهة بحرية.

وصمت جاب برهة ثم استطرد قائلاً: سوف نعرف أين نقف عندما نتحدّث مع ذلك الرفيق.

ثم دفعا الأجرة لسائق السيارة الأجرة ودخلا فندق سافوي، وقد نظر الموظف إليهما باستغراب ثم قال: أتريدان السيد أمبريوتيز؟ أنا آسف يا سادة، أخشى أن لا ترياه أبداً.

فقال جاب بغضب: أنا يا بني...

وأظهر له بطاقته الشخصية فردّ الموظف قائلاً: أنت لم تفهمني يا سيدي، إن السيد أمبريوتيز قد مات منذ نصف ساعة.

فبدا الأمر لهيركيول بوارو كما لو أن باباً أُغلق في وجهه بعنف.

* * *

الفصل الثالث

بعد أربع وعشرين ساعة اتصل جاب ببوارو وكانت لهجته مشبعة بالمرارة وهو يقول: انسَ كل شيء.

- ماذا تقصد يا صديقي؟

- لقد انتحر مورلي بالفعل، وقد عرفنا الدافع.

- وما هو؟

- لقد حصلت تواً على تقرير الطبيب عن موت أمبريوتيز، وأنا لا أستطيع أن أعيد عليك التقرير الطبي الرسمي بالحرف، ولكنني سأقول لك بكلمات بسيطة إنه مات نتيجة جرعة مضاعفة من الإدرينالين والبروكين، وقد أثّرت هذه الجرعة على قلبه وانهار بعد ذلك. وعندما قال لي ذلك الشيطان المسكين إنه كان يشعر بتوعّك أمس كان يقول الحقيقة، وكما تعلم فإن الإدرينالين والبروكين هما الخليط الذي يحقنه أطباء الأسنان في اللثة كمخدر موضعي، وقد ارتكب مورلي خطأً بأن حقن أمبريوتيز بجرعة مضاعفة، وعندما غادر أمبريوتيز عيادته أدرك مورلي ما فعله فلم يستطع مواجهة المأساة فأطلق النار على نفسه.

فسأله بوارو قائلاً: هل من المعقول أن ينتحر بمسدس كان الجميع يعرفون أنه لا يمتلكه؟

- ربما كان المسدس ملكه، فالأقرباء لا يعرفون كل شيء. هل أنت متفق معي على أن هذا تفسير منطقي للأمر كله؟

فقال بوارو: أنت تعلم إن هذا التفسير لا يرضيني يا صديقي. إن المرضى يمكن أن يتأثّروا بالمخدّر الموضعي لأن الحساسية ضد المخدّر أمر معروف، كما أنه توجد تأثيرات سامة تتبع تعاطي الجرعات الصغيرة أحياناً، ولكن الطبيب الذي يستخدم المخدّر لا يقلق إلى درجة الانتحار.

- أجل، ولكنك تتحدّث عن الحالات التي يُستخدم فيها المخدّر استخداماً عادياً، وفي هذه الحالات لا يُلام الجرّاح المختصّ لأن الحساسية تكون هي سبب الموت، ولكن في حالتنا هذه واضح أنه توجد جرعة مضاعفة، وموظّفو المعامل لم يصلوا بعدُ إلى تحديد الكمّية بالضبط لأن تحاليل الكميات تأخذ عدّة أسابيع، ولكن من الواضح أنها كانت جرعة أكبر من الجرعة المعتادة، وهذا يعني أن مورلي ارتكب خطأ.

فقال بوارو: حتى لو كان قد حدث هذا فإنه مجرّد خطأ ولا يمكن أن تكون مسألة جنائية.

- ولكن هذا ليس في صالح مهنته ومن الممكن أن يقضي على سمعته كطبيب؛ إذ لا يمكن أن يذهب أي شخص إلى طبيب أسنان يحقن مرضاه بجرعات مميتة من المخدّر، لا لسبب إلا لأن الطبيب كان مشتّت الفكر.

- أنا أعترف بأنه شيء مثير للدهشة.

- إن مثل هذه الأمور تحدث للأطباء والكيمائيين، إذ يظلّ هؤلاء يقظين وأهلاً للثقة لعدّة سنوات، وفي لحظة عدم انتباه

تقع المصيبة ويضيع هؤلاء المساكين، وقد كان مورلي رجلاً حساساً.

فاعترض بوارو قائلاً: ألم يترك رسالة يتحدّث فيها عمّا فعله ويقول إنه لم يكن يستطيع مواجهة النتائج أو شيء من هذا القبيل؟ ألم يترك كلمة لأخته؟

- نعم، لم يترك شيئاً، فأنا أظن أنه أدرك فجأة ماذا اقترفت يداه، ففقد أعصابه وتخلّص من نفسه بأسرع طريقة.

ولم يُجِب بوارو، فقال جاب: أنا أعرف يا عزيزي أنك ما إن تدخل في قضية حتى تحب أن تحوّلها إلى قضية قتل حقيقية، وأنا أعترف بأنني أنا المسؤول عن وضعك على الطريق هذه المرّة، وقد أخطأت بفعلتي هذه، وأنا أعترف بذلك صراحة.

فقال بوارو: أعتقد أنه يوجد تفسير آخر.

- بل الكثير من التفسيرات الأخرى، وقد فكّرت في تلك التفسيرات ولكنها جميعاً خيالية، دعنا نقُل مثلاً إن أمبريوتيز أطلق النار على مورلي وعاد إلى المنزل مشحوناً باللوم فانتحر مستخدماً بعض مواد كان قد سرقها من حجرة عمليات مورلي، وإذا قلت إن هذا محتمل فسأقول لك إن هذا غير محتمَل إطلاقاً؛ فإن لدينا سجلاً لأمبريوتيز في اسكتلنديارد، وهو سجلّ مثير للغاية، حيث إنه قد بدأ حياته في اليونان كموظّف في فندق، وبعد ذلك دخل إلى عالم السياسة فقام بعمليات تجسّس في ألمانيا وفرنسا جمع عن طريقها كميات صغيرة من المال، ولكنه لم يغتنِ بذلك، ويُعتقد أنه اختلس مرّة أو مرتين. إن أمبريوتيز ليس رجلاً شريفاً، وقد سافر في العام الماضي إلى الهند ويقال إنه نهب أموال أحد الأمراء، والغريب في الأمر أن أحداً لم يملك دليلاً واحداً ضده، فهو يشبه

ثعبان السمك. ويوجد احتمال آخر وهو أن يكون قد اختلس أموال مورلي أو شخص آخر، وكانت أمام مورلي فرصة ذهبية لقتله فحقنه بجرعة مضاعفة من الإدرينالين والبروكين على أمل أن يثبت في التحقيق أن الحادث كان نتيجة خطأ، ولا تعدو مجرّد حساسية ضدّ المخدّر أو شيء من هذا القبيل، ولكن بعد أن انصرف الرجل لام مورلي نفسه وانتحر. هذا محتمل بالطبع، ولكنني لا يمكن أن أتصوّر أن مورلي كان قاتلاً محترفاً، وأنا واثق مما قلته من قبل، وهو أنه كان خطأً حقيقياً ارتكبه مورلي ذلك الصباح عندما كان مرهقاً. علينا أن نُنهي القضية عند هذا الحدّ، وقد تحدّثت إلى أ. س. والأمور واضحة أمامه.

فقال بوارو وهو يتنهد: فهمت.

فردّ جاب برفق قائلاً: أنا أعرف بمَ تشعر يا عزيزي، ولكن لا يمكن أن تحصل على قضية قتل حقيقية في كل مرّة. إلى اللقاء، إن كل ما يمكن أن أقوله لك ككلمة اعتذار هي تلك العبارة القديمة: آسف لإزعاجك.

ووضع سمّاعة الهاتف.

* * *

كان هيركيول بوارو يجلس في مكتبه الأنيق الحديث وأمامه ورقة مربّعة عليها توقيعات وعناوين أمامها علامات غريبة مكتوب عليها: «الاسم الأول: أمبريوتيز، تجسّس. هل كان في إنكلترا لهذا الغرض؟ لقد كان في الهند في العام الماضي خلال فترة من القلق والاضطرابات، يمكن أن يكون شيوعياً». ثم مساحة فارغة كتب بعدها: «فرانك كارتر، كان مورلي لا يرتاح إليه، وقد فُصل من عمله مؤخراً. لماذا؟»، وبعد ذلك كانت هذه الجملة بين قوسين:

(هذا غير معقول).

ثم قرأ المزيد قائلاً: السيد بارنز. وانتظر برهة ثم كتب: «مكتب مورلي، علامة السجادة، احتمالات».

وأخذ يتدبّر هذه العبارة الأخيرة بعض الوقت، ثم وقف وتناول عصاه وقبّعته وخرج.

* * *

خرج هيركيول بوارو من المحطة السفلية في شارع إيلنغ بعد ثلاثة أرباع ساعة، وبعد ذلك بخمس دقائق وصل إلى هدفه، وهو المنزل رقم ثمانية وثمانين بطريق كاستل غاردنز.

كان السيد بارنز في المنزل، فأُدخل بوارو إلى حجرة طعام صغيرة وهناك جاءه السيد بارنز على الفور، وكان السيد بارنز رجلاً نحيف الجسم له عينان لامعتان ورأس أصلع. نظر بارنز إلى ضيفه من فوق نظارته وهو يطوي البطاقة التي كان بوارو قد أعطى الخادمة إياها ثم قال بصوت ضعيف: حسناً يا سيد بوارو. لقد شرّفنا حضورك بالتأكيد.

فردّ بوارو بحزم قائلاً: أرجو أن تعذرني لحضوري إليك بهذه الطريقة غير الرسمية.

فقال بارنز: هذه هي أحسن طريقة، كما أن الوقت يدعو إلى الإعجاب، فنحن في السابعة إلا الربع، وهذا وقت مناسب في هذه الفترة من السنة لاصطياد أي شخص في منزله.

ثم حرّك السيد بارنز يده وقال: اجلس يا سيد بوارو. أنا متأكّد من أن لدينا الكثير الذي يمكن أن نناقشه، وأتوقع أن تكون المناقشة عن رقم ثمانية وخمسين بشارع الملكة شارلوت.

فقال بوارو: توقّعك صحيح، ولكن لماذا تتوقّع مثل هذا الأمر؟

فردّ بارنز: يا سيدي العزيز، رغم أنني تركت الخدمة منذ فترة إلا أن الصدأ لم يصبني بعدُ. لو كان يوجد أمر سرّي فالأفضل أن لا تستخدم الشرطة لأنهم يُثيرون الانتباه إلى الأمر كله.

فقال بوارو: سوف أطرح سؤالاً آخر. لماذا نفترض أن هذا الأمر سرّي؟

فأجاب الآخر قائلاً: أليس هو كذلك؟ حسناً، إذا لم يكن الأمر كذلك ففي ظني أنه يجب أن يكون سرّياً.

ثم مال إلى الأمام وقال: إن العمل في الخدمة السرّية ليس هو الحصول على النحل، وإنما على العسل، ولكنك في أثناء حصولك على العسل لا يجب أن تزعج النحل.

فقال بوارو: يبدو لي أنك تعرف أكثر منّي يا سيدي بارنز.

فردّ الآخر قائلاً: أنا لا أعرف شيئاً على الإطلاق، أنا فقط أجمع اثنين اثنين.

فردّ بوارو وقال على الفور: أتقصد أمبريوتيز؟

- هل نسيت أنني جلست أمامه في حجرة الاستقبال لمدّة دقيقة أو اثنتين ولم يرُقني؟ وقد استطعت أن أخمّن سبب تواجده.

- وما سبب تواجده؟

فلمعت عينا السيد بارنز وقال: نحن قوم متعبون محافظون في هذا البلد، محافظون حتى النخاع، وأحياناً نعترض ولكننا لا نريد أن نحطّم حكومتنا الديمقراطية، ونحاول أن نقوم بتجارِب

سياسية جديدة، وهذا الأمر يخيّب أمل الأجنبي التعس الذي يعيش في بلادنا ويعمل كل الوقت أو أكثره، فيرى الأجنبي أننا نذوب بسرعة في هذا البلد، ولا توجد دولة أخرى في أوروبا تفعل ما نفعل. إذا أردت أن تقلب بريطانيا رأساً على عقب فضع اقتصادها في الجحيم، بهذه الطريقة فقط يمكن أن تقلبها، ولكنك لا تستطيع أن تضع اقتصاد بريطانيا في الجحيم ما دام يوجد رجل مثل أليستير بلنت على رأس اقتصادها.

وتوقّف السيد بارنز لحظة ثم قال: إن بلنت من النوع الذي يستطيع أن يعيش في حدود دخله سواء كان يكسب بنسين أو عدّة ملايين، فالأمر لا يختلف، وفي رأيه أن الدولة يمكن أن تكون مثله دون تكاليف باهظة لمشروعات عملاقة يمكن أن تتحقق. لهذا كله قرّر البعض أن يختفي أليستير بلنت.

فقال بوارو: ماذا؟

فأومأ السيد بارنز وقال: نعم، أنا أتحدث عن صنفَين، قوم طيبين لهم شعور طويلة وأعيُن متحمّسة وآمال كبيرة في حياة أفضل، وقوم أشرار كالفئران الهاربة لهم شعور طويلة ولُكنة أجنبية وأجساد ضخمة، ولكنّ الصنفَين تجمعهم فكرة التخلّص من بلنت، فهم يريدون إنهاء النظام القديم، العمال والمحافظين ورجال الأعمال المترددين الأغبياء. ربما كانوا على حق، ولكن كل ما أعرفه أنك إن أردت تغيير النظام فعليك وضع نظام جديد عملي، لا مثالي يضجّ بالرنين الأجوف. علينا عدم الاستطراد في هذا الاتجاه، ويجب أن نتعامل مع الحقائق الواقعية الملموسة. عليك إبعاد الأعمدة لينهار المبنى، وبلنت أحد الأعمدة. إنهم يطاردون بلنت بالفعل، وأظنهم اقتربوا منه جداً صباح أمس.

وصمت برهة ثم ذكر ثلاثة أسماء بهدوء وحرص، الاسم الأول لمستشار نقض كفء غير عادي، والثاني لمهندس تقدّمي بعيد النظر، والثالث لسياسي شاب متفائل شدّ انتباه الرأي العام. وقد مات الأول في حجرة العمليات، وأُصيب الآخر بمرض خبيث بعد فوات الأوان، ودهمت الثالث سيارة فأردته قتيلاً. من السهل أن تقول عن الحالة الأولى إن طبيب التخدير فشل في إعطاء المخدّر، وهذا أمر ممكن الحدوث، أما في الحالة الثانية فقد كانت الأعراض محيّرة، وقد كان الطبيب ممارساً عاماً مبتدئاً ولم يكن متوقعاً أن يُكتشف المرض، وفي الحالة الثالثة كانت أمّ تقود سيارتها بسرعة لترى ابنها المريض، وكانت مخمورة فأعفاها القاضي من الجريمة.

وصمت بارنز برهة ثم استطرد قائلاً: لقد بدا كل شيء طبيعياً ثم نُسي بعد ذلك، ولكنني سأقول لك أين هؤلاء الأشخاص الثلاثة الآن، أما طبيب التخدير فيملك معمل أبحاث من الدرجة الأولى دون أن يدفع أية نفقات، وأما الممارس العام فقد ترك مهنته ويمتلك الآن قارباً ومنزلاً رائعاً في برودز، وأما الأم فإنها تعلّم أبناءها في مدارس من الدرجة الأولى وتركب معهم الخيل في أيام العطلات وتعيش في منزل بالريف تحيط به حديقة غنّاء.

ثم خفض رأسه ببطء وقال: في كل مهنة يوجد شخص يمكن استخدامه، ومشكلة قضيتنا أن مورلي لم يكن من هذا النوع.

فقال هيركيول بوارو: هل تعتقد أن الأمر كذلك؟

فقال السيد بارنز: نعم، أعتقد ذلك. ليس من السهل أن نحصل على رجل كبير كما تعلم، فهؤلاء الكبار محميّون جيداً، ولكن المرء يكون ضعيفاً على كرسي طبيب الأسنان.

وخلع نظّارته فمسحها ثم لبسها مرّة أخرى وقال: هذه هي نظريتي. لم يكن مورلي ليقوم بالأمر، ولكنه كان يعرف عنه الكثير، لذلك قرّر هؤلاء التخلّص منه.

فسأل بوارو: هؤلاء؟

- عندما أقول «هؤلاء» فأنا أقصد المنظّمة التي تقف وراء هذا كله، ولكنّ شخصاً واحداً فقط هو الذي أدى المهمّة بالطبع.

- أي شخص؟

فقال السيد بارنز: حسناً، يمكنني أن أخمّن، ولكن هذا مجرّد تخمين، وقد أكون على خطأ.

فقال بوارو: أتقصد ريلي؟

- نعم، فهو الشخص المقصود. أنا أعتقد أنه من المحتمل أنهم لم يسألوا مورلي أن ينفّذ المهمّة بنفسه، إن كل دوره كان يتلخّص في أن يحوّل بلنت إلى شريكه في اللحظة الأخيرة، ثم يحدث مرض مفاجئ أو شيء من هذا القبيل. وقد كان ريلي قادراً على أن ينفّذ المهمّة الحقيقية، وفي هذه الحالة تحدث حادثة تدعو إلى الندم، وهي موت رجل مصرفي مشهور على يد طبيب أسنان شاب سيئ الحظ في حالة من التعاسة تدعو إلى نسيان الأمر كله تدريجياً، وبعد ذلك كان ريلي سيترك مهنة الطب ويعيش بدخل كبير يربو على عدّة آلاف كل عام.

ثم نظر بارنز إلى بوارو وقال: لا تعتقد أنني أنسج خيالات، إن مثل هذه الأمور تحدث. نعم، أنا أعلم أنها تحدث.

فقال بوارو: وأين دور أمبريوتيز في رأيك؟

- لست متأكداً تماماً، وأعتقد أن النية كانت متّجهة إلى أن يتحمّل هو اللوم. لقد لعب دوراً مزدوجاً أكثر من مرّة، وأظن أنه متورّط مع شبكة تجسّس، ولكن هذا مجرّد ظن.

فقال هيركيول بوارو بهدوء: لو افترضنا أن أفكارك صحيحة فماذا يحدث بعد ذلك؟

فحكّ بارنز أنفه وقال: سوف يحاولون مرّة أخرى. إن الوقت قصير، وأعتقد أن لبلنت حراساً، لذلك عليهم أن يكونوا حذرين، وليس من الضروري أن يختبئ رجل وراء شجرة وهو يحمل مسدساً، فقد أصبح هذا الأمر ساذجاً. قل لهم أن يبحثوا عن أناس محترَمين، عن أقرباء أو خدم قدامى أو مساعد الصيدلي الذي يركّب الدواء أو بائع المشروبات الذي يبيع له. إن إبعاد أليستير بلنت عن الطريق يساوي عدّة ملايين، وسوف يفعل المرء أي شيء ليحصل على دخل سنوي يبلغ أربعة آلاف جنيه في العام مثلاً.

قال بوارو: أنا أفكر في ريلي منذ البداية، إلا أنه كانت توجد علامة على السجادة وكأن الجسد قد سُحب فوقها، ولكن لو كان أحد المرضى قد أطلق النار على مورلي لكان قد قُتل في حجرة العمليات ولما احتاج الأمر إلى أن يحرّك جثته، لهذا فأنا أخمّن أن يكون قد أُطلق الرصاص عليه في مكتبه لا في حجرة العمليات، ولكن معنى هذا أن أحداً من منزله هو الذي أطلق النار عليه لا أحد المرضى.

فردّ بارنز بإعجاب قائلاً: بالضبط.

ثم نهض بوارو ومدّ يده وقال: شكراً لك، لقد ساعدتني كثيراً.

* * *

في طريقه إلى المنزل زار بوارو فندق غلنغوري كورت، وبعد الزيارة اتصل بجاب في وقت مبكّر من صباح اليوم التالي وقال: صباح الخير يا عزيزي. إن المحاكمة اليوم، أليس كذلك؟

- بلى، وهل ستحضرها؟

- لا أظن.

- إنها لا تستحق اهتمامك على ما أعتقد.

- هل ستدعو الآنسة ساينسبري سيل كشاهدة؟

- مابيل المحبوبة؟ لماذا لا تنطق اسمها بطريقة واضحة؟ إن هؤلاء النسوة يُثرن غيظي. لا، لن أستدعيها؛ فلسنا بحاجة لها.

- ألم تسمع شيئاً عنها؟

- نعم، لم أسمع. لماذا؟

فقال بوارو: عجباً! قد يهمّك أن تعلم أن الآنسة ساينسبري سيل خرجت من فندق غلنغوري كورت قبل الغداء أول أمس ولم تعُد إلى الآن.

- ماذا؟ هل فعلتها؟

- هذا تفسير محتمَل.

- ولكن لماذا تهرب؟ إنها بعيدة تماماً عن الشك. لقد قمت بتحرّياتي عنها قبل معرفتي لسبب موت أمبريوتيز، وجاءتني نتيجة التحرّيات أمس تفيد بأن كل شيء على ما يُرام، وهي امرأة معروفة هناك منذ أعوام، وجميع المعلومات التي قالتها لنا عن نفسها صحيحة إلاّ موضوع زواجها، فقد تزوجت شاباً هندياً اكتشفت فيما بعد أن له علاقات بأخريات فانفصلت عنه، كما درست البلاغة

وساعدت في العروض المسرحية للهواة. هذه المرأة فوق شبهة الاشتراك في جريمة القتل. حسناً، أنا لا أفهم ما ترمي إليه. هل من الممكن أن تكون قد ملّت الفندق؟

فقال بوارو: إن حاجاتها لا تزال هناك، لم تأخذ شيئاً معها.

فسأله جاب قائلاً: ومتى ذهبت؟

- في نحو السابعة والربع.

- وماذا عن أصحاب الفندق؟

- إنهم في حيرة، وقد جُنّ جنون المديرة.

- ولِمَ لم يخبروا الشرطة؟

- لأنهم افترضوا أن السيدة إذا كانت قد غابت ليلة في الخارج، رغم أن مظهرها لا يدلّ على ذلك، فإنها ستغضب إذا عرفت أنه تمّ إبلاغ الشرطة بسببها عندما تعود. وقد اتصلت السيدة هاريسون مديرة الفندق بعدّة مستشفيات لترى هل أُصيبت الآنسة ساينسبري في حادث أم لا، وعندما وصلت كانت تفكّر في الاتصال بالشرطة، وقد كان ظهوري لها بمثابة استجابة لدعائها، ثم أخذت الأمر على عاتقي وشرحت لها أنني سأستعين بضابط ماهر.

فقال جاب: والمفترض أن ذلك الضابط الماهر هو أنا، أليس كذلك؟

- افتراضك صحيح.

فزمجر جاب وقال: حسناً، سوف أقابلك في فندق غلنغوري كورت بعد المحاكمة.

* * *

زمجر جاب عندما كانا ينتظران المديرة وقال: لماذا اختفت تلك المرأة؟

- إذن أنت تعترف بأن الأمر غريب، أليس كذلك؟

ولم يكن أمامهما متّسع من الوقت للنقاش إذ جاءت السيدة هاريسون صاحبة فندق غلنغوري كورت وهي مشحونة بالكلام وعلى وشك أن تبكي؛ فقد كانت حزينة على الآنسة ساينسبري سيل. ماذا يمكن أن يكون قد حدث لها؟ لقد درست كل الاحتمالات الصعبة مثل فقدان الذاكرة أو مرض مفاجئ أو اصطدام بحافلة أو هجوم واختطاف. وانتظرت السيدة هاريسون قليلاً ثم همست قائلة: يا لها من امرأة طيبة، لقد كانت تبدو السعادة والراحة عليها.

وطلب المفتش جاب أن تأخذهما إلى حجرة السيدة المفقودة ففعلت، وقد وجدا كل شيء أنيقاً منظماً، فكانت الملابس معلّقة في الخزانات وملابس السهرة مرتّبة وجاهزة على السرير، وفي الركن كانت توجد حقيبتا الآنسة المتواضعتان، وتحت طاولة الزينة كان يوجد صفّ من الأحذية بعضها من نوع أكسفورد واثنان من النوع الاستعراضي لهما كعب مَلكي ومزينان بصفوف جلدية، والبعض الآخر أحذية سهرة جديدة مصنوعة من الجلد الأسود اللامع، كما وجدا زوجاً من الصنادل. وقد لاحظ بوارو أن أحذية المساء كانت أصغر مقاساً من أحذية الصباح، وهذا مرجعه إما إلى خشونة في الأقدام أو إلى غرور صاحبة الأحذية. ثم سأل نفسه هل وجدت الآنسة وقتاً لربط حذائها قبل أن تخرج، فقد كان يأمل ذلك لأنه كان يهتم بالأناقة.

وكان جاب مشغولاً بقراءة بعض خطابات وجدها في دُرج

طاولة الزينة، ثم فتح هيركيول بوارو أحد الأدراج فوجده مليئاً بالملابس فأغلقه مرّة أخرى قائلاً: إن الآنسة كانت تؤمن بارتداء الصوف فوق الجلد مباشرة.

ثم فتح دُرجاً آخر فوجد به جوارب، وقال جاب: هل اهتديت إلى شيء يا بوارو؟

فردّ بوارو قائلاً بحزن وهو يمسك زوجاً من الجوارب: تسع بوصات، حرير رخيص الثمن.

فقال جاب: أنت لا تثمّن أشياء من أجل وصية يا عزيزي. يوجد خطابان من الهند وإيصال أو اثنان من جمعيات خيرية ولا توجد فواتير. إن الآنسة شخصية قديرة.

فردّ بوارو بأسى قائلاً: ولكن ذوقها في الملابس سيئ.

فقال جاب هو يراقب عنواناً على خطاب وصل منذ شهرين: ربما كانت تعتقد أن الملابس من المتع الدنيوية الزائلة.

وصمت برهة ثم استطرد قائلاً: ربما عرف هؤلاء الناس شيئاً عنها لأن عنوانهم وطريقة التخاطب تدلاّن على أنهم كانوا من الأصدقاء المقرّبين.

* * *

لم يكن يوجد شيء يشدّ الانتباه في فندق غلنغوري كورت، إلا أن الآنسة لم يبدُ عليها الضيق أو القلق وهي تهمّ بالخروج كما كان واضحاً. لقد كانت تنوي العودة إذ قالت لصديقتها السيدة بوليفو في الصالة: بعد الغداء سأحكي لك عمّا حدثتك عنه من قبل.

وقد كانت العادة في الفندق أن تتأكّد الإدارة من تناول النزيل غداءه فيما بين السابعة والنصف والثامنة والنصف، ولكنها لم تعُد، بل خرجت إلى طريق كروميل ثم اختفت.

ذهب جاب وبوارو إلى عنوان الأصدقاء في ويست هامبستيد، وهو العنوان الذي وجداه على الخطاب. كان المنزل جميلاً، وكانت العائلة التي تسكنه، وهي عائلة آدمز، عائلة كبيرة. لقد عاشوا في الهند لعدّة سنوات، وقد تحدّثوا بحرارة عن الآنسة سيل، ولكنهم لم يتمكّنوا من تقديم أية مساعدة تُمكّن من معرفة السبب في اختفائها، فهم لم يروها منذ شهر مضى أي منذ أن عادوا من عطلة عيد الفصح. وقد كانت الآنسة تعيش في فندق بالقرب من ميدان راسل في ذلك الوقت، وقد أعطت السيدة آدمز عنوان الفندق وعنوان بعض أصدقائها الإنكليز الهنود الذين كانوا يعيشون في ستريت هام.

وقد ذهب الرجلان إلى الفندق ثم إلى أصدقائها فوجدا أنها كانت تعيش في الفندق المذكور فعلاً، ولكن أصحاب الفندق لم يذكروا إلا القليل عنها، وتلك الذكريات القليلة لم تكن ذات فائدة، فقد قالوا إنها سيدة لطيفة قضت جزءاً من عمرها في الخارج، وكذلك لم يقدّم الأصدقاء في ستريت هام أية مساعدة لأنهم لم يروا الآنسة منذ شهر مضى بعد عودتهم من عطلة عيد الفصح.

وبقي احتمال أن يكون قد وقع للآنسة حادث، ولكن هذا الاحتمال استُبعد لأنه لم يعترف أي مستشفى بأن أحداً بأوصاف الآنسة سيل قد جاءت في حادث. لقد اختفت الآنسة ساينسبري سيل في الفضاء.

* * *

في صبيحة اليوم التالي ذهب بوارو إلى فندق هلبورن بالاس وسأل عن السيد هوارد ريكس، وفي ذلك الوقت لم يكن يدهشه أن يسمع أن السيد هوارد ريكس قد خرج ذات مساء ولم يعُد هو أيضاً، ولكن السيد هوارد ريكس كان في الفندق يتناول الإفطار، ويبدو أن منظر هيركيول بوارو في حجرة الطعام قد أعطى السيد ريكس متعة زائفة. ولم تبدُ على السيد ريكس الوحشية التي كان يذكرها بوارو عنه، ولكن فكّه كان قوياً بالفعل. حملق ريكس إلى ضيفه الذي لم يدعُه وقال بقلّة ذوق: ماذا تريد؟

فجذب بوارو كرسياً وقال: ألا تذكرني على الإطلاق يا سيد ريكس؟

- نعم، أنا لم أرَك طَوال حياتي.

- أنت مخطئ، فقد جلست معي في حجرة واحدة ما لا يقلّ عن خمس دقائق منذ ثلاثة أيام، ولم نكن في حفل وإنما كنا في حجرة طبيب أسنان.

فامتلأت عينا الشاب بعاطفة سرعان ما خبت وتغيّر سلوكه، فلم يعُد متبرّماً وإنما أصبح مرهَقاً، ثم قال بخشونة: ماذا تقصد بحضورك إلى هنا بهذه الطريقة؟

- هل زيارتي غير مناسبة لك؟

- أنا لا أعرف مَن أنت.

- عذراً.

ثم أخرج بوارو علبة بطاقاته وأخرج منها بطاقة فوضعها أمام ريكس، ومرة أخرى ظهر نفس الشعور على وجه ريكس، وهو شعور لم يستطع بوارو أن يعرفه. لم يكن شعور خوف وإنما كان

شعوراً عدوانياً أكثر منه خوفاً. وبعد ذلك الشعور ملأ الغيظ وجه ريكس ووضع البطاقة مرّة أخرى وقال: إذن هذا أنت؟ لقد سمعت عنك.

فردّ بوارو بتواضع قائلاً: أغلب الناس سمعوا عنّي.

- أنت شرطي سرّي خاص، أليس كذلك؟ من النوع الذي يستأجره الناس حينما لا يكون الأمر متعلّقاً بالمال بقدر ما هو متعلق بالمحافظة على الحياة.

فقال بوارو: إذا لم تشرب قهوتك فستبرد.

قالها بوارو بلهجة عطف وهيبة، فحملق إليه ريكس وقال: قُل لي، أي نوع من الحشرات أنت؟

فقال بوارو: إن القهوة في هذا البلد سيئة على أية حال.

فردّ ريكس بحماسة قائلاً: أجل، إنها كذلك.

- ولكنك إذا تركتها تبرد فستكون غير قابلة للشرب.

فانحنى الشاب إلى الأمام وقال: ماذا تريد؟ ما الذي دفعك إلى الحضور إلى هنا؟

فرفع بوارو كتفيه وهو يقول: أردت أن... أراك.

فردّ ريكس بشكّ قائلاً: آه، طبعاً.

ثم ضاقت عينا ريكس وقال: إذا كنت تبحث عن المال فقد جئت إلى الرجل غير المناسب. إن القوم الذين أعمل معهم لا يستطيعون أن يدفعوا ما تريد، ومن الأفضل لك أن تعود إلى الرجل الذي يدفع لك راتبك.

فتنهّد بوارو وهو يقول: لم يدفع أحد أي شيء حتى الآن.

فقال ريكس: أحقاً؟

فردّ بوارو قائلاً: هذه هي الحقيقة. أنا أضيّع وقتاً كبيراً لا لشيء إلا لإشباع فضولي.

فقال ريكس: وأعتقد أنك كنت تشبع فضولك في ذلك اليوم الذي كنت فيه عند طبيب الأسنان، أليس كذلك؟

فهزّ بوارو رأسه وقال: أنت تتغافل عن سبب عادي يدفع الإنسان إلى الذهاب إلى طبيب أسنان، ألا وهو الكشف على الأسنان.

فردّ ريكس بنبرة تمتلئ بالشكّ قائلاً: إذن فقد كنت هناك للكشف عن أسنانك؟ اعذرني إذا قلت لك إنني لا أصدّق.

- هل لي أن أسألك لماذا كنت هناك يا سيد ريكس؟

فابتسم ريكس فجأة وقال: لقد كنت هناك كي أكشف عن أسناني أيضاً.

- هل كنت تشكو من آلام في أسنانك؟

- بالطبع أيها الوالد الكبير.

- ولكنك خرجت دون أن تكشف على أسنانك.

- وماذا في ذلك؟ هذا أمر يخصّني.

وصمت ريكس قليلاً ثم قال بلهجة وحشية: ما فائدة هذا الكلام الملتوي؟ لقد كنت هناك لتحرس سيدك. حسناً، إنه بخير، أليس كذلك؟ لم يحدث شيء للسيد أليستير بلنت العزيز، وأنت

لا تملك شيئاً ضدّي.

فقال بوارو: وأين ذهبت عندما خرجت فجأة من حجرة الاستقبال؟

- تركت المنزل طبعاً.

فقال بوارو وهو ينظر إلى السقف: ولكن أحداً لم يرَك وأنت تغادر المنزل يا سيد ريكس.

- هل هذا يهمّ؟

- ربما؛ فقد مات شخص في المنزل بعد ذلك بقليل.

فقال ريكس بغير اهتمام: هل تقصد طبيب الأسنان؟

ثم حملق إلى بوارو وهو يقول: هل تحاول أن تلفّق هذه القضية لي؟ هل هذه هي خطّتك؟ حسناً، أنت تستطيع أن تفعل ذلك. لقد انتهيت تواً من قراءة تحقيق الأمس، وقد علمت أن المسكين انتحر لأنه أخطأ في إعطاء مخدّر موضعي لمريض مما أدّى إلى وفاة ذلك المريض.

فقال بوارو غير متأثر بالكلام: هل تستطيع أن تثبت أنك غادرت المنزل عندما قلت إنك غادرته؟ هل يوجد شخص يستطيع أن يخبرنا بطريقة واضحة أين كنت بين الساعة الثانية عشرة والساعة الواحدة؟

فضاقت عينا الشاب وقال: إذن أنت تحاول أن تلصق التهمة بي؟ أعتقد أن بلنت هو الذي دفعك إلى هذا.

فتنهد بوارو وهو يقول: اعذرني، ولكن يبدو أنه توجد فكرة ما في رأسك عن أليستير بلنت، ولكنني لا أعمل عنده ولن أعمل

عنده أبداً، وما يشغلني ليس سلامة بلنت وإنما هو موت رجل كان مخلصاً في عمله.

فهزّ ريكس رأسه وقال: آسف.

واحمرّ وجهه وهو يتكئ على المنضدة ويقول: ولكنك لا تستطيع إنقاذه؛ فقد تقرّر أن يختفي مع كل القيم التي يمثلها، وسوف يحلّ نظام جديد. لقد تقرّر أن يختفي النظام المالي القديم المتعفّن الذي تمثّله تلك الحفنة من الأثرياء في كل أنحاء العالم. أنا لا أكره بلنت بصفة شخصية وإنما أكره أفعاله، إن بلنت محافظ مغرور ومن النوع الذي يقول إنك لا تستطيع أن تهدم دعائم الحضارة، ولكن دعه ينظر ويرَ. إن بلنت عقبة في طريق التقدّم، وقد تقرّر أن يُزال.

فتنهد بوارو وقام وهو يقول: أعتقد أنك مثاليّ يا سيد ريكس.

- وماذا إذا كنت كذلك؟

- أنت مثاليّ إلى درجة أنك لا تهتم بموت طبيب أسنان.

فردّ ريكس باحتقار قائلاً: إن الأمر لا يهمّني وإنما يهمّك أنت، وهذا هو الفرق بيننا.

* * *

وصل بوارو إلى المنزل فأخبره جورج بأن آنسة تنتظر، ثم أضاف قائلاً: إنها عصبية بعض الشيء يا سيدي.

فأخذ بوارو يخمّن مَن تكون، ولكن جاء تخمينه خطأ لأن الآنسة التي نهضت من فوق الأريكة متضايقة لم تكن إلا سكرتيرة

السيد مورلي، الآنسة غلاديس نيفيل.

قالت نيفيل: آه يا عزيزي بوارو، أنا آسفة لمضايقتي إياك بهذه الطريقة. في الحقيقة أنا لا أدري كيف واتتني الشجاعة فحضرت إلى هنا، وأخشى أن تعتقد أنني جريئة للغاية. أنا لا أريد أن أضيع وقتك لأنني أعرف قيمة الوقت بالنسبة لرجل مشغول مثلك.

فاقترح عليها بوارو أن تتناول قدحاً من الشاي فقالت: في الحقيقة هذا كرم منك يا سيد بوارو، لا لأنه قد مرّت مدّة طويلة منذ أن تناولت الإفطار، ولكن لأن قدح الشاي يساعد المرء على العمل، أليس كذلك؟

فوافق بوارو بتشكّك لأنه يستطيع العمل دون قدح الشاي هذا.

قالت الآنسة نيفيل بعد أن استعادت حالتها الطبيعية بتأثير الشاي: يجب أن أعتذر إليك، ولكن محاكمة الأمس جعلتني أضطرب إلى درجة كبيرة.

فردّ بوارو بعطف قائلاً: أنا متأكّد من ذلك.

– لم يكن يوجد داعٍ إلى أن أُدلي بشهادتي أو أن أفعل شيئاً من هذا القبيل، ولكنني شعرت أن شخصاً ما كان يجب أن يذهب مع الآنسة مورلي، وقد كان السيد ريلي هناك بالطبع، ولكنني أقصد امرأة، كما أن الآنسة مورلي لا تحب السيد ريلي، لذلك اعتبرت أنه من واجبي أن أذهب.

فردّ بوارو مشجّعاً قائلاً: هذا عطف منك.

ثم مالت الآنسة نيفيل إلى الأمام وقالت: ولكن كان يوجد في المحاكمة خطأ حقاً.

- وما هو الخطأ يا آنسة؟

- لا يمكن أن يكون ذلك قد حدث بالطريقة التي يتحدّثون بها، أقصد حقن مريض بجرعة في اللثة.

- ألا تعتقدين ذلك؟

- أنا متأكّدة من أن ذلك لم يحدث. صحيح أن المرضى قد يُصابون بمضاعفات مَرضية، ولكن هذا مرجعه إلى أنهم غير أصحّاء من الناحية العضوية كأن تكون حركة قلوبهم ليست عادية. أنا متأكّدة من أن الجرعة المضاعفة أمر نادر، فأنت ترى أن الممارسين يتعوّدون على إعطاء الكمية المعتادة إلى درجة أن إعطاء الكمّية يصبح أمراً طبيعياً، كما أن الأطباء يعطون الجرعة السليمة بطريقة طبيعية.

فأومأ بوارو موافقاً وقال: هذا ما فكّرت فيه أنا أيضاً.

- إن الكمية تكون مقنّنة كما تعلم، وليس كما يحدث من الكيمائي الذي يركّب كمّيات مختلفة طَوال الوقت أو يضاعف الكمّيات حيث يمكن أن يقع الخطأ عن طريق عدم التركيز، وكذلك الأمر يختلف عن الطبيب العادي الذي يكتب تذاكر دواء عديدة، أما طبيب الأسنان فيختلف عن كل هؤلاء.

فسألها بوارو قائلاً: ألم تطلبي الإذن لك بأن تقولي هذه الملحوظة أمام المحكمة؟

فهزّت غلاديس نيفيل رأسها ولوت أصابعها بتشكّك ثم قالت: أنا أخشى أن تزداد الأمور سوءاً، بالطبع أنا أعرف أن السيد مورلي لا يمكن أن يفعل ذلك، ولكن كلامي قد يجعلهم يعتقدون أنه دبّر الأمر سلفاً.

فوافق بوارو على كلامها فقالت مستطردة: لهذا جئت إليك لأن الأمر معك ليس رسمياً. أنا أعتقد أن أحداً يجب أن يعرف أن هذا الأمر غير مقنع.

فقال بوارو: لا أحد يعرف ذلك.

فحملقت إليه بحيّرة فقال بوارو: أريد أن أعرف مزيداً من التفصيلات عن البرقية التي كنت قد تلقّيتِها بدعوتك لترك العيادة في ذلك اليوم.

- سأقول لك بأمانة ما أعتقده عن هذا الموضوع، إن الأمر يبدو غريباً لأن الشخص الذي أرسل تلك البرقية يجب أن يكون ملمّاً بكل شيء عنّي أنا وعمّتي ومكانها وعن كل شيء.

- أجل، يبدو أن الذي أرسل البرقية واحد من أقرب الأصدقاء، أو واحد يسكن في نفس المنزل ويعرف كل شيء عنك.

- لا يمكن لأي صديق لي أن يفعل ذلك يا سيد بوارو.

- هل تدور برأسك فكرة ما؟

فتردّدت الفتاة ثم قالت ببطء: في البداية عندما علمت أن السيد مورلي أطلق النار على نفسه تصوّرت أن يكون هو الذي أرسل البرقية بنفسه.

- هل تعتقدين أنه أراد أن يُبعدك عن الطريق تقديراً لك؟

فأومأت الفتاة إيجاباً ثم قالت: ولكن حتى لو افترضنا أنه فكّر في الانتحار في ذلك الصباح فإن الفكرة غريبة للغاية، وقد كان صديقي فرانك مقتنعاً بها في البداية واتّهمني بأنني كنت أريد قضاء

اليوم مع شخص آخر وكأنني يمكن أن أفعل ذلك حقاً.

- وهل يوجد شخص آخر؟

فاحمرّ وجه الفتاة وقالت: لا بالطبع، لا يوجد شخص آخر، ولكن فرانك تغيّر في الفترة الأخيرة فأصبح متقلّب المزاج متشككاً، وقد فقدَ وظيفته وأصبح غير قادر على أن يحصل على وظيفة أخرى. إن البطالة مسألة سيئة للرجل، وأنا متضايقة جداً من أجل فرانك.

- لقد اضطرب حينما وجدك قد تركت العيادة في ذلك اليوم، أليس كذلك؟

- بلى، لقد أتى إليّ وأخبرني بأنه وجد وظيفة جديدة مدهشة تدرّ عليه عشرة جنيهات في الأسبوع، ولم يستطع أن ينتظر وأراد أن يخبرني على الفور. وأعتقد أنه أراد أن يعرف السيد مورلي ذلك لأن فرانك قد ضايقه عدم تقدير الدكتور مورلي له، كما أنه علم أن السيد مورلي يثيرني ضدّه.

- وهو أمر حقيقي، أليس كذلك؟

- بلى، إلى حدّ ما. لقد فقدَ فرانك عدّة وظائف، ولم يكن فرانك مثل ما يسمّيه البعض رجلاً مستقيماً، ولكن الأمر مختلف الآن. لقد كان لتأثيري دور كبير، فعندما يشعر الرجل أن امرأة تتوقّع الكثير منه فإنه يحاول أن يصعد إلى مستوى آمالها.

فتنهد بوارو ولكنه لم يوافق. لقد سمع مئات النساء يجادلن في مثل تلك الأمور بنفس العقيدة الراسخة في القوة الجبارة لحبّ المرأة، وقد افترض بتشكّك أن هذا يمكن أن يكون صحيحاً بنسبة واحد إلى عدّة آلاف، ثم قال: أودّ أن أرى صديقك هذا.

– وأنا أيضاً أريدك أن تراه، ولكن في الوقت الحاضر ليس لديه عطلة إلا يوم الأحد لأنه يعمل في الريف طَوال الأسبوع.

– نعم، في الوظيفة الجديدة. بالمناسبة، ما هذه الوظيفة الجديدة؟

– لا أعرف بالتحديد يا سيد بوارو، وأظن أنه يعمل في السكرتارية أو في وظيفة حكومية. إن كل ما أعرفه هو أنني أُرسل إليه خطابات على عنوانه في لندن فتصله الخطابات بعد ذلك.

– هذا أمر غريب، أليس كذلك؟

– بلى، أعتقد ذلك، ولكن فرانك يقول إن هذا غالباً ما يحدث في هذه الأيام.

فنظر إليها بوارو دقيقة أو دقيقتين دون أن ينبس ببنت شفة ثم قال بهدوء: غداً الأحد، أليس كذلك؟ قد أسعد باستقبالكما لتناول الغداء معي في مطعم لوغان، فأنا أودّ أن أناقش هذا الأمر معكما.

– حسناً، أشكرك يا سيد بوارو. أنا متأكّدة من أننا سنسعد بتناول الغداء معك.

* * *

كان فرانك كارتر شاباً أشقر اللون متوسط الطول أنيق المظهر، ولكنها أناقة من النوع الرخيص، يتكلم باستعداد وطلاقة، وكانت عيناه تنتقلان من جانب إلى آخر عندما يكون متبرّماً، كما أنه يميل إلى الشكّ والعداء.

قال فرانك: لم تكن لدي أية فكرة أننا سنسعد بتناول الغداء

معك يا سيد بوارو، فغلاديس لم تقُل لي أي شيء عن ذلك.

وقد نظر إليها بضيق وهو يقول العبارة الأخيرة، فردّ بوارو وهو يبتسم قائلاً: لقد اتفقنا على ذلك بالأمس فقط، وقد علمت أن الآنسة نيفيل متضايقة من ظروف موت السيد مورلي، فهل يمكن أن نتعاون معاً على...؟

فقاطعه فرانك كارتر بوقاحة قائلاً: موت مورلي، موت مورلي، لقد مرضت من كثرة ترديد هذا القول. لماذا لم تنسَي يا غلاديس؟ لم يكن السيد مورلي شخصاً رائعاً.

- فرانك، أنا لم أتوقّع أن تقول ذلك. لقد ترك لي مئة جنيه، وقد تسلّمت خطاباً بهذا الخصوص ليلة أمس.

فردّ فرانك بغضب قائلاً: حسناً، لماذا لا يترك لك مثل هذا المبلغ وقد كان يستغلّك استغلال العبيد؟ ومَن الذي كان يقبض في النهاية؟ كان هو الذي يقبض.

- طبعاً، كان هو الذي يقبض ولكنه كان يدفع لي راتباً مناسباً.

- لم يكن مناسباً بالطريقة التي كنت أراها، أنت تسمحين بأن تُستغلّي، كما أنك تعلمين أنني عندما كشفت مورلي حاول جهده أن يبعدني عنك.

- لم يكن يفهم ما بيننا على حقيقته.

- بل كان يفهم جيداً، ولولا أنه مات لقلت إنني أقنعته.

فسأله بوارو قائلاً: هل حقاً جئت إلى العيادة في ذلك الصباح الذي مات فيه؟

فردّ فرانك كارتر بغضب قائلاً: مَن الذي قال هذا؟

- لقد ذهبت بالفعل، أليس كذلك؟

- وماذا في ذلك؟ لقد أردت أن أرى نيفيل.

- ولكنهم قالوا لك إنها خرجت.

- أجل، وقد أثار ذلك شكوكي، ثم قلت للغلام إنني أريد أن أرى السيد مورلي بنفسي؛ فقد بلغ الأمر مداه فيما يتعلّق بتحريض غلاديس، وكنت أقصد بذلك أن يعلم مورلي أنني تحوّلت من عاطل إلى موظّف.

- ألم تقُل له ذلك؟

- نعم، لم أقُل شيئاً؛ فقد انتظرته كثيراً في تلك العيادة القذرة مما دفعني إلى الخروج.

- في أي وقت خرجت؟

- لست أدري.

- متى وصلت؟

- لا أدري، ولكن أظن أنه كان في نحو الثانية عشرة.

- وقد انتظرت نحو ساعة أو أكثر من ذلك، أليس كذلك؟

- قلت لك لست أدري؛ فلست من هواة النظر إلى الساعة.

- هل كان يوجد أحد غيرك في حجرة الانتظار في أثناء وجودك هناك؟

- كان يوجد رجل سمين عندما دخلت، ولكنه لم ينتظر كثيراً، وبعد ذلك أصبحت وحيداً.

- هذا معناه أنك غادرت المكان قبل الثانية عشرة والنصف لأنه في ذلك الوقت قد وصلت سيدة.

- أجل، كما أنه قد ضايقني المكان كما قلت لك.

وكانت طريقة بوارو بسيطة عندما قال: لقد أخبرتني الآنسة نيفيل بأن الحظّ أسعدك بالحصول على وظيفة محترمة، فهل هذا صحيح؟

- نعم، صحيح، إن راتبها عشرة جنيهات في الشهر، وأعتقد أنها ليست وظيفة سيئة، وإذا كانت سيئة فيمكنني أن أتركها إذا أردت ذلك.

وتحرّك باستعلاء فقال بوارو: بالضبط، ولكنني أعتقد أن العمل ليس شاقاً، أليس كذلك؟

فردّ فرانك كارتر باقتضاب قائلاً: بلى، ليس سيئاً كثيراً.

- كما أعتقد أنه مسلٍّ أيضاً.

- أجل، هو مسلٍّ. أنا أتعجب من الطريقة التي تعرفون بها كيف تسير الأمور يا معشر المخبرين!

فقالت غلاديس: أنت على القمّة يا سيد بوارو. لقد اعتاد السيد مورلي أن يقول لي ذلك، وأنت من النوع الذي تتمناه بنات البلاط والحكومة والثريات.

فابتسم بوارو لها وهو يقول: شكراً على مديحك.

* * *

سار بوارو إلى منزله وهو مشغول الفكر، وعندما وصل اتّصل

بجاب وقال: عذراً إذا كنت قد ضايقتك يا صديقي، ولكن هل فعلت شيئاً في موضوع البرقية التي كانت قد وصلت إلى الآنسة نيفيل؟

- أما زلت مهتماً بالموضوع؟ حسناً، لقد حصلت على بعض المعلومات، وقد كانت برقية كاذبة، فالعمّة تعيش في ريتشبورن في سمورمرت، وقد وصلت البرقية إلى ريتشبارن، أحد أحياء لندن.

فقال هيركيول بوارو: لقد كانت برقية كاذبة بالفعل، ولو أن مستلمتها قرأت مكان الإرسال لكانت قد قرأت اسم ريتشبورن.

وصمت برهة ثم استطرد قائلاً: أتعرف ماذا أعتقد يا جاب؟

- ماذا تعتقد؟

- أعتقد أنه يوجد مخطّط وراء هذا المشروع.

- حينما يريد هيركيول بوارو تحويل قضية ما إلى قضية قتل فإنها تتحوّل إلى قضية قتل.

فقال بوارو: وكيف تفسّر تلك البرقية؟

- مجرّد شخص يغازل الفتاة.

- لماذا؟

- إنها مجرّد مغازلات أو فكاهة في غير موضوعها، هذا كل ما في الأمر. لقد شعر أحد الأشخاص بأنه يريد أن يضحك في نفس اليوم الذي أخطأ فيه مورلي في الحقن، وقد أدّى ابتعاد نيفيل عن مورلي إلى اضطرابه مما جعله يخطئ.

- أنا لست مطمئناً إلى هذا التفسير.

- ألا ترى إلى أين يقودك تفكيرك يا عزيزي؟ إذا كان يريد شخص أن يقصي نيفيل عن الطريق فمن المحتمل أن يكون ذلك الشخص هو مورلي نفسه، وذلك حتى يقتل أمبريوتيز عمداً لا مصادفة.

فلم يتكلّم بوارو فقال جاب: هل تسمعني؟

فردّ بوارو قائلاً: ربما كان أمبريوتيز قد قُتل بطريقة أخرى.

- هذا احتمال مستبعَد؛ فلم يذهب أحد إلى رؤيته في فندق سافوي، وقد تناول غداءه في حجرته، كما أن الأطباء ذكروا أن المخدّر قد أُعطي له عن طريق الحقن لا عن طريق الفم لأنه لم يصل إلى المعدة. عزيزي بوارو، إن القضية واضحة.

- أهذا ما يريدون أن يقنعونا به؟

- إن أ. س. مقتنع بطريقة أو بأخرى.

- وهل اقتنع بموضوع المرأة المختفية؟

- هل تقصد قضية الآنسة سيل المختفية؟ لا، وأستطيع أن أقول لك إننا ما زلنا نبحث في هذا الموضوع، ولكنني أظن أن تلك السيدة قد ذهبت إلى مكان معيّن لأنه لا يمكن أن تخرج إلى الشارع ثم تختفي. يبدو أنها هي التي فعلت ذلك بإرادتها، كما أظن أنها ما زالت حية.

- ولِمَ لا تكون ميتة؟

- لأنها لو كانت ماتت لكنا قد عثرنا على جثّتها.

- وهل تظهر الجثث بهذه السرعة يا عزيزي جاب؟

- أراك تشير إلى أنها قُتلت وأننا سنجد جثّتها في مكان ما

ممزّقة أشلاءً.

- لقد عثرت أنت نفسك على جثة كانت مفقودة يا صديقي.

- هذا أمر نادر يا عزيزي، وكثيراً ما تختفي بعض السيدات ثم نعثر عليهن بعد ذلك، وغالباً ما يكنّ مع رجال في أماكن مختلفة، ولكنني لا أعتقد أن الأمر كذلك بالنسبة إلى مابيل.

فردّ بوارو بحذر قائلاً: المرء لا يعرف الحقيقة دائماً، ولكنني أوافقك. هل أنت متأكّد من أنك ستجدها؟

- بالطبع، فقد نشرنا أوصافها في الصحف والإذاعة.

فقال بوارو: أعتقد أن هذا قد يأتي بتطوّرات جديدة.

- لا تقلق يا عزيزي، سوف نجد فاتنتك المفقودة.

ثم وضع بوارو السمّاعة في حين دخل جورج الحجرة بخطواته الصامتة المعتادة ليضع إناءً به كاكاو وبعض الحلوى على منضدة صغيرة، فقال له بوارو: أنا في حيرة من أمري يا جورج.

- حقاً يا سيدي؟ كم يؤسفني هذا.

ثم صبّ هيركيول بوارو بعض الكاكاو لنفسه وأخذ يقلّبه وهو يفكّر في حين وقف جورج منتظراً بعد أن علم الحالة التي انتابت سيده. كان بوارو يناقش خادمه فيما يشغله من قضايا أحياناً، ويقول إنه يجد في تعليقات جورج مُعيناً له. قال بوارو: طبعاً أنت تعرف أن الدكتور مورلي طبيب الأسنان الذي يعالجني قد مات يا جورج، أليس كذلك؟

- بلى، ومن المؤسف جداً أن ينتحر يا سيدي.

- هذا هو الاعتقاد السائد، وإذا لم يكن قد انتحر فإنه يكون

قد قُتل، أليس كذلك؟

- بلى، هو كذلك يا سيدي.

- ولكن إذا كان قد قُتل فمَن الذي قتله؟ توجد مجموعة معيّنة من الناس ربما هم الذين قتلوه، وأقصد بهم هؤلاء الذين كانوا في المنزل بالفعل أو الذين يمكن أن يكونوا بالمنزل في ذلك الوقت.

- بالتأكيد يا سيدي.

- هؤلاء الناس هم الطباخ والخادمة، ولكنهما طيّبان ولا يمكن أن يكونا قد فعلا ذلك، كما كانت توجد أخته المخلصة، ومن المستبعَد أن تكون هي الفاعلة، ولكنها سترث عن أخيها ثروته كبيرة ولا يمكن أن يغفل المرء الجانب المالي، وكذلك كان يوجد شريكه الكفء، إلا أننا لا نعرف الدافع، كما أنه كان يوجد غلام خفيف العقل يُدمن قراءة قصص الجرائم، وأخيراً رجل يوناني من أصل مجهول.

فسعل جورج وهو يقول: يا سيدي، إن هؤلاء الأجانب يمكن أن...

فقاطعه بوارو قائلاً: بالضبط، أنا أوافقك تماماً؛ فكلّ أصابع الاتهام تشير إلى الرجل اليوناني، ولكنه مات أيضاً يا جورج، ويبدو أن السيد مورلي هو الذي قتله، إما عن قصد أو غير قصد نتيجة خطأ، فنحن لم نتأكّد بعد.

- ربما قتل كل منها الآخر، أقصد أن كل واحد منهما قد دبّر قتل الآخر دون أن يعلم أن الآخر ينوي قتله.

فهمس هيركيول بوارو موافقاً وقال: أنت ماهر يا جورج. يقتل الطبيب مريضه الذي يجلس على الكرسي دون أن يعلم أن المريض

الذي يجلس أمامه يفكّر في أن يطلق النار عليه. ربما كان الأمر كذلك، ولكن هذا احتمال بعيد جداً يا جورج، ثم إننا لم نأتِ إلى نهاية القائمة بعد، حيث إنه يوجد رجلان ربما كانا بالمنزل في نفس تلك اللحظة، أحدهما غادر غرفة الانتظار في الثانية عشرة والثلث ولم يشاهده أحد وهو يغادر المنزل، وعلينا أن نضعه في الاعتبار، كما يوجد السيد فرانك كارتر الذي ذهب إلى المنزل بعد الثانية عشرة لمقابلة السيد مورلي، ولم يشاهده أحد هو الآخر عند مغادرة المنزل. هذه هي كل الحقائق، فما رأيك؟

- ما وقت وقوع جريمة القتل يا سيدي؟

- إذا كان السيد أمبريوتيز هو القاتل فإن الجريمة تكون قد وقعت بين الثانية عشرة وخمس دقائق والثانية عشرة وعشرين دقيقة، وإذا كانت قد ارتُكبت بيد شخص آخر فإنها تكون قد وقعت بعد الثانية عشرة وخمس وعشرين دقيقة، وإلا فإن السيد أمبريوتيز كان سيلاحظ الجثة.

ثم نظر بوارو إلى جورج مشجعاً وقال له: والآن ما رأيك في هذا الموضوع يا جورج؟

فكّر جورج ثم قال: يبدو لي أنه يجب عليك أن تبحث عن طبيب أسنان آخر يا سيدي.

فردّ بوارو قائلاً: أنت بارع يا جورج؛ هذا الجانب لم يخطر لي على بال قطّ!

ثم ترك جورج الحجرة في حين أخذ بوارو يحتسي الكاكاو ويراجع الحقائق التي حدّدها، ثم شعر بارتياح لأنها كانت كما حدّدها بالفعل، فقد رأى أن القاتل لن يخرج عن كونه واحداً من

الذين حدّدهم بغضّ النظر عن العقل المدبّر، وفجأة اكتشف أن القائمة كانت غير مكتملة وأنه قد نسي اسم شخص كان يوجد في المنزل في وقت القتل، هو السيد بارنز.

ثم دخل جورج وقال: توجد سيدة على الهاتف تريد مخاطبتك يا سيدي.

منذ أسبوع مضى خمّن بوارو ولكنه أخطأ عندما توقّع شخصية الزائر، أما تخمينه في تلك المرّة فقد كان صحيحاً، وقد عرف الصوت على الفور. قال المتحدّث: أنا جين أوليفيرا، ابنة أخت السيد أليستير بلنت.

- هل من خدمة يا آنسة أوليفيرا؟

- هل يمكنك الحضور إلى المنزل القوطي؟ لدي شيء أحب أن تعرفه.

- بالطبع يمكن أن أحضر. متى تريدين ذلك؟

- ليكن في السادسة والنصف.

- حسناً، اتفقنا. لقد كنت أتوقّع مكالمتك.

ثم وضع السمّاعة سريعاً وهو يفكّر في سبب اتصالها به.

* * *

وصل بوارو إلى المنزل القوطي في الموعد المحدّد فأدخلوه فوراً إلى المكتبة الضخمة المطلّة على النهر. وكان السيد بلنت جالساً إلى مكتبه يعبث دون وعي بفتّاحة خطابات، وكان يبدو عليه أنه متضايق في حين كانت جين أوليفيرا تقف إلى جوار المدفأة، كما كانت توجد سيدة أخرى سمينة في منتصف العمر تقول: يجب

مراعاة مشاعري في هذا الأمر يا بلنت.

فقال لها بلنت: لا تقلقي يا جوليا.

ثم قام لتحية ضيفه في حين قالت جوليا: إذا تحدّثت عن الرعب فسأترك الحجرة فوراً.

فقالت جين: يجب يا أمي أن...

ثم اندفعت السيدة أوليفيرا خارجة من الغرفة دون أن تنظر إلى بوارو، فقال بلنت لبوارو: شكراً لحضورك يا سيد بوارو. أظن أنك قابلت جين من قبل، إنها الفتاة التي سعت إليك و...

فقاطعته جين قائلة: الموضوع يخصّ تلك الآنسة المفقودة التي تحدّثت عنها الصحف، الآنسة سيل. ربما كان الأمر غير هام، ولكنني وجدت أنه يجب أن تعلمه. لقد حدث ذلك عندما ذهبت مع خالي أليستير إلى طبيب الأسنان في المرّة الأخيرة، ولست أقصد ذلك اليوم المشهود وإنما أقصد منذ ثلاثة أشهر مضت، فقد ذهبت مع عمي إلى شارع الملكة شارلوت في السيارة، وكان من المقرّر أن أذهب إلى بعض الأصدقاء في ريجنت بارك ثم أعود إليه، ثم وقفت السيارة أمام المنزل رقم ثمانية وخمسين، وعندما كان خالي يهمّ بالنزول من السيارة خرجت امرأة لها شعر ملفت للنظر ترتدي ثياباً كثياب الفنانات، ثم أوسعت الطريق لخالي وقالت بصوت متهدّج: "من الواضح أنك لا تذكرني"، وقد رأيت على وجه خالي أنه لا يذكرها إطلاقاً.

فتنهّد بلنت وقال: دائماً يقول لي الناس إنني لا أتذكّر جيداً.

ثم استطردت جين قائلة: وغيّر خالي من ملامح وجهه محاولاً أن يصدّقها وقال بصوت غير مُقنع: "بل أذكرك طبعاً"، فقالت

المرأة: "لقد كنت صديقة وفية لزوجتك".

فقال أليستير بلنت بلهجة حزينة: دائماً ما يُقال لي مثل هذا الكلام، ثم تنتهي المسألة بمساهمة مالية لإحدى الجمعيات الخيرية أو ما شابه، وقد تبرّعت في تلك المرّة بخمسة جنيهات لصالح جمعية زينانا الخيرية.

- وهل كانت تعرف زوجتك بالفعل؟

- لقد ظننت أنها كذلك بسبب اهتمامها بأمر الجمعيات الخيرية، وهذا هو ما جعلني أظن أنها قد قابلتها في الهند لأننا كنّا قد سافرنا إلى هناك منذ عشر سنوات. بالطبع لم تكن صديقة مقرّبة لها وإلا لكنت قد عرفتها، ولكن ربما كانت قد قابلتها في إحدى الحفلات.

ثم قالت جين أوليفيرا: لا أعتقد أنها قابلت خالتي ربيكا على الإطلاق، وأعتقد أن الأمر كان وسيلة إلى التحدّث إليك.

فردّ أليستير بلت بنفس الهدوء قائلاً: لقد كانت تريد تبرعاً فقط.

وقال بوارو: هل حاولت أن تستمرّ معك بنفس الطريقة؟

فهزّ بلنت رأسه وقال: لم أفكّر فيها مرة أخرى، بل لقد نسيت اسمها ولم أتذكّره إلا عندما قرأته جين في الصحف.

فقالت جين بقليل من الاقتناع: حسناً، أعتقد أن هذا الأمر كان يجب أن يُقال يا سيد بوارو.

فقال بوارو بأدب: شكراً يا آنسة. لن آخذ من وقتك أكثر من هذا يا سيد أليستير بلنت، فأنا أعرف أنك رجل مشغول.

وقالت جين بسرعة: سأنزل معك.

فابتسم بوارو بينه وبين نفسه. وعندما وصلا إلى الطابق الأرضي تردّدت جين قليلاً ثم قالت: تفضّل هنا يا سيد بوارو.

وذهبا إلى حجرة صغيرة في الصالة، ثم استدارت لتواجهه قائلة: ماذا كنت تقصد عندما قلت لي في الهاتف إنك كنت تتوقّع أن أكلّمك؟

فابتسم بوارو وبسط ذراعيه وقال: كنت فقط أتوقّع مكالمة منك يا آنسة، وقد جاءت المكالمة.

- هل تقصد أنك كنت تتوقّع أن أتصل بك لأقول لك معلومات عن تلك المرأة التي تُدعى سيل؟

- لقد كان هذا هو السبب الذي استدعيتِني به.

- ولماذا أستدعيك بالله عليك؟

- لماذا كان يجب أن تبلغيني هذه المعلومة الصغيرة عن الآنسة سيل بدلاً من أن تبلغيها إلى اسكتلنديارد رغم أن هذا هو التصرّف الطبيعي؟

- لأنك تعرف كل شيء عن القضية. ماذا لديك يا سيد بوارو؟

- أنا أعرف أنك مهتمّة بأمري منذ أن سمعت أنني زرت فندق هلبورن بالاس.

فظهر الشحوب على وجه الفتاة واستطرد بوارو بهدوء وصلابة قائلاً: لقد أحضرتِني اليوم لأنك تريدين أن تحصلي منّي على معلومات عن موضوع السيد هوارد ريكس، أليس كذلك؟

وصمت بوارو برهة ثم استطرد قائلاً: لست بحاجة إلى أن تتحايلي كي تحصلي منّي على معلومات لأنني سأقول لك ما أعرفه أو بالأحرى ما خمّنته. لقد انزعجت في ذلك اليوم الذي جئت فيه إلى هنا مع المفتش جاب، كما أنك تصوّرت أن شيئاً حدث لخالك، فلماذا؟

- لقد تصورت هذا لأنه مُعرّض للخطر دائماً، فهو يتلقى خطابات تهديد عديدة.

- لقد ذكر لك المفتش جاب أن طبيباً يُدعى السيد مورلي قد قُتل فقلت إن هذا عبث.

فعضّت جين على شفتَيها وقالت: هل قلت ذلك حقاً؟ لقد كان هذا عبثاً منّي أنا، أليس كذلك؟

- لقد كانت ملحوظة غريبة كشفت عن معرفتك بالسيد مورلي، كما كشفت عن توقّعك لحدوث شيء، ليس بالضرورة له ولكن حدوث شيء في منزله.

- يبدو أنك تحب تأليف القصص.

فتجاهل بوارو ما قالت واستطرد قائلاً: لقد كنت تتوقّعين، أو تخافين، أن يحدث شيء لخالك، ولكن إذا كان الأمر كذلك فأنت تعلمين أموراً لا نعلمها نحن. وقد فكّرت في الأشخاص الذين كانوا في منزل مورلي في ذلك اليوم فعرفت الشخص الوحيد الذي يمكن أن تكون له علاقة بك، وذلك الشخص هو الشاب الأمريكي السيد هوارد ريكس.

- أشعر وكأنني أشاهد مسلسلاً ممتعاً. هيا، أكمل الأحداث المثيرة.

– لقد ذهبت كي أرى السيد هوارد ريكس، وهو شخص خطير جذّاب.

فمالت إلى الأمام وقالت: سأقول لك شيئاً يا سيد بوارو لأنك لست من النوع الذي يمكن أن يلّف الإنسان معه ويدور، سأخبرك بما تريد. أنا أحب ذلك الرجل كثيراً، وقد أتت بي أمي إلى هنا لتبعدني عنه، وكذلك ليعطف عليّ خالي ويترك لي أمواله عندما يموت.

وصمتت برهة ثم استطردت قائلة: أمي هي ابنة أخت زوجته ربيكا أرنهولت، وليس له أقرباء من جهته، لذا فإن أمي تريد أن نكون نحن الورثة الشرعيين لأملاكه، ولذلك هي تحاول أن تتقرّب إليه تدريجياً. ها أنت ترى أنني صريحة لأن الصراحة هي طبعنا يا سيد بوارو. صحيح أننا نملك قدراً من المال لا بأس به، كما يظن هوارد، ولكننا لسنا من نفس طبقة خالي أليستير.

وصمتت ثم ضربت يدها بعنف على ذراع الكرسي وقالت: كيف أستطيع أن أُفهمك؟ إن كل ما نشأت عليه من اعتقادات يريد هوارد أن يهدمه. في بعض الأحيان أشعر أن خالي مملّ حريص للغاية، كما أشعر أنه هو ومَن على شاكلته يجب أن يُزاحوا عن الطريق لأنهم يعوقون التقدّم.

– هل تحوّلت إلى دين السيد ريكس؟

– تحوّلت ولم أتحوّل. إن هوارد هو أقوى أصدقائه، كما أنه يوجد بعض الناس الذين يوافقون هوارد إلى حدّ ما، وهم على استعداد لأن يقوموا بعض الأشياء إذا وافق خالي وجماعته على ذلك، ولكن خالي وجماعته لن يوافقوا أبداً، وكل ما يفعلونه هو أن يهزوا رؤوسهم ويقولوا: "نحن لن نجرّب ذلك لأنه شيء

انتقادي، نحن سنقدّر مسؤوليتنا، وانظر إلى التاريخ"، ولكنني أعتقد أن المرء لا يجب أن ينظر إلى التاريخ لأن النظر إلى التاريخ نظر إلى الخلف، وعلى المرء أن ينظر إلى الأمام دائماً.

فردّ بوارو بهدوء قائلاً: هذه وجهة نظر رائعة.

فنظرت جين إليه باحتقار وقالت: هل تقول ذلك أنت أيضاً؟

- ربما لأنني كهل، وكهولهم لا يملكون إلا الأحلام فقط. هل تفهمين ما أعني؟

وصمت برهة ثم قال بصوت الواثق بنفسه: لماذا اتفق السيد هوارد ريكس على الموعد في شارع الملكة شارلوت؟

- لأنني أردت أن أقابله بخالي أليستير ولم أستطع أن أرتّب طريقة أخرى. لقد كان يكره خالي وكان قلبه مليئاً بالحقد عليه، وقد ظننت أنه لو رآه وشاهد رقّته وعطفه وتواضعه فسوف تتغيّر مشاعره. ولم أستطع أن أرتّب موعداً هنا بسبب أمي لأنها كانت ستفسد كل شيء.

فقال بوارو: ولكنك بعد أن رتّبت الموعد شعرت بالخوف.

فاتّسعت عيناها وامتلأتا بالسواد وقالت: أجل؛ لأن هوارد يشطّ في تفكيره أحياناً ويريد أن...

فردّ بوارو قائلاً: يريد أن ينتهي و...

فقاطعته جين أوليفيرا وقالت صارخة: لا، لا تكمل.

* * *

الفصل الرابع

مضى أكثر من شهر على وفاة السيد مورلي دون أية أخبار عن الآنسة ساينسبري سيل، فازداد غضب جاب بسبب ذلك الموضوع وقال: سحقاً لكل شيء يا بوارو. إن المرأة يجب أن تكون في مكان ما حية أو ميتة، فإذا كانت ميتة فأين جثّتها؟ أيمكن أن تكون قد انتحرت؟

- انتحار آخر؟

- هل ستعود إلى هذا مرّة أخرى؟ ما زلت تقول إن مورلي قُتل وأنا أقول إنه انتحر.

- هل فحصت المسدس؟

- المسدس مصنوع في الخارج.

- وهذا يوحي بأشياء عديدة، أليس كذلك؟

- ليس كما تقصد. لقد كان مورلي في الخارج في رحلات بحرية مع أخته مثله مثل الكثير من البريطانيين، ومن الممكن أن يكون قد اشترى المسدس من الخارج لأن كثيراً من الناس يحبون أن يمتلكوا مسدسات كي يشعروا أنهم بأمان وهم في الخارج.

وصمت قليلاً ثم استطرد قائلاً: لا تحاول أن تبعدني عن

الموضوع. لقد كنت أقول لك إنه إذا -ولاحظ أنني أقول «إذا»- كانت تلك المرأة قد انتحرت عن طريق الغرق فإن جثّتها كانت ستطفو على الشاطئ، وإذا كانت قد قُتلت فإن نفس الشيء كان سيحدث.

- إلا إذا كانت جثّتها قد رُبطت في شيء ثقيل ثم أُلقي بها في نهر التايمز.

- هل تظن أنها قُتلت بواسطة عصابة دولية كبيرة؟

فتنهد بوارو وقال: لقد أُخبرت مؤخّراً أن مثل هذه الأمور تحدث.

- ومَن الذي قال لك ذلك؟

- السيد ريغنالد الذي يعيش في كاستل غاردنز بمنطقة إيلنغ.

فردّ جاب بشكّ قائلاً: حسناً، ربما عرف ذلك لأنه كان يتعامل مع أجانب عندما كان يعمل موظفاً بالداخلية.

- ألا توافق أنت على هذا الرأي؟

- بلى، أظن أن مثل هذه الأمور موجودة، ولكنها فاشلة بصفة عامة.

مرّت لحظة صمت بينهما كان بوارو يبرم شاربه خلالها، ثم قال جاب: لقد جاءتنا بعض المعلومات تفيد بأن الآنسة سيل عادت إلى بريطانيا في الدرجة الثانية على نفس السفينة التي عاد عليها أمبريوتيز في الدرجة الأولى، ويقول بعض الخدم إنها تناولت معه الغداء قبل موته بأسبوع، فهل معنى هذا أنه توجد علاقة بينهما؟

– هذا محتمَل، ولكنني لا أعتقد أن سيدة كانت تعمل في إرسالية يمكن أن تشترك في مثل هذه الموضوعات المضحكة.

– وهل كان أمبريوتيز مشتركاً في مثل هذه الموضوعات المضحكة كما تسميها؟

– نعم، كان مشتركاً مع أحد عملائنا في أوروبا الوسطى في عصابة تجسّس.

– هل أنت متأكّد من ذلك؟

– نعم، ولكنه لم يكن يقوم بنفس العمل القذر، وإلا فما كنا لنتركه.

– هل كانت مهمّته هي تنظيم واستقبال التقارير؟

– نعم.

فصمت جاب لحظة مفكراً ثم أجاب قائلاً: ولكن هذا لن يساعدنا في موضوع سيل لأنه لا يمكن أن تكون مشتركة مع عصابة تجسّس.

– تذكّر أنها عاشت في الهند. هل تعرف أن الآنسة سيل كانت صديقة حميمة لزوجة أليستير بلنت الراحلة؟

– مَن قال لك هذا؟ لا يمكن أن أصدّق هذا لأنهما كانتا من طبقتين مختلفتين.

– السيد أليستير بلنت هو الذي قال لي هذا.

– هل تقصد أن أمبريوتيز كان يستعملها لهذا الغرض؟ ولكن الأمر لم يكن لينجح لأنه كان سيتخلّص منها بتقديم أول تبرّع.

وكان الأمر واضحاً إلى درجة أن بوارو لم يجِد مفراً من الموافقة. وبعد دقيقة أو دقيقتين استمرّ جاب في تلخيص قصّة سيل قائلاً: أعتقد أن جثّتها قد أُلقيت في برميل من الأحماض بواسطة أحد العلماء، وهذا حلّ آخر يُحبه مؤلفو الروايات البوليسية، ولكن هذه الأمور لا تحدث إلا في الخيال، كما أنه إذا كانت المرأة قد ماتت فإن جثّتها ستكون قد دُفنت في أحد الأماكن. ولكن إذا لم تكن ميتة فأين هي؟ لقد نشرنا أوصافها منذ أكثر من شهر في الصحف التي تُوزّع في كل أنحاء إنكلترا.

- ولكن لم يرَها أحد.

- بل شاهدتها الكثيرات من النساء متوسطات العمر ذوات الأوجه الشاحبة اللاتي يرتدين حُللاً خضراء من الصوف المشغول باليد، فشوهدت في براري يوركشير وفنادق ليفربول وبيوت ضيافة ديفون وعلى شاطئ رامسغيت، وقد بحث رجالي كل هذه التقارير بصمت تام ولكنهم لم يصلوا إلى أي نتيجة إلا الذهاب خطأً إلى عدد كبير من النساء المحترَمات لسؤالهنّ عنها.

فبدا العطف على وجه بوارو في حين استطرد جاب قائلاً: إنها سيدة حقيقية وليست شخصيّتها ملفّقة، فلها ماضٍ نعرف عنه كل شيء منذ ولادتها وحتى اختفائها. لقد عاشت حياةً بسيطة جداً ثم اختفت فجأة.

فقال بوارو: لا بدّ أنه يوجد سبب لذلك.

فقال جاب: إذا كان كلامك عن مورلي صحيحاً فإنه من المستبعد تماماً أن يكون قد قال لها شيئاً عن سبب موته وإلا فإنها في هذه الحالة تكون قد أُبعدت عن الطريق.

فقال بوارو: هذا كله يعني أن عصابة كبيرة هي التي دبّرت موت طبيب أسنان مسكين في شارع الملكة شارلوت.

- لا تصدّق كل كلمة يقولها لك ريجنالد بارنز؛ فهو رجل كهل مضحك يمتلئ عقله بالجواسيس والشيوعية.

ثم وقف جاب فقال بوارو: إذا جاءتك أخبار جديدة فاتّصل بي.

وعندما انصرف جاب جلس بوارو يفكر وقد ملأه شعور بأنه ينتظر شيئاً ما، ولكن ما ذلك الشيء؟ لقد كان ينتظر شيئاً حتماً، وهو الحلقة التالية في السلسلة، وعندما تأتي تلك الحلقة سيكون في استطاعته أن يستمرّ.

* * *

بعد مرور أسبوع وفي وقت متأخّر جاءه الخبر، وكان صوت جاب متهدجاً وهو يقول في الهاتف: أهذا أنت يا بوارو؟ لقد وجدناها. أرجو أن تأتي إلى مساكن الملك ليوبولد في حي باترسي، الشقة رقم خمسة وأربعين.

وبعد ربع ساعة وصل بوارو بسيارة أجرة إلى مساكن الملك ليوبولد. كانت العمارة ضخمة تضمّ مجموعة من الشقق المطلّة على حيّ باترسي، وكانت الشقة رقم خمسة وأربعين تقع بالدور الثاني، وقد فتح جاب الباب بنفسه وهو ممتقع الوجه وقال: ادخل. إن الأمر ليس ساراً، ولكنني أفضّل أن تراه بنفسك.

ثم سمع بوارو صوتاً آتياً من الباب الأيمن فقال جاب: هذا هو البواب الذي جاء بعد أن تأذّى من الرائحة. لقد أمرته أن يأتي إلى هنا لأنه ربما تعرّف عليها.

ثم سار جاب في الصالة وخلفه بوارو الذي قد بدأ يشم الرائحة، فقال جاب: الرائحة سيئة طبعاً، ولكن ماذا يمكن أن تتوقع؟ لقد ماتت منذ أكثر من شهر.

كانت الحجرة التي دخلاها حجرة صغيرة في وسطها خزانة معدنية من النوع الذي يُستخدم لتخزين الفرو، ثم فتح جاب الغطاء وتقدّم بوارو فنظر بداخله فرأى القدم داخل الحذاء، عندئذ تذكّر أن أول شيء رآه من الآنسة سيل كان فردة الحذاء، ثم نظر إلى سُترتها المصنوعة من الصوف الأخضر إلى أن وصل إلى الرأس، ثم همهم فقال جاب: أعرف أن المنظر مُفزع.

لقد كان الوجه مشوهاً بدرجة لا يمكن معها التعرّف عليه، أضِف إلى ذلك عمليات التحطيم، ولذا لم يكن مستغرَباً أن يمتقع وجه الرجلين. قال جاب: حسناً، هذا هو عملنا، ولا شكّ أنه قذر في بعض الأوقات. هلاّ ذهبنا إلى حجرة الاستقبال؟

كانت حجرة الاستقبال أنيقة على أحدث طراز، وكانت مزيّنة بمعدن الكروم وبها كراسي دائرية واسعة مغطاة بقماش أخضر. قعد بوارو هناك ثم قال بعد أن التقط أنفاسه: حسناً، أخبرني بكل شيء.

فقال جاب: هذه الشقة ملك للسيدة ألبرت شابمان، وهي سيدة أنيقة شقراء في نحو الأربعين من عمرها، وتلك السيدة تدفع ديونها بانتظام وتهوى لعبة البريدج مع جاراتها، إلا أنها تفضّل العزلة بعض الشيء، وليس لها أولاد، وزوجها تاجر يسافر دائماً. وقد جاءت ساينسبري سيل إلى هنا في ذلك المساء الذي تحدّثنا معها فيه في نحو الساعة السابعة وخمسين دقيقة، لذا فإنه من المحتمَل أن تكون قد جاءت من الفندق مباشرة، ويقول البواب إنها جاءت

قبل ذلك. بعد ذلك أخذها البواب في المصعد إلى الشقّة، وكان آخر شيء رآه هو وقوفها أمام الشقة تضغط الجرس.

فعقّب بوارو قائلاً: هل يتذكّر كل هذا؟

- إنه يشكو من آلام في معدته، وأحياناً يذهب إلى مستشفى بعيد ويحلّ محلّه رجل آخر، ومنذ أسبوع مضى لاحظ صحيفة قديمة تذكر أوصاف امرأة مطلوبة فقال لزوجته: "إن هذه أوصاف الآنسة التي جاءت لتناول الشاي مع السيدة شابمان في الطابق الثاني. لقد كانت تلك الآنسة ترتدي ملابس خضراء صوفية وتلبس حذاءً مطابقاً للوصف". وبعد ساعة قال لزوجته: "صدّقيني، لقد كان اسمها به شيء يشبه اسم سيل".

وصمت جاب برهة ثم استطرد قائلاً: وأخذ يقنع نفسه لمدّة أربعة أيام بالتعامل مع الشرطة ثم جاءنا بمعلوماته، ولم نتوقّع أن هذا يمكن أن يقودنا إلى أية نتيجة بسبب كثرة البلاغات الكاذبة التي تصلنا، ورغم ذلك أرسلت الرقيب بدوز، وهو شاب ذكي، فتخفى وتحايل حتى توصّلنا إلى أن تلك السيدة التي تُدعى شابمان لم تظهر منذ أكثر من شهر، وهذا أمر غريب، كما اكتشف الرقيب أن البوّاب لم يرَ الآنسة سيل تغادر المنزل، وهذا أمر غير عادي أيضاً، فظن أنها ربما كانت قد نزلت الدرَج وخرجت دون أن يراها، ولكن البوّاب أخبره بأن السيدة شابمان قد خرجت فجأة وتركت مذكّرة خارج الباب صبيحة اليوم التالي كتبت فيها: «لا أريد لبناً، قُل لنيلي إنني سافرت»، ونيلي هي الخادمة التي تتولى شؤونها. ولم تدهش الخادمة لأن السيدة شابمان قد اختفت مرّة أو مرتين من قبل، ولكن الغريب في الأمر أنها لم تستدعِ البواب ليأخذ حقائبها إلى سيارة الأجرة. على أية حال لقد قرّر بدوز أن

يدخل الشقة، فحصلنا على إذن دخول ولكننا لم نجد شيئاً يثير الاهتمام إلا في الحمّام الذي وجدنا أنه قد مُسح على عجل، كما كانت توجد آثار دماء على أطراف السجادة لم ينتبه إليها الشخص الذي مسح البلاط، وبعد ذلك كان الأمر متعلّقاً بالحصول على الجثة. ولم تكن السيدة شابمان تستطيع أن تخرج بأية متاع وإلا لكان البوّاب قد لاحظها، لذلك فلا بدّ أن تكون الجثة في الشقة، ثم لاحظنا تلك الخزانة المُحكَمة الغلق، وقد وجدنا مفتاحها في دُرج منضدة الزينة ففتحناها فوجدنا الجثة المفقودة ومعها فرع شجرة حديث.

فسأله بوارو قائلاً: وماذا عن السيدة شابمان؟

- إن اسمها الحقيقي هو سيلفيا، والأمر المؤكّد أن سيلفيا أو أصدقاءها هم الذين قتلوا الآنسة سيل ووضعوها في الخزانة.

فأومأ بوارو برأسه ثم سأل قائلاً: ولكن لماذا هشّموا وجهها؟

- ربما بغرض الانتقام أو إخفاء شخصيتها.

فقطب بوارو جبينه ثم قال: ولكن هذا لم يُخفِ شخصيتها.

- أجل، فقد كانت حقيبتها في الخزانة، وداخل الحقيبة وجدنا خطاباً كان مرسَلاً إليها على عنوان الفندق.

فقعد بوارو وقال: ولكن هذا لا معنى له.

- بالطبع، ربما كانت خُدعة.

ثم وقف بوارو وقال: هل فتّشت الشقة؟

- فتّشتها جيداً، ولكنني لم أجد شيئاً يهدينا في بحثنا.

فقال بوارو: أودّ أن أرى حجرة نوم السيدة شابمان.

لم تظهر في الحجرة علامات تدل على أن صاحبة الشقة قد غادرتها بطريقة سريعة؛ فقد كان كل شيء منمقاً ومنسقاً، وكان من الواضح أنه لم ينَم أحد على السرير وإنما كان مُعداً للنوم في الليل، كما كان التراب يغطي كل شيء.

قال جاب: لا توجد هنا بصمات كما ترى، توجد فقط بصمات أصابع على أدوات المطبخ، ولكنني أتوقّع أن تكون بصمات الخادمة، ومعنى هذا أن الفاعلين ملؤوا المكان بالتراب عقب القتل.

وتحرّكت عينا بوارو ببطء داخل الحجرة، وكانت الحجرة مؤثّثة بأسلوب عصري مثل حجرة الاستقبال، فنظر إلى خزانة الملابس التي كانت مبنية داخل الحائط وأمسك بالملابس فوجدها أنيقة ولكنها ليست من الدرجة الأولى، ثم وقعت عيناه على الأحذية فوجد أن أغلبها من نوع الصنادل الذي كان شائعاً في تلك الفترة، فقاس بوارو أحد الأحذية بيده فلاحظ أن السيدة شابمان تلبس رقم خمسة، وفي خزانة أخرى وجد كومة من الفراء، ثم أمسك بوارو بسُترة من الفرو الأخضر لاحظ أنها مصنوعة من جلد من الدرجة الأولى، ثم ذهب إلى الحمّام فوجد كمية كبيرة من أدوات الزينة فنظر إليها باهتمام فوجدها عبارة عن طلاء شفاه من نوع فانيشينغ ومعجون للجلد وزجاجتين من زيت الشعر. قال جاب: أعتقد أنها ليست شقراء.

فهمس بوارو قائلاً: في سنّ الأربعين يتحوّل شعر أغلب النساء إلى اللون الرمادي يا صديقي، ولكن السيدة شابمان لم تستسلم للطبيعة.

فقال جاب: أشعر بأنه يوجد شيء يضايقك يا بوارو، فما هو؟

فقال بوارو: أجل، أنا متضايق للغاية لأنه توجد مشكلة ليس لها حلّ عندي.

ثم ذهب بوارو إلى الخزانة فأمسك بحذاء السيدة الميتة وحاول أن يخلعه فخُلع الحذاء بصعوبة، وفحص الإبزيم المعدني الذي كان مثبتاً بإحكام ثم تنهد وقال: أنا أحاول.

فقال جاب باستغراب: ما الذي تحاوله؟ هل تريد أن تعقّد الأمور؟ هذا حذاء من الجلد الخالص له إبزيم معدني، فما الخطأ في ذلك؟

فقال بوارو: لا شيء على الإطلاق، ورغم ذلك لا أفهم.

* * *

أخبرهما البوّاب بأن السيدة مرتون التي تسكن في المنزل رقم اثنين وثمانين بشارع الملك ليوبولد هي أقرب صديقات السيدة شابمان في الحي، فذهب جاب وبوارو إلى ذلك المنزل.

كانت السيدة مرتون سيدة ثرثارة، سوداء العينين أنيقة الشعر مستعدة للتحدّث في مثل هذه الأمور المحزنة. وقد قالت: طبعاً أعرف سيلفيا شابمان، ولكنني لا أعرفها جيداً لأنها ليست صديقة حميمة. لقد أمضينا عدّة أمسيات في لعب البريدج، كما ذهبنا إلى المعارض معاً واشترينا بعض البضائع. ولكن قولا لي، هل ماتت؟

فطمأنها جاب مرّة أخرى فقالت: حسناً، شكراً لإبلاغي. ولكن موظف البريد فزع لسماعه بوجود جثة في أحد الشقق. على

الإنسان أن لا يصدّق نصف ما يسمعه.

ثم سألها جاب سؤالاً آخر فردّت عليه قائلة: لا، أنا لم أسمع شيئاً عن السيدة شابمان منذ أن غادرت المكان، يبدو أنها غادرت المكان فجأة لأننا كنا قد اتفقنا على زيارة معرض جنجر روغرز وفرد أستير بعد أسبوع، ولكنها لم تذكر لي أنها ستغيب.

ثم ذكرت السيدة مرتون أنها لم تسمع عن الآنسة سيل قطّ وأنها لم تسمع السيدة شابمان تتحدّث عنها، ثم قالت: ومع ذلك فإن الاسم يبدو مألوفاً لي بدرجة واضحة، يبدو أنني سمعته في مكان ما مؤخّراً.

فقال جاب بحرارة: لقد نشرته كل الصحف لعدّة أسابيع.

- آه! هي تلك الآنسة مفقودة، أليس كذلك؟ هل تظن أن السيدة شابمان كانت تعرفها؟ لا، أنا متأكّدة لأن سيلفيا لم تذكر اسمها أمامي إطلاقاً.

- هل يمكن أن تقولي لنا شيئاً عن السيد شابمان؟

فظهر على وجه السيدة مرتون تعبير غريب ثم قالت: أعتقد أنه كان تاجراً يسافر باستمرار في أنحاء أوروبا لشراء أشياء لشركته التي تنتج الأسلحة.

- هل قابلتِه من قبل؟

- لا، لم أقابله قطّ؛ فقد كان نادراً ما يعود إلى منزله، وعندما يكون في المنزل لم يكن هو وزوجته يحبّان أن يضايقا أنفسهما بالغرباء.

- هل للسيدة شابمان أقرباء أو أصدقاء؟

- لا أعتقد أن لها أصدقاء أو أقرباء؛ فلم تحدثني عن شيء كهذا قطّ.

وصمتت السيدة مرتون ثم قالت بحدّة فجأة: ولكن قولا لي من فضلكما، لماذا تسألانني كل هذه الأسئلة؟ صحيح أنكما من اسكتلنديارد ولكن يجب أن يوجد سبب لذلك.

- حسناً، كل ما في الأمر أننا وجدنا جثة ميتة في شقة السيدة شابمان يا سيدتي.

فأطلقت صرخة ذعر واحمرّت عيناها وهي تقول بفزع: جثة ميتة؟! إنها ليست جثة السيدة شابمان أو جثة رجل غريب، أليس كذلك؟

فقال جاب: إنها ليست جثة رجل على الإطلاق، بل هي جثة امرأة.

فصاحت السيدة مرتون باستغراب أكثر قائلة: امرأة؟!

فسألها بوارو برقّة قائلاً: لماذا تعتقدين أنها جثة رجل يا سيدتي؟

- لا أدري، ولكن الاحتمال الذي كان أقرب إلى ذهني أن تكون جثة رجل.

- لماذا؟ هل تعوّدت السيدة شابمان أن تستقبل رجالاً؟

فردّت السيدة مرتون بغضب قائلة: لا بالطبع، أنا لم أقصد شيئاً من هذا القبيل، كما أن سيلفيا شابمان لم تكن من هذا النوع من النساء قطّ، ولكنني أقصد أن السيد شابمان... أقصد...

وتوقّفت عن الكلام فقال بوارو: أعتقد أنك تعرفين أكثر قليلاً

مما أخبرتِنا به يا سيدتي.

فقالت السيدة مرتون بشكّ: أنا لست أعرف شيئاً، كما أنني لا أدري ما الذي يمكن أن أفعله. أنا لا أريد أن أخون صديقتي، ثم إنني لم أقُل ما قالته سيلفيا لي إلا لصديقة أو صديقتين ممن أثق بهما.

فقال جاب: وماذا قالت؟

فقالت السيدة مرتون بصوت خفيض: لقد خرج الأمر من لسانها فجأة، ففي يوم من الأيام كنّا نشاهد فِلماً عن المخابرات فقالت السيدة شابمان إن المؤلّف لا يعرف الكثير عن هذا الموضوع، ثم قالت لي: "احلفي بأنك لن تقولي هذا السر"، ثم قالت لي إن زوجها يعمل في المخابرات ولهذا كان يسافر إلى الخارج دائماً، أما شركة الأسلحة فقد كانت تُستخدم للتمويه فقط. وكان الأمر مزعجاً للسيدة شابمان لأنها لم تكن تستطيع أن تراسله وهو بعيد.

* * *

عندما نزل جاب وبوارو الدرَج كان الرقيب الشاب الأنيق ينتظرهما فقال باحترام: لم أتمكّن من الحصول على أية معلومات عن الخادمة يا سيدي لأن السيدة شابمان كانت قد غيّرت الخادمات مرّات عديدة، وتلك الخادمة تعمل عندها منذ شهر أو شهرين فقط، وهي تقول إن السيدة شابمان كانت سيدة لطيفة تهوى الاستماع إلى المذياع، كما أنها متحدّثة لطيفة. وتعتقد الفتاة أن السيد شابمان مخادع، ولكن السيدة شابمان لم تكن تشكّ فيه، وكانت السيدة شابمان تتلقي خطابات من ألمانيا وأمريكا وإيطاليا وروسيا. إن زوج الخادمة من هواة جمع طوابع البريد فكانت السيدة

شابمان تنزع الطوابع وتعطيها للخادمة.

- هل وجدت شيئاً في أوراق السيدة شابمان؟

- لا شيء إطلاقاً يا سيدي، كما أنه لم يكن من عادتها الاحتفاظ بالكثير من الأوراق، كل ما وجدناه بعض الفواتير المحلّية المدفوعة وبعض تذاكر المسرح وبعض وصفات الطهي المقطوعة من الصحف وملزمة عن إرساليات زينانا الخيرية.

- من الممكن أن نخمّن اسم الذي أحضرها إلى هنا. من الواضح أنها لا تبدو كقاتلة، ولكنني أعتقد أن لها يداً في الجريمة. هل ظهر رجال غرباء في ذلك المساء؟

- لا يذكر البوّاب أنه رأى أي رجل غريب، ويقول بأن العمارة السكنية تحتوي على عشرات الشقق التي يدخلها الناس ويخرجون منها، ولكنه يستطيع أن يحدّد تاريخ زيارة الآنسة ساينسبري سيل لأنه أُخذ إلى المستشفى في اليوم التالي لأنه كان يشعر بالتعب في ذلك المساء.

- ألم يسمع أحد من الذين يسكنون الشقق الأخرى شيئاً؟

فهزّ الرجل الآخر رأسه وقال: لقد سألت في الشقة العلوية والشقة السفلية فلم يذكر أحد أنه سمع شيئاً غير عادي لأنهم كانوا يستمعون إلى المذياع كما فهمت.

* * *

خرج جرّاح المنطقة من الحمّام حيث كان يغسل يديه وهو يقول بسعادة: إن الجثة متعفّنة للغاية. يمكنكم أن تُنزلوها عندما تكونوا مستعدّين، وسأذهب لإحضار بعض المسامير المعدنية.

- هل لديك أية فكرة عن سبب الموت يا دكتور؟

- من المستحيل أن أقول شيئاً قبل تشريح الجثة، ولكن من الواضح أن إصابات الوجه تمّت بعد الوفاة، ويمكنني أن أعرف أكثر عندما أراها فوق المشرحة. إنها امرأة متوسطة العمر قوية الصحة شعرها رمادي أساساً ولكنه مصبوغ باللون الأحمر، ومن الجائز أن توجد علامات في جسدها، فإذا لم تكن توجد علامات فمن العسير التعرّف عليها، ولكن أنت تعرف مَن هي، وهذا شيء رائع.

- هي تلك المرأة التي أُثيرت ضجة في الصحف حول غيابها.

- ماذا تقول؟ أنا لا أُطالع الصحف إطلاقاً، وإنما أحلّ الكلمات المتقاطعة فقط.

ودار بوارو حول المكتب فالتقط دفتر عناوين بنّي اللون، فقال بدوز: لا يوجد شيء يثير الانتباه في هذا الدفتر؛ فأغلبه يضمّ عناوين مصفّفي شَعر ومصمّمي أزياء، ولم ألاحظ أية عناوين خاصة أو أسماء.

ففتح بوارو الدفتر على حرف الدال وقرأ التالي: «الدكتور دافيز، رقم سبعة عشر بطريق الأمير ألبرت، دريك وبومبونتي، ثعبان سمك». وتحت ذلك الكلام كتب: «السيد مورلي، المنزل رقم ثمانية وخمسين بشارع الملكة شارلوت».

فلمعت عينا بوارو وقال: لن يكون التعرّف على الجثة صعباً كما كنت أتصوّر.

فنظر إليه جاب بفضول وقال: أتعني...؟

فقاطعه بوارو قائلاً: أريد أن أتأكّد فقط.

قام بوارو بزيارة للسيدة مورلي التي كانت قد انتقلت إلى الريف في قرية صغيرة قرب هرتفورد، فحيّته بودّ وقد بدا على وجهها شيء من القسوة والصلابة منذ أن مات أخوها. ووافقها بوارو على أن المحاكمة لم تكن عادلة، فأدّى اتفاقه معها إلى تهدئتها بعض الشيء، ثم أجابت على أسئلته بثبات فذكرت له فيها أن الآنسة نيفيل كانت تحتفظ بأوراق مورلي المهنية ثم أعطتها لخليفته، كما أخبرته بأن بعض المرضى تحوّلوا إلى الدكتور ريلي وذهب البعض الآخر إلى أطباء غيره، وفي نهاية حديثها قالت: هل معنى هذا أن الآنسة ساينسبري قُتلت هي الأخرى؟

وضغطت على كلمة الأخرى فقال بوارو: ألم يذكر لك أخوك شيئاً عن الآنسة ساينسبري سيل؟

- نعم، لم يذكر شيئاً. لقد اعتاد أن يكلّمني عن مرضاه المتعبين أو عن بعض حديثهم المزعج، ولكننا كنا لا نتكلم كثيراً عن عمله. لقد كان يسعده أن ينسى عمله عندما ينتهي منه، وأحياناً كان يعود وهو مجهَد جداً.

- هل تذكرين أنك سمعت عن سيدة تُدعى شابمان كانت بين مرضى أخيك؟

- شابمان؟ لا، لا أعتقد ذلك. إن الآنسة نيفيل هي الوحيدة التي يمكن أن تساعدك كثيراً في مثل هذه الأمور.

- وأين هي الآن؟

- أعتقد أنها تعمل عند طبيب أسنان في رامسغيت.

- ألم تتزوج بعدُ ذلك الشاب الذي يُسمى فرانك كارتر؟

– نعم، لم تتزوجه بعد، وأتمنّى أن لا يتمّ ذلك؛ فأنا لا أحب ذلك الشاب لأنه عديم الخُلق.

فقال بوارو: هل تعتقدين أنه من الممكن أن يكون ذلك الشاب هو الذي قتل أخاك؟

فقالت الآنسة مورلي ببطء: أظن أنه يستطيع أن يفعل ذلك لأنه كان حادّ المزاج، ولكنني لا أرى دافعاً يحفّزه على قتل أخي، كما أن الفرصة لم تكن مواتية ليفعل ذلك، وأنت ترى أنه بالرغم من إلحاح أخي على غلاديس لتترك ذلك الشاب إلا أنها كانت مخلصة له على طول الخطّ.

– ألا تظنين أن أحداً يمكن أن يكون قد رشاه ليقتل أخاك؟

– رشاه ليقتل أخي؟ يا لها من فكرة شاذة!

ثم أحضرت الشاي فتاة جميلة شعرها أسود، وعندما خرجت وأغلقت الباب خلفها قال بوارو: لقد كانت تلك الفتاة معك في لندن، أليس كذلك؟

– أغنيز؟ بلى، وهي تقوم معي بعمل الشغالة التي رفضت العمل في الريف، والآن تقوم أغنيز بكل شيء. إنها في طريقها إلى أن تصبح طبّاخة ماهرة.

وكان بوارو يعرف كل شيء عن منزل السيد مورلي رقم ثمانية وخمسين بشارع الملكة شارلوت؛ فقد درسه بالتفصيل في أثناء المأساة. لقد كان السيد مورلي وأخته يشغلان الطابقين العلويين في حين كان الطابق السفلي مغلقاً تماماً فيما عدا صالة صغيرة تؤدّي إلى الفناء الخلفي الذي كان محاطاً بأسلاك شائكة تمتدّ حتى الطابق العلوي الذي كان مثبّتاً فيه مكبّر الصوت، ومعنى ذلك أن

المدخل الوحيد للمنزل هو الباب الأمامي الذي كان يقف أمامه الغلام ألفريد، وقد ساعد ذلك الغلام الشرطة على أن يتأكّدوا من أن أحداً لا يمكن أن يكون قد دخل المنزل في ذلك الصباح.

وكانت الطباخة والخادمة تعملان لدى عائلة مورلي منذ عدّة سنوات أظهرتا خلالها حُسن خُلقهما، وبالرغم من أنه من الممكن نظرياً أن تكون إحداهما قد تسلّلت إلى الطابق الثاني وقتلت سيدها إلا أن هذا الاحتمال لم يوضع في الاعتبار من الجهة العملية لأنهما لم ترتبكا في أثناء الاستجواب، ولذلك لم يوجد ما يدعو إلى اتهامهما بالقتل، ورغم ذلك كله فإنه عندما سلّمت أغنيز بوارو قبّعته وعصاه عند مغادرته المنزل سألته فجأة بطريقة عصبية قائلة: هل توصّلتم إلى معلومات جديدة عن موت سيدي؟

فاستدار بوارو لينظر إليها وقال: لا جديد تحت الشمس.

- ألا تزالون متأكّدين من أنه انتحر لأنه أخطأ في إعطاء المخدّر؟

- نعم. ولكن لماذا تسألين؟

فبدا عليها التوتّر وهي تقول بصوت متحشرج: إن سيدتي لا تعتقد ذلك.

- وهل توافقينها على رأيها؟

- أنا؟ أنا لا أعرف شيئاً يا سيدي، أريد أن أتأكّد فقط.

فقال بوارو بصوت هادئ: هل يريحك أن يكون الأمر انتحاراً؟

فأجابته أغنيز قائلة: نعم يا سيدي، يريحني جداً.

- وما السبب يا تُرى؟

والتقت عيناها المنزعجتان بعينيه ففزعت وقالت: أنا لا أعرف شيئاً عن الموضوع يا سيدي. لقد كنت أسأل فقط.

وفي طريقه إلى باب المنزل قال بوارو لنفسه: لماذا تسأل تلك الفتاة؟

وشعر بوجود سبب وراء سؤالها، ولكنه لم يستطع أن يخمّن ذلك السبب، وإن كان قد شعر أنه تقدّم خطوة على الطريق.

* * *

عاد بوارو إلى منزله وأدهشه أن يجد زائراً ينتظره، زائراً أصلع الرأس هو السيد بارنز الذي وقف بجسده الصغير الأنيق وعينيه البراقتين يعتذر ويقول إنه جاء رداً على زيارة بوارو له، وبعد عدّة مجاملات سعل السيد بارنز وقال: سأكون صريحاً معك يا سيد بوارو. لقد دفعني حب الاستطلاع إلى الحضور إليك لأنك تعرف كل تفصيلات هذه القضية الغريبة حسب ما أتصوّر، وقد طالعت في الصحف أنهم وجدوا الآنسة سيل وأن المحاكمة الخاصة بمصرعها قد أُجّلت من أجل البحث عن أدلة أكثر، وقد ذُكر أن سبب الوفاة هو جرعة مضاعفة من المدينال، أليس كذلك؟

فقال بوارو: بلى، هذا صحيح تماماً.

وصمتا برهة ثم قال بوارو: هل سمعت عن السيد ألبرت شابمان؟

- نعم، إنه زوج السيدة التي عثرتم على جثة الآنسة سيل في شقّتها، والتي يبدو أنها هربت.

- ولكن الزوج غير موجود.

فقال السيد بارنز: لا، هو موجود، أو كان موجوداً. وقد سمعت أنه مات ولكنني لا أصدّق هذه الإشاعات.

- مَن ذلك الرجل؟

- لا أظن أنهم سيعلنون عنه في أثناء التحقيق إلا إذا كان الأمر ضرورياً، وسوف يذكرون أنه كان يعمل في شركة أسلحة.

- هل كان يعمل في المخابرات؟

- بالطبع، وكان عليه أن لا يخبر زوجته، وكان يريد أن يترك المخابرات بعد زواجه لأن الزواج يعرقل رجل المخابرات.

- وماذا كان رقم ألبرت شابمان؟

- كان رقمه كيو إكس ٩١٢، وهذا هو اسمه الشائع لأن استخدام الاسم العادي أمر غير مألوف. ولكنني لا يمكن أن أزعم أن كيو إكس ٩١٢ كان شخصاً هاماً، ولكنه كان مفيداً لأنه شاب تافه من النوع الذي لا يمكن أن تتذكّر وجهه بسهولة، وقد استخدمته المخابرات كثيراً كمبعوث لها في أوروبا، فكان ينقل خطاباً إلى سفيرنا في رويتانيا أو شفرة غير رسمية إلى شخص آخر وهكذا. كانت هذه هي قيمة ألبرت شابمان.

- معنى هذا أنه كان يعرف مجموعة من المعلومات المفيدة.

فردّ السيد بارنز بابتهاج قائلاً: ربما لم يكن يعرف أي شيء؛ فقد كان يقفز من طائرة إلى باخرة إلى قطار دون أن يعلم لماذا يسافر ولا إلى أين يسافر.

- هل سمعت أنه مات؟

- هذا ما سمعته، ولكنك لا يمكن أن تصدّق كل ما يُقال.

فنظر بوارو إلى السيد بارنز باهتمام وسأله قائلاً: وماذا تظن أن يكون قد حدث لزوجته؟

فقال بارنز: لا أعرف.

ثم نظر إلى بوارو بعينين مفتوحتين وقال له: هل تستطيع أن تخمّن أنت؟

فقال بوارو: أنا أظن أن...

وتوقّف عن الكلام ثم قال ببطء: إن الأمر محيّر حقاً.

فهمس السيد بارنز بلطف قائلاً: هل يوجد شيء معيّن يضايقك؟

فقال بوارو بهدوء: نعم، شيء رأيته بعينَي.

* * *

جاء جاب إلى حجرة استقبال بوارو وألقى قبّعته بطريقة عنيفة جعلت المنضدة تهتزّ ثم قال: ما الذي جعلك تظن هذا؟

- عن أي شيء تتكلّم يا عزيزي جاب؟

فقال جاب بهدوء وقوة: ما الذي جعلك تعتقد أن تلك الجثة ليست جثة الآنسة ساينسبري سيل؟

فبدا الضيق على بوارو وقال: وجهها. لماذا يتهشّم وجه امرأة ميتة؟

فقال جاب: يا إلهي! كنت أودّ أن يكون مورلي موجوداً في أي مكان؛ فمن الممكن أن يكون قد أُبعد عمداً عن الطريق حتى

لا يدلي بشهادته.

- بالتأكيد، كان الأمر سيصبح أفضل لو أنه أدلى بالشهادة بنفسه.

- إن نائب مورلي موجود، وهو رجل قادر ذو سلوك ممتاز ويمكن أن يدلي بالشهادة.

وفي اليوم التالي أثارت الصحف ضجّة بين القّراء حينما ذكرت أن الجثة التي وُجدت في شقة باترسي، والتي اعتقد رجال الشرطة أنها جثة السيدة ساينسبري سيل، هي جثة السيدة ألبرت شابمان، وذلك بعدما أعلن السيد ليثيران نائب الدكتور مورلي أن الجثة هي جثة السيدة شابمان لأن الأسنان والفك كانوا أسنان وفك السيدة شابمان كما ورد في السجّلات الطبية للدكتور مورلي. وقد وُجدت ملابس الآنسة ساينسبري سيل على الجثة كما وُجدت حقيبتها، ولكن أين الآنسة ساينسبري سيل نفسها؟

* * *

الفصل الخامس

عندما خرجا من المحكمة قال جاب لبوارو بابتهاج: لقد كان عملاً مثيراً.

فأومأ بوارو موافقاً فقال جاب: لقد اكتشفت أنت الأمر منذ البداية، ولكنك تعرف أنني لم أكن راضياً عن الجثة لأنه ليس من المعقول أن يُهشّم وجه سيدة ورأسها دون هدف، وقد كان الهدف هو إخفاء ملامح الجثة، ولكنني لم أكتشف أنها امرأة أخرى في وقت مبكّر.

فقال بوارو بابتسامة: ورغم ذلك فإن الأوصاف الفعلية للسيدتين متشابهة في أُسسها العامة يا صديقي. لقد كانت السيدة شابمان سيدة أنيقة جميلة ترتدي أحدث الأزياء، أما الآنسة ساينسبري سيل فكانت ترتدي ملابس رخيصة ولا تستخدم أحمر الشفاه، ولكن الأوصاف كانت متشابهة، فالسيدتان في الأربعين متقاربتان في الطول والهيكل وكان شعرهما يتحوّل إلى اللون الرمادي مما جعلهما تصبغانه.

- الأمر كما ذكرت فعلاً، ولكننا يجب أن نعترف بشيء واحد، وهو أن مابيل الحلوة قد ألقت علينا المصيبة كاملة، وإنني أقسم أنها هي الأداة الأصلية للجريمة.

- حتى بعدما عرفنا كل حياتها السابقة؟

- نحن لم نعرف أنها قادرة على القتل، وهذا ما يبدو واضحاً الآن، فسيلفيا لم تقتل مابيل وإنما مابيل هي التي قتلت سيلفيا.

فهزّ بوارو رأسه بأسى لأنه كان يشعر بأن مابيل ليست هي القاتلة، ولكنه كان يسمع صدى صوت بارنز الضعيف الساخر يقول: "ابحث بين الناس المحترمين"، وقد كانت مابيل ساينسبري سيل محترمة للغاية. قال جاب بتركيز: سأصل إلى أساس هذه القضية لأنه لم ينتهِ أمر تلك السيدة بالنسبة لي.

* * *

في اليوم التالي اتصل جاب ببوارو وقال بصوت فيه رنة غريبة: هل تريد أن تسمع معلومات جديدة مثيرة؟

- عفواً، لم أسمعك جيداً لأن الصوت ليس واضحاً يا صديقي.

- لقد انتهى الأمر يا عزيزي، وعليك الآن أن تجلس وتعبث بأصابعك.

وصمت برهة ثم استطرد قائلاً: لقد انتهى الموضوع اللامع وانتهى الصياح وانفتحت الحقيبة المليئة بالأسرار.

- ما زلت لا أفهم حتى الآن.

- حسناً، أنصت إليّ جيداً لأنني لا أستطيع أن أذكر الأسماء. هل تعرف الاستجواب؟ هل تعرف أننا نقلب البلد كلها بحثاً عن سمكة؟

- نعم، أنا أفهم الآن.

- لقد توقّف هذا الأمر الآن. هل تفهمني؟

- نعم، ولكن لماذا؟

- تلك هي الأوامر من المكتب الخارجي.

- أليس هذا أمراً غريباً؟

- هذا يحدث أحياناً.

- ولكن لماذا يمنعون الآنسة؟ من تكون السمكة العاملة؟

- إنهم لا يفعلون ذلك، بل لا يهتمّون بها إطلاقاً، إن المسألة مسألة نشر، وإذا أحضروها إلى المحاكمة فربما كشف الكثير عن السيد أ. س.، وهذا هو الجانب الخفيّ. أنا أعتقد أن الزوج هو السيد أ. س.، هل تفهمني؟

- نعم، أفهمك جيداً.

- إنه في موضع ما ولا يريدون إزعاجه، ولكن وجود السيدة يعطينا إشارة حمراء.

فقال بوارو برقّة: ألن تهرب بالموضوع كله؟

- لقد قلت لك إن أيدينا مقيّدة.

- يداك فقط، أما يداي فليستا مقيّدتين.

- هل ستستمر في القضية يا صديقي الطيّب بوارو؟

- نعم، حتى الموت.

- لا تصعّد الأمور إلى هذا الحدّ يا عزيزي؛ فإذا استمرّ الأمر هكذا فربما أرسل لك أحد الأشخاص عنكبوتاً ساماً بالبريد.

وعندما وضع بوارو السمّاعة قال لنفسه: لماذا استخدمت عبارة «حتى الموت»؟ إنها عبارة جنونية فعلاً.

* * *

في مساء ذلك اليوم وصل إلى بوارو خطاب مكتوب على الآلة الكاتبة فيما عدا التوقيع هذا نصّه:

عزيزي السيد بوارو:

سأكون مديناً لك بالفضل إذا زُرتني غداً في أي وقت لأنني أريد أن أُفضي إليك بشيء، وأقترح أن يكون موعدنا في الثانية عشرة والنصف في منزلي بشلسي، وإذا لم يناسبك هذا الموعد فاتّصل بالهاتف ورتّب موعداً آخر مع سكرتيري. آسف لإرسال هذه الرسالة القصيرة.

المخلص: أليستير بلنت

فتح بوارو الخطاب وقرأه مرّة أخرى، وفي ذلك الوقت رنّ جرس الهاتف فخُيل إلى بوارو أن المكالمة عاجلة وهامة فنهض وأمسك السمّاعة وقال بصوته الأجنبي المهذّب: مرحباً.

فقال صوت مجهول: ما هو رقمك من فضلك؟

- هذا رقم ٧٢٧٢ هويتهون.

وبعد الفترة التي قام فيها محدّثة بتحويل الهاتف قال صوت نسائي: هل أنت السيد بوارو؟

- نعم.

- سيد بوارو، لقد تسلّمتَ خطاباً أو على وشك أن تتسلّم

خطاباً، أليس كذلك؟

- مَن أنت؟

- ليس ضرورياً أن تعرف.

- حسناً، لقد تسلّمت بالفعل ثمانية خطابات وبعض الفواتير في بريد المساء.

- أنت تعرف أي خطاب أقصد، عليك أن تكون عاقلاً وترفض المهمّة يا سيد بوارو.

- أنا الذي أقرّر هذا.

فردّ الصوت ببرود قائلاً: أنا أحذّرك يا سيد بوارو، فنحن لم نعُد نحتمل تدخلّك أكثر من هذا، ابتعد عن الموضوع.

- وإذا لم أبتعد عن الموضوع فماذا سيحدث؟

- سوف نوقفك عند حدّك.

- هل هذا تهديد؟

- نحن نطلب منك أن تكون عاقلاً لأن هذا في صالحك.

- أنت كريمة للغاية.

- لتبتعد عمّا لا يخصّك، هل فهمت؟

- ولكنني أعتبر أن موت السيد مورلي أمر يخصّني.

فقالت المرأة بصوت حادّ: لقد كان موت مورلي مجرّد حادث لأنه تدخّل في خططنا، وقد أخطأ حينما رفض أن يكون عاقلاً.

- وها أنا أيضاً أرفض أن أكون عاقلاً.

- يا لك من مغفّل.

ثم وضعت المتحدّثة سمّاعة الهاتف فوضع بوارو السمّاعة أيضاً، ولم يزعج نفسه بتتبّع رقم الهاتف لأنه كان متأكّداً من أن المكالمة تمّت من هاتف عمومي، ولكن الذي ضايق بوارو وأدهشه هو اعتقاده بأنه سمع ذلك الصوت من قبل، فقدح زناد فكره محاولاً أن يتذكّر هل ذلك هو صوت الآنسة ساينسبري سيل أم لا. إنه يذكر أن صوت الآنسة ساينسبري كان عالياً واضح المقاطع، ولكن ذلك الصوت لم يكن كذلك، وربما كانت ساينسبري هي المتحدثة بعد أن غيّرت صوتها لأنه من السهل عليها أن تغير صوتها. ثم تذكّر بوارو أن طبقة الصوت لم تكن مختلفة كثيراً عن طبقة صوت ساينسبري.

ولكن بوارو لم يرضَ عن هذا التفسير لأن الصوت كان يذكّره بصوت آخر، صوت لا يعرفه تمام المعرفة، صوت ربما سمعه مرّة أو مرتين من قبل، ولكن لماذا يورّط ذلك الصوت نفسه بتهديده؟ هل يتصوّر هؤلاء الناس أن التهديد يمكن أن يؤثّر فيه؟ من الواضح أنهم يتصورون ذلك، وهو أمر يكشف عن ضعف في نفوسهم.

* * *

في المساء نشرت الصحف خبراً مثيراً عن محاولة اغتيال رئيس الوزراء في أثناء مغادرته مقرّه في المنزل رقم عشرة بشارع داونغ مع أحد أصدقائه، ولحسن الحظّ لم تصِبه الرصاصة، وقد قُبض على الجاني الذي اتضح أنه هندي الجنسية. وبعد أن قرأ بوارو هذا الخبر في الصحف أخذ سيارة أجرة إلى اسكتلنديارد حيث أُدخل إلى حجرة المفتش جاب الذي رحّب به ترحيباً حاراً وقال: لا شكّ أن الأخبار هي التي أتت بك إلى هنا. هل ذكرت أية

صحيفة اسم الصديق الذي كان يرافق رئيس الوزراء؟

- لا. مَن هو؟

- أليستير بلنت.

- حقاً؟

- نحن متأكّدون من أن الرصاصة كانت موجّهة إلى بلنت وليست إلى رئيس الوزراء، إلا إذا كان الجاني شخصاً مجنوناً يفعل أي شيء. إن الجاني شاب هندي مجنون وطائش كالعادة، ولكنه كان محرَّضاً ولم تكن الفكرة فكرته. لقد كان الأمر مثيراً، فعندما أُطلقت الرصاصة أمسك شاب أمريكي برجل ملتح بعد أن انقضّ عليه وصاح قائلاً إنه هو الجاني، ولكن رجالنا ألقَوا القبض على الشاب الهندي الذي حاول الهرب.

فسأل بوارو بدهشة قائلاً: مَن ذلك الشاب الأمريكي؟!

- شاب يُدعى ريكس. لماذا تسأل؟ ما الأمر؟

- هل هو هوارد ريكس الذي يعيش في فندق هلبورن بالاس؟

- نعم، ولكن لماذا؟

- هذا هو المريض الذي فرّ من العيادة يوم مقتل مورلي.

فقال جاب ببطء: بوارو، أما زال الموضوع يدور برأسك؟

فأجابه بحزن قائلاً: نعم، هو كذلك.

* * *

اتجه بوارو إلى المنزل القوطي حيث استقبله سكرتير السيد

بلنت، وكان رجلاً طويل القامة أعرج مهذّباً مراعياً للتقاليد الاجتماعية، فاعتذر لبوارو قائلاً: عذراً يا سيد بوارو، إن السيد بلنت تمّ استدعاؤه إلى شارع داونغ بسبب حادث الأمس، وقد اتّصلت بك هاتفياً ولكنك كنت قد غادرت منزلك بالفعل. لقد طلب منّي السيد بلنت أن أدعوك إلى قضاء عطلة نهاية الأسبوع معنا في منزله في كِنت، وستصلك سيارته غداً مساءً في حال موافقتك.

فبدا على بوارو التردّد فقال له السكرتير: السيد بلنت يريد رؤيتك بشدّة.

- حسناً، ليكن.

- سيكون السيد بلنت سعيداً بهذا القرار، سنتصل بك في السادسة إلا الربع.

ثم التفت نحو الباب فجأة وقال: مرحباً يا سيدة أوليفيرا.

وكانت السيدة أوليفيرا أمّ جين قد دخلت بملابسها الأنيقة وقبّعتها التي تخفي حاجبَيها وتكشف عن شعرها الأنيق الجميل، ثم قالت للسكرتير: هل وصلتك تعليمات بخصوص الحديقة؟ لقد حدّثت بلنت عنها أمس لأننا سنغادر المنزل في عطلة هذا الأسبوع و...

وتوقّفت عن الحديث حين وقعت عيناها على بوارو، فقال السكرتير: هذا هو السيد بوارو. هل تعرفينه؟

فانحنى بوارو بطريقة مهذّبة وقال: يشرّفني أن أقابلك يا سيدتي.

فقالت بلهجة غامضة: مرحباً يا سيد بوارو.

ثم التفتت إلى السكرتير وقالت: أعرف أن السيد بلنت مشغول جداً، وهذه الأمور الصغيرة لا تهمّه.

فقال لها السكرتير: لقد حدّثته أمس في الموضوع فاتصل بالمختصين مباشرة.

- حسناً، هذا جيد.

ثم بدأت تتحدّث مع السكرتير بصوت مرتفع وهي تسير بخيلاء كالدجاجة السمينة فقالت: هل أنت متأكّد من أننا سنكون وحدنا هناك؟

فقالت السكرتير بعدما تنحنح: سيكون معنا السيد بوارو يا سيدتي.

فتوقّفت السيدة أوليفيرا ثم استدارت ناحية بوارو ورمقته بنظرة احتقار، فقال بوارو: لقد كان السيد بلنت رقيقاً معي حينما دعاني.

- ولكن هذا تصرّف غريب من أليستير؛ فقد أخبرني بأنه يريد عطلة عائلية هادئة.

فقال سيلبي السكرتير بحزم: إن السيد بلنت حريص جداً على حضور السيد بوارو.

- حقاً؟ ولكنه لم يذكر لي ذلك.

ثم فُتح الباب ووقفت جين أمامه وقالت بصبر نافد: ألن تأتي يا أماه؟ إن موعد الغداء هو الواحدة والربع.

- اصبري يا جين، أنا آتية.

- أرجو أن تسرعي. مرحباً يا سيد بوارو.

ثم توقّفت فجأة وقد انتابتها حالة غريبة جعلت عينيها قلقتين بعدما قالت السيدة أوليفيرا بصوت بارد: سوف يأتي السيد بوارو لقضاء عطلة الأسبوع معنا.

- آه! حسناً.

ثم تراجعت الآنسة جين أوليفيرا إلى الخلف كي تفسح الطريق لأمها، وعندما سارت الأم عادت جين وقالت: سيد بوارو.

وكان صوتها عالياً، فعبر بوارو الحجرة واتجه نحوها فقالت بصوت خفيض: هل ستأتي يوم العطلة؟ لماذا؟

فهزّ بوارو كتفيه وقال: هذه إرادة خالك.

فقالت جين: ولكنه لا يعرف شيئاً. متى دعاك؟ لم يكن عليه أن يفعل ذلك.

ونادتها أمها من الصالة فقالت جين بسرعة بصوت خفيض: أرجوك أن تترك الأمر كله وتبتعد يا سيد بوارو.

ثم خرجت جين، وسمع بوارو أصوات مشاحنة بدا خلالها صوت السيدة أوليفيرا العالي الذي كان يشكو ويقول: أنا لن أتحمّل وقاحتك يا جين، وسوف أمنعك من التدخّل.

ثم قال السكرتير لبوارو: موعدنا غداً قبل السادسة بقليل يا سيد بوارو.

فأومأ بوارو موافقاً وهو واقف كالشبح؛ فقد سمع جملتين من خلال الباب المفتوح مطابقتين تقريباً لما سمعه في الليلة الماضية من خلال الهاتف، فأدرك السبب الذي جعله يعتقد أن الصوت كان مألوفاً له إلى حدّ ما. وعندما خرج إلى ضوء الشمس هزّ بوارو

رأسه وقال لنفسه: السيدة أوليفيرا؟

ولكن هذا مستحيل، لا يمكن أن تكون السيدة أوليفيرا هي التي حدثته في الهاتف. هل هي تلك المرأة الفارغة العقل الأنانية الغبية التي تعشق نفسها؟ ماذا أطلق عليها منذ قليل؟ لقد أطلق عليها اسم الدجاجة السمينة. يا له من أمر مضحك. لقد خدعته أُذناه بالتأكيد.

* * *

في الموعد المحدّد قبل السادسة بقليل جاءت السيارة الرولز إلى بوارو وبها أليستير بلنت وسكرتيره، ويبدو أن السيدة أوليفيرا وابنتها قد سبقتا بسيارة أخرى. وكانت الرحلة عادية تحدّث خلالها بلنت عن حديقته ومعرِض حديث للبساتين، وقد هنّأه بوارو لنجاته من الموت مما أسعد بلنت فقال: نعم، ذلك الحادث. لا تعتقد أن الشاب كان يقصد إطلاق النار عليّ بصفة خاصة، وعلى أية حال لم تكن لدى ذلك الشاب المسكين أية فكرة عن التصويب، ولا شكّ في هو واحد من هؤلاء الطلبة المجانين الذين يخطّطون فقط ولا يضرّون، إنهم يعتقدون إن إطلاق رصاصة على رئيس الوزراء يمكن أن يغيّر مجرى التاريخ. هذا أمر يثير العطف حقاً.

– لقد حدثت محاولات لقتلك من قبل، أليس كذلك؟

فردّ بلنت وقد ابتسم ابتسامة بسيطة قائلاً: الأمر يبدو مثيراً، فقد أرسل إليّ أحد الأشخاص مؤخّراً طرداً ناسفاً بالبريد، ولكن المواد الناسفة لم تكن فعالة. أنا أتعجّب من هؤلاء الشباب الذين يريدون أن يسيطروا على مقاليد الأمور في العالم! أيّ عمل ناجح يمكن أن يحقّقوه وهم لا يستطيعون أن يخترعوا طرداً ناسفاً ناجحاً؟ هؤلاء هم الشباب المثاليون أصحاب الشعور الطويلة

الذين لا يملكون في عقولهم فكرة عملية واحدة. أنا لم أكن شاباً ماهراً قطّ، ولكنني أستطيع أن أقرأ وأكتب وأقوم بعمليات حسابية. هل تفهم ما أعني؟

- أعتقد ذلك، ولكن أرجو أن تبيّن لي أكثر.

- أنا إذا قرأت شيئاً مكتوباً فإنني أستطيع أن أفهم المعنى، وأنا لا أقصد المعلومات الصعبة كالفلسفة مثلاً، وإنما أقصد المعلومات الواضحة التي لا يفهمها أغلب الناس، وكذلك إذا أردت أن أكتب شيئاً فإنني أستطيع أن أكتب ما أعنيه. وقد اكتشفت أن أغلب الناس لا يستطيعون أن يفعلوا ذلك، وكما قلت لك فإنني أستطيع أن أقوم بعمليات حسابية، فمثلاً إذا كان جونز يملك ثمانية أصابع من الموز وأخذ منه براون عشرة منها فما الذي يتبقى معه؟ يزعم الغالبية أن الإجابة عن هذا السؤال سهلة، ولكنهم لا يعرفون أن براون لا يمكن أن يفعل ذلك وأنه لا يمكن أن نجيب.

- إنهم يفضّلون أن تكون الإجابة عبارة عن خدعة ماهرة.

- بالضبط، أما السياسيون فهم أسوأ، لذلك أنادي بالفهم الواضح لأنه لا يمكن هزيمته في النهاية. يجب عليّ أن لا أتحدّث عن الحسابات لأن الكثيرين لا يحبون ذلك، كما أنني أفضّل أن أترك الحسابات خلفي عندما أغادر لندن. سيد بوارو، آمل أن أسمع بعض مغامراتك. لقد قرأت بعض الروايات المثيرة، ولكنني أودّ أن أسألك، هل تلك الروايات واقعية؟

واستمرّت المناقشة طَوال الرحلة عن القضايا المثيرة لهيركيول بوارو، وكان أليستير بلنت مدهوشاً كالطفل الصغير وهو يتابع التفصيلات، ولكن ذلك الجوّ المسرحي سرعان ما أصابه الفتور عندما وصلوا واستقبلتهم أوليفيرا ببرود شديد، فتجاهلت بوارو

تجاهلاً تاماً موجّهة كلامها إلى مضيفها والسيد سيلبي الذي أخذ بوارو إلى حجرته.

وكان بوارو يستمتع بالطعام الجيد الذي لم يؤثّر فيه برود السيدة أوليفيرا ووقاحة ابنتها المفاجئة، فقد كانت جين تعامله معاملة سيئة لسبب معيّن مما أثار دهشته. نظر بلنت إلى المنضدة باستغراب ثم سأل قائلاً: لِمَ لم تتناول هيلين الغداء معنا اليوم؟

فزمّت جوليا أوليفيرا شفتيها وقالت: لقد أجهدت هيلين نفسها في الحديقة فاقترحت عليها أن الأفضل لها أن تنام بدلاً من أن ترتدي ملابسها وتأتي إلى هنا، فوافقتني على اقتراحي.

فنظر بلنت بحيرة وقال: لقد ظننت أنه قد حدث تغيير في عطلتها الأسبوعية.

فردّت السيدة أوليفيرا بحزم قائلة: هيلين تفضّل النوم مبكراً.

* * *

لحق بوارو بالسيدتين في حجرة الاستقبال لأن بلنت ظلّ مع سكرتيره بضع دقائق، فسمع جين أوليفيرا تقول لأمها: لن يرضى خالي عن الطريقة الباردة التي تعاملين بها هيلين مونتريسور.

فردّت أمها قائلة: هذا كلام فارغ. إن أليستير طيب القلب إلى درجة كبيرة، فها هم أقرباؤه الفقراء يعيشون حياة رغدة، كما أنه كريم إلى درجة أنه أجّر لها منزلاً دون مقابل، ولكنه إذا كان يتخيّل أنه يمكن أن يستدعي هيلين إلى الغداء كل أسبوع فهذا عبث منه. إنها ابنة عمّ من الدرجة الثانية ولا أعتقد أنه يجب أن تفرض نفسها على أليستير.

فردّت جين قائلة: أنا أعتقد أنها متكبّرة رغم أنها تقوم بأعمال الحديقة.

فقالت الأم بارتياح: هذه روح طيبة، إن الاسكتلنديين يحبون الاستقلال مما يجعل المرء يحترمهم.

ثم جلست على الأريكة دون أن تلتفت إلى بوارو وقالت: من فضلك يا عزيزتي أعطيني صحيفة لودون لأن بها شيئاً عن لوافان شايلر ورفيقها المراكشي.

ثم جاء أليستير بلنت وقال: هلا أتيت إلى حجرتي الآن يا سيد بوارو؟

وكانت حجرة بلنت الخاصة حجرة منخفضة السقف طويلة تقع خلف المنزل لها نوافذ مفتوحة على الحديقة، كما كانت مريحة بها كراسي عميقة ومقاعد وتشعّ فيها الحيوية الناتجة عن الفوضى البسيطة. وبعد أن قدّم بلنت إلى ضيفه لفافة تبغ وأشعل غليونه دخل إلى هدفه مباشرة فقال ببساطة: توجد أشياء كثيرة لا أفهمها، أنا أقصد تلك الآنسة التي تُدعى ساينسبري سيل طبعاً. لقد أوقفت السلطات بحث القضية لأسباب خاصة، ولكنني لا أعرف من يكون ألبرت شابمان أو ماذا يفعل بالضبط، ويبدو أنه شخص هام، كما أن وقف بحث القضية يقوّي موقفه. أنا لا أعرف أسرار الموضوع ولكن رئيس الوزراء ذكر لي أنهم لن يسمحوا بأي نشر عن هذه القضية، والأفضل أن ينسى الجمهور هذه القضية بسرعة.

- هذا صحيح، وتلك هي وجهة نظر الرؤساء، فهم الذين يعرفون ما ينفع البلاد وما يضرها.

- هذا معناه أن أيدي الشرطة مقيّدة.

ثم اتكأ في مقعده وقال: أريد أن أعرف الحقيقة يا سيد بوارو، وأنت الرجل الذي سيكشفها لي لأن القيود الإدارية لا تعوقك.

- ماذا تريد مني أن أفعل يا سيد بلنت؟

- أريد أن أعثر على تلك المرأة التي تُدعى ساينسبري سيل.

- هل تريد أن تعثر عليها حية أم ميتة؟

فارتفع حاجبا أليستير بلنت وقال باستغراب: هل تعتقد أنه من الممكن أن تكون قد ماتت؟!

فصمت بوارو دقيقة أو دقيقتين ثم قال بهدوء واتزان: إذا كنت تريد رأيي فأنا أعتقد أنها ميتة.

- ولماذا تعتقد ذلك؟

فابتسم هيركيول بوارو وقال: سوف تدهش إذا قلت لك إن السبب هو زوج من الجوارب في أحد الأدراج.

- أنت رجل غريب حقاً يا بوارو.

- أنا بالفعل غريب جداً، أقصد أنني منهجيّ ومنظّم ومنطقيّ، كما أنني لا أحب أن تُدعم النظرية بحقائق مشوّهة لأن ذلك أمر غير عادي في نظري.

فقال أليستير بلنت: أرى أن الموضوع برُمّته غريب للغاية، شاب يطلق النار على نفسه وسيدة تُدعى شابمان تُقتل وتُوضع في خزانة الفرو مشوّهة الوجه، أعتقد أن ذلك وراءه مَن يخطّط له.

فأومأ بوارو برأسه فقال بلنت: أنا كلما فكرت في الموضوع تأكّدت من أن تلك المرأة لم تعرف زوجتي وأن ما فعلته كان ذريعة لتتحدّث إليّ، ولكن لماذا؟ ما الذي استفادته من ذلك؟ مجرّد تبرّع

تافه للمجتمع وليس لها شخصياً؟ ولكنني أشعر أن الأمر كان مدبراً لأنها قابلتني على درَج المنزل. لقد كانت الطريقة مكشوفة بطريقة تثير الشكّ، ولكن لماذا؟

- حقاً، إن الكلمة الصحيحة هي «لماذا». أنا أيضاً أسأل نفسي ولكنني لا أجد إجابة.

- ما رأيك في هذا الموضوع يا بوارو؟

فحرّك بوارو يده بطريقة غاضبة وقال: ما أعتقده عن هذا الموضوع يُعَدّ أفكاراً طفولية، ففي بعض الأحيان أقول لنفسي إنها كانت خدعة تريد بها أن تشير إليك لشخصٍ ما لا يعرفك، ولكن هذا عبث لأنك رجل مشهور.

فقال بلنت: ولكن لماذا يريدون أن يشيروا إليّ؟

- أريدك أن تتذكّر ما حدث على كرسي الطبيب مرّة أخرى يا سيد بلنت. ألم يقُل لك مورلي شيئاً غير عادي؟ ألا تذكر شيئاً يلقي ضوءاً على القضية؟

فقطب أليستير بلنت جبينه محاولاً أن يتذكّر ثم هزّ رأسه وقال: عذراً، أنا لا أذكر شيئاً.

- هل أنت متأكد من أنه لم يذكر لك اسم تلك المرأة المسماة ساينسبري سيل أو تلك المرأة الأخرى التي تُدعى السيدة شابمان.

- نعم، فنحن لم نتحدّث عن أحد على الإطلاق، وإنما تحدّثنا عن الورد والحدائق والأمطار والعطلات الأسبوعية، ولا شيء غير ذلك.

- هل دخل أحد الحجرة في أثناء وجودك هناك؟

- دعني أتذكر. لا، لا أظن ذلك. في المرات السابقة أذكر أنني شاهدت فتاة شقراء الشعر، ولكنها لم تكن هناك في المرّة الأخيرة. نعم، لقد تذكّرت أن طبيب أسنان آخر دخل الحجرة، وكان يتكلّم بلكنة أيرلندية.

- ماذا قال؟ أو ماذا فعل؟

- لقد سأل مورلي سؤالاً ثم خرج، ولم يُكثر مورلي من الكلام معه ولم يستغرق الأمر دقيقة أو دقيقتين.

- ألم يحدث أي شيء على الإطلاق؟

- نعم، لم يحدث أي شيء. لقد رأيت كل شيء طبيعياً للغاية.

فقال هيركيول بوارو بتأمّل: وأنا أيضاً رأيت كل شيء طبيعياً للغاية.

ومرّت فترة صمت طويلة قال بوارو بعدها: هل تذكر شاباً كان معك في حجرة الانتظار في ذلك الصباح يا سيد بلنت؟

فقطب أليستير بلنت جبينه ثم قال: دعني أتذكر. نعم، كان يوجد شاب قلق بعض الشيء، ولكنني لا أذكره تماماً. لماذا؟

- هل يمكنك أن تتعرّف عليه إذا رأيته مرّة أخرى؟

فهزّ بلنت رأسه وقال: لا، فأنا لم أُدقق النظر إليه.

- هل حاول أن يفتح باب المناقشة معك؟

- لا، لم يحاول.

ثم نظر بلنت إلى صديقه بفضول شديد ثم قال: ما الموضوع؟ ومَن ذلك الشاب؟

- اسمه هوارد ريكس.

وراقب بوارو صاحبه بعناية ولكنه لم يرَ أي ردّ فعل، ثم قال بلنت: هل يجب أن أعرف اسمه؟ هل قابلته من قبل؟

- أنا لا أعتقد أنك قابلته، إنه صديق الآنسة أوليفيرا.

- آه، واحد من أصدقاء جين!

- ولكن أمها لا توافق على هذه الصداقة.

فقال بلنت بشرود: أنا لا أعتقد أن هذا يؤثّر على جين.

- إن أمها تنظر إلى هذه الصداقة على أنها خطيرة لدرجة أنها أحضرتها من الولايات المتّحدة بهدف إبعادها عن ذلك الشاب.

وظهر على وجه أليستير بلنت أنه فهم فقال: حسناً. هل هو ذلك الشاب؟

- نعم. أرى أنك بدأت تهتم بالموضوع الآن. أعتقد أنه شاب غير مرغوب فيه، كما أنه مشترك في نشاطات مختلفة، وقد فهمت من الآنسة أوليفيرا أنه اتفق معها على أن يقابلك في ذلك الصباح في شارع الملكة شارلوت لهدف واحد هو أن يراك.

- ليحاول أن يقنعني بنفسه، أليس كذلك؟

- نعم، ليس كذلك، فقد فهمت أن الهدف هو محاول اقتناعه هو بك.

فردّ أليستير بلنت بغضب قائلاً: سحقاً له!

وأخفى بوارو ابتسامته ثم قال: يبدو أنه يرفضك جملة وتفصيلاً.

- بالتأكيد هو شاب من هؤلاء الشباب الذين أرفضهم دائماً والذين يقضون أوقاتهم في الصراخ ومصّ أصابعهم بدلاً من أن يعملوا عملاً مفيداً.

وصمت بوارو دقيقة ثم قال: هل تسمح لي بأن أسألك سؤالاً خاصاً بعيداً عن الموضوع؟

- تفضّل.

- ما هي وصيّتك في حال موتك؟

فحملق بلنت إليه ثم قال بحدّة: لماذا تريد أن تعرف ذلك؟

- لأنه من الممكن أن...

ثم هزّ كتفيه وقال: أن تكون لها علاقة بالقضية.

- هذا كلام فارغ.

- قد أكون مخطئاً وقد أكون مصيباً.

فقال أليستير بلنت ببرود: أنت مبالغ يا سيد بوارو، ولا أعتقد أن أحداً يريد أن يقتلني.

- وبمَ تفسّر وجود القنبلة التي كانت على مائدة إفطارك والرصاصة التي أُطلقت عليك في الشارع؟

- هذه الأشياء يتعرّض لها أي شخص يعمل في دنيا المال، ومثل هذه الأمور المثيرة تصدر من بعض المتعصبين المجانين.

- مَن الذي سيستفيد من موتك؟

فابتسم بلنت قائلاً: أكبر المستفيدين مستشفى إدوارد ومستشفى السرطان والمعهد الملكي للمكفوفين.

- ماذا؟

- كما أنني تركت قدراً من المال للسيدة جوليا أوليفيرا وقدراً مماثلاً لابنتها جين أوليفيرا ولكن تحت الوصاية، وكذلك تركت مبلغاً لقريبتي الوحيدة الباقية على قيد الحياة، وهي ابنة عمي من الدرجة الثانية هيلين مونتريسور التي تعيش في منزل صغير بالضيعة.

وصمت برهة ثم قال: هذه هي وصيتي بالضبط.

- حسناً.

ثم قال بلنت ساخراً: أعتقد أنك لا ترى أن تتآمر جوليا أو جين أوليفيرا أو هيلين مونتريسور على قتلي من أجل أموالي.

- أنا لا أرى شيئاً على الإطلاق.

وساد الصمت برهة ثم قال بلنت: هل ستقوم بالمهمّة التي كلّفتك بها؟

- أتعني اكتشاف الآنسة ساينسبري؟ نعم، سأقوم بها.

فقال أليستير بابتهاج: يا لك من رجل طيّب.

* * *

عندما ترك بوارو الحجرة اصطدم بجسم طويل خارج الباب فقال: معذرة يا آنسة.

فابتعدت جين أوليفيرا قليلاً وقالت: هل تعرف رأيي فيك؟

- أعرف أن...

ولم تمهله ليكمل لأن السؤال كان استنكارياً بمعنى أن جين أوليفيرا كانت على وشك أن تجيب على السؤال بنفسها قائلة: أنت جاسوس تعس قذر يتدخل فيما لا يعنيه ويسبب المتاعب.

- أؤكّد لك يا آنسة أنني...

- أنا أعرف هدفك وأعرف أكاذيبك. لماذا لم تعترف لي مباشرة؟ حسناً، لن تكشف أي شيء على الإطلاق لأنه لا يوجد ما تكشفه، كما أنه لا يوجد أي شخص يمكن أن يلمس شعرة من رأس خالي العزيز. إنه في أمان وسوف يظلّ في أمان مرتاحاً سعيداً كريماً رغم أنه شخص مملّ لا يملك ذرّة من الخيال.

وصمتت برهة ثم قالت بصوت عميق: أنا أكره رؤيتك أيها المخبر الدموي.

ثم تركته وذهبت، وظلّ هيركيول بوارو مدهوشاً يبرم شاربه، وبعد ذلك ذهب إلى حجرة الاستقبال حيث كانت السيدة أوليفيرا تلعب الشطرنج، فنظرت إليه وكأنها تنظر إلى خفّاش أسود وقالت: عسكري أحمر أمام ملكة سوداء.

فتجمّدت الدماء في عروق بوارو وقال لنفسه: يا إلهي، يبدو أنه لا أحد هنا يحبّني.

ثم نظر من النافذة إلى الحديقة، وكان المساء ساحراً تفوح فيه رائحة الزهور فاستنشق بوارو الرائحة بسعادة وسار في ممرّ يفصل بين قطعتين من الأرض مزروعتين، ثم اتجه إلى ركن فرأى شبحين يجريان، فأسرع بوارو بالعودة وهو يقول في نفسه: يبدو أنني أزعجت عاشقَين، ويبدو أيضاً أنني مكروه في الخارج.

ومرّ بنافذة أليستير بلنت الذي كان يُملي شيئاً على السيد سيلبي، وعندئذ لم يكن أمام بوارو سوى أن يذهب إلى حجرة نومه. وفي الطريق أخذ يسائل نفسه هل أخطأ أم لم يخطئ حينما اعتقد أن الصوت الذي كلمه في الهاتف كان صوت السيدة أوليفيرا، بالتأكيد كانت فكرة مجنونة. ثم تذكر اكتشافات السيد بارنز المثيرة، وتفكّر في الأماكن الغامضة للسيد كيو إكس ٩١٢ المسمى بألبرت شابمان، ثم تذكّر النظرة القلقة في عينَي الخادمة أغنيز. ثم قال بوارو لنفسه: إن أكبر عقبة في طريق التقدّم والتفكير السليم هي مشكلة الآنسة سيل المحيّرة؛ لأنه لو صحّت الحقائق التي استنتجتها لضاع كل معنى جميل، ولكن من الجائز أن أكون قد هُزمت.

* * *

في صبيحة اليوم التالي استيقظ بوارو مبكراً بعدما أمضى ليلة قلقة، وكان الجوّ جميلاً فسار على نفس الطريق الذي سار فيه بالأمس وتابع طريقه خلال حديقة ورد فأبهجه تنسيق الأحواض، ثم سار وسط حديقة صخرية بيضاء حتى انتهى به المطاف إلى حدائق المطبخ، وفي ذلك المكان رأى امرأة منتصبة القوام ذات جبين أسمر وشعر أسود تلبس سُترة من الصوف وقميصاً، وكانت تتحدّث بلهجة اسكتلندية بطيئة واثقة إلى البستاني الأول الذي لم يكن مرتاحاً إلى حديثها. وقد ظهرت السخرية في كلام الآنسة هيلين مونتريسور فانسحب بوارو برشاقة إلى ممرّ جانبي.

ثم رأى بوارو بستانياً يعزق بحماسة واجتهاد فاقترب منه، فازدادت حماسة الشاب الذي كان مولياً ظهره ناحية بوارو، فوقف الأخير يراقبه عن قرب ثم قال بعطف: صباح الخير.

فأجابه البستاني بتلعثم قائلاً: صباح الخير يا سيدي.

ولكن الرجل لم يتوقّف عن العمل، فدهش بوارو بعض الشيء لأنه كان يعرف أن البستاني، وإن حاول أن يُظهر حماسته للعمل عندما يقترب منه أحد، لا يمانع في التوقّف عن العمل وتضييع الوقت إذا خاطبه مباشرة. وبدا الأمر غير طبيعي، فوقف بوارو بضع دقائق يراقب الشخص المجتهد ويسأل نفسه قائلاً: هل يوجد شيء مألوف لدي في تلك الأكتاف أم أنني تعوّدت على أن أتصوّر أن الأصوات والأكتاف مألوفة لدي في حين أنها ليست كذلك؟ تُرى هل هرمت وشِخْت؟

ومرّ من خلال الحدائق الحائطية ثم وقف يتأمّل منحدر الورد، وفجأة ظهر شخص من أعلى حائط المطبخ فجأة، فنظر بوارو باهتمام بالغ إلى وجه البستاني الشاب الذي كان قد توقّف عن العزق وبدأ يمسح عرقه بكمّه، ثم همس لنفسه وهو يخفي وجهه بحرص قائلاً: هذا شيء غريب ومثير للاهتمام!

ثم أخذ ذلك الشخص ينسّق بعض أوراق الشجر التي كانت تُفسد أناقة الحديقة. نعم، لقد كان غريباً ومثيراً للاهتمام أن يكون فرانك كارتر بستانياً عند أليستير بلنت وهو الذي قال إنه يعمل في السكرتارية. وعندما كان بوارو فكّر في تلك النقاط سمع دوياً بعيداً فعاد أدراجه إلى المنزل، وفي أثناء عودته رأى مضيفه يتحدّث إلى الآنسة مونتريسور التي ظهرت من الباب الأمامي لحديقة المطبخ وقد ظهر صوتها بلكنته الاسكتلندية واضحاً نقياً وهي تقول: هذا عطف منك يا أليستير، ولكنني أفضّل أن لا أقبل أية دعوة في الأسبوع الذي تستقبل فيه أقرباءك الأمريكيين.

فقال بلنت: صحيح أن جوليا عديمة الذوق ولكنها لم تكن تقصد.

فردّت الآنسة مونتريسور بهدوء قائلة: إن تصرّفاتها وقحة للغاية، وأنا لا أقبل الوقاحة من أي امرأة.

ثم ذهبت الآنسة مونتريسور، ووصل بوارو إلى بلنت فوجده ذليلاً كأي رجل على خلاف مع أقربائه من النساء، ثم قال بندم: إن النساء شياطين. صباح الخير يا سيد بوارو، هذا يوم جميل، أليس كذلك؟

وبعدما استدارا ناحية المنزل قال بلنت وهو يتنهد: كم أفتقد زوجتي.

* * *

في حجرة الطعام قال بلنت لجوليا: أخشى أن تكوني قد آذيت شعور هيلين يا جوليا.

فقالت السيدة أوليفيرا بمكر: الاسكتلنديون يغلب عليهم طابع الجنون.

فظهرت التعاسة على وجه أليستير بلنت، فقال هيركيول بوارو ليحوّل مجرى الحديث: لقد رأيت بستانياً شاباً أظن أنه التحق بخدمتك مؤخّراً.

فقال بلنت: أجل، إن بيرتون البستاني الثالث تركنا بعد أن عمل نحو ثلاث سنوات، فألحقنا ذلك الشاب بدلاً منه.

- ومن أين جاء؟

- في الحقيقة أنا لا أعرف، فقد عيّنه ماك أليستير، وكان أحد الأشخاص قد سألني أن أجرّبه بعد أن أوصاني به، ولكنني مدهوش لأن ماك أليستير يقول إنه غير صالح ويريد أن يفصله.

- ما اسمه؟

- دننغ سنبري، أو شيء من هذا القبيل.

- وكم يتقاضى ذلك الشخص شهرياً؟

فبدا الاستغراب على وجه أليستير بلنت وقال: يتقاضى جنيهين ونصفاً على ما أعتقد.

- ليس أكثر؟

- بالتأكيد ليس أكثر، بل ربما أقلّ بقليل.

فقال بوارو: هذا شيء غريب جداً.

فنظر بلنت إليه متسائلاً، ولكن جين أوليفيرا حرّكت الصحيفة التي في يدها وغيّرت مجرى الحديث قائلة: يبدو أن الكثير يريدون قتلك يا خالي.

- آه! هل قرأت مناقشات مجلس العموم؟ هذا مضبوط، ولكن أرشيرتون يحارب طواحين الهواء بأفكاره المالية الجنونية، وإذا نفّذناها فستنعكس إنكلترا خلال أسبوع.

فقالت جين: ألا تريد أن تجرّب أفكاراً جديدة؟

- أنا أجرّب الأفكار التي تُصلح القديم فقط يا عزيزتي.

- ولكنك لا تؤمن بأية أفكار أخرى، فأنت تقول دائماً: «هذا لا يصلح» دون أن تجرّب.

- التجريبيون يسبّبون أضراراً عديدة.

- أجل، ولكن كيف ترضى بالأشياء كما هي؟ كيف ترضى بالظلم وعدم المساواة؟ يجب أن يحدث شيء.

- ولكننا نحيا حياة جميلة في هذه الدولة يا جين، وقد وضعنا كل الأمور في اعتبارنا.

فقالت جين بحرارة: نحن نحتاج إلى سماء جديدة وأرض جديدة، وأنت لا تزال جالساً تأكل اللحم المشوي.

ثم وقفت جين وخرجت إلى الحديقة فبدت الدهشة على وجه أليستير بلنت وقال: لقد تغيّرت جين كثيراً في الآونة الأخيرة! من أين أتت بهذه الأفكار؟

فردّت السيدة أوليفيرا قائلة: لا تهتم بما تقوله جين؛ فهي فتاة ساذجة وأنت تعرف طبيعة الفتيات، فهن يذهبن إلى بعض الجماعات حيث الشبان ذوي روابط العنق الغريبة، ثم يعُدن إلى المنازل ليتكلّمن كلاماً فارغاً.

- أجل، ولكن جين كانت قوية الشخصية بعض الشيء.

- هذه أشياء لا أهمية لها يا أليستير.

فقال أليستير بلنت وقد بدا عليه شيء من الضيق: أجل، هذه أشياء لا أهمية لها.

ثم وقفت السيدة أوليفيرا ففتح بوارو الباب لها فخرجت غاضبة، ثم قال بلنت فجأة: أنا لا أحب ذلك، فكل فرد يهذي بكلام فارغ ثم يقول: "لم أكن أقصد". إنهم بذلك ينفخون في النار، وأنا أرفض هذه الأشياء دائماً. ثم ماذا يعنون بالسماء الجديدة والأرض الجديدة؟

ثم ابتسم ابتسامة باهتة وقال: أنا آخر الحراس القدامى.

فردّ بوارو قائلاً: وإذا أُزحت عن الطريق فماذا سيحدث؟

- أُزحت عن الطريق؟ يا لها من طريقة غريبة في التعبير!

ثم بدا الحزن على وجه بلنت وقال: إن بعض المغفّلين يُجرون تجارِب مكلّفة، وتلك التجارِب هي نهاية الاستقرار والتماسك والذوق العام، بل ونهاية إنكلترا التي نعرفها.

فأومأ بوارو موافقاً لأنه كان يؤمن بالتماسك الاجتماعي، وبدأ يدرك المُثل التي يدافع عنها بلنت بطريقة جديدة، وقد أخبره بارنز بتلك المُثل من قبل ولكنه لم يدركها تماماً في ذلك الوقت، وفجأة بدأ يشعر بالخوف.

* * *

في وقت متأخّر من صباح اليوم التالي قال بلنت: لقد انتهيت من خطاباتي، والآن سأُريك حديقتي يا سيد بوارو.

ثم خرج الرجلان معاً وتحدّث بلنت بحماسة عن هوايته، وكانت الحديقة الصخرية بنباتاتها البيضاء النادرة تمثّل قمّة السعادة بالنسبة إلى بلنت، وقضيا هناك فترة من الوقت حيث أراه بلنت بعض النماذج النادرة الدقيقة من النباتات. وقد استمع بوارو الذي كان يلبس حذاءه الجلدي إلى مضيفه بصبر مستنداً على إحدى قدميه تارة وعلى القدم الأخرى تارة ثانية مترنحاً إلى الخلف قليلاً بسبب حرارة الشمس التي تسلّطت على قدميه.

ثم سار مضيفه مشيراً إلى بعض النباتات في حوض واسع في حين كان النحل يطير حولهما والبستاني يقلّم الأشجار بمقصّ له صوت مملّ. لقد كان الجوّ هادئاً يدعو إلى النعاس، ثم توقّف بلنت عند نهاية الحوض ونظر إلى الخلف فسمع عن قرب صوت المقصّ في حين كان البستاني مختفياً ثم قال: تأمل المنظر هنا يا بوارو،

إن أزهار ويليامز رائعة هذا العام، ولم أرَها بمثل هذا الجمال من قبل، ثم انظر إلى أشجار راسل، إن ألوانها رائعة أيضاً.

ثم سمعا صوت انفجار أنهى هدوء الصباح، ودوّى شيء مزمجر في الهواء فاستدار أليستير بلنت بحيرة إلى مكان ظهر فيه خيط دخان متصاعد من وسط الأشجار، ثم انبعثت من خلف الأشجار أصوات غاضبة لرجلين كانا يتشاجران، وبرز صوت رجل أمريكي عالٍ يقول بقوة: لقد أمسكت بك أيها المتشرّد اللعين، اترك المسدس.

وتشاجر الرجلان في الساحة الواسعة، وكان أحدهما هو البستاني الشاب الذي كان يعزق باجتهاد في ذلك الصباح، أما الآخر الذي كان يقبض عليه بقوة فكان أطول منه قليلاً. وقد تعرّف بوارو على الآخر فوراً، بل إنه خمّن شخصيته من صوته، ثم صرخ فرانك كارتر قائلاً: اتركني؛ فلم أكن أنا، قلت لك لست أنا.

فردّ هوارد ريكس قائلاً: أتريد أن توهمني بأنك كنت تصطاد عصافير؟

ثم توقّف ناظراً إلى الضيوف وقال: سيد بلنت، لقد أطلق هذا الشاب النار عليك، وقد قبضت عليه متلبساً بالجريمة.

فصرخ فرانك كارتر قائلاً: هذه أكذوبة. لقد كنت أقلّم السور ثم سمعت صوت رصاصة ورأيت المسدس يسقط تحت قدمي فالتقطته فانقضّ عليّ هذا الوحش.

فردّ هوارد ريكس قائلاً: لقد كان المسدس في يدك عندما خرجت منه الرصاصات منذ قليل.

ثم ألقى المسدس إلى بوارو وقال: دعنا نسمع ما سيقوله

المخبر عنه. لقد أمسكت به في اللحظة المناسبة، وأعتقد أنه توجد بعض الرصاصات الأخرى في هذا المسدس الآلي.

فقال بوارو بهدوء: بالضبط.

وكان بلنت غاضباً فقال بحدّة: والآن يا دنون، أقصد يا... دنبري. ما اسمك؟

فتدخل هيركيول بوارو قائلاً: اسمه فرانك كارتر.

فاستدار كارتر ناحيته بغضب وقال: أنت تنصب لي الفخّ منذ فترة، وقد جئت اليوم للتجسس عليّ، ولكنني أقول لك إن هذه أكذوبة، ولم أطلق النار عليه.

فردّ هيركيول بوارو برفق قائلاً: إذن فمَن الذي أطلق النار؟ لا يوجد أحد غيرنا هنا.

ثم جاءت جين أوليفيرا مهرولة عبر الممرّ وشعرها يتماوج خلفها وعيناها مملوءة بالرعب قائلة: هوارد؟

فردّ هوارد ريكس بهدوء قائلاً: مرحباً يا جين. لقد أنقذت حياة خالك منذ لحظات.

فقالت: آه! حقاً؟

فردّ بوارو قائلاً: لقد كان وصولك مناسباً للغاية يا سيد...

فقاطعته جين قائلة: هذا هو هوارد ريكس يا خالي أليستير، إنه صديقي.

فنظر بلنت إلى ريكس وابتسم ثم قال: آه، هل أنت صديق جين؟ يجب أن أشكرك.

ثم ظهرت جوليا أوليفيرا على مسرح الأحداث وهي تلهث من

فرط الانفعال وقالت: لقد سمعت صوت رصاصة. هل أليستير...؟ لماذا؟

ونظرت ببلاهة إلى هوارد ريكس وقالت: أأنت الذي فعلت ذلك؟ لماذا؟ وكيف تجرؤ على ذلك؟

فقالت جين بصوت بارد: لقد أنقذ هوارد حياة خالي يا أماه.

- ماذا؟ أنا!

- لقد حاول هذا الرجل أن يطلق النار على خالي فأمسك به هوارد وأخذ منه المسدس.

فقال فرانك كارتر بعنف: أنتم جميعاً كذابون دمويون.

فقالت السيدة أوليفيرا وهي تترنح: آه.

ثم أخذت تجمع شتات نفسها لمدّة دقيقة أو دقيقتين، وأخيراً استدارت ناحية بلنت وقالت: يا له من أمر مفزع. حمداً لله على نجاتك يا عزيزي أليستير، ولكنها كانت صدمة قوية بالطبع. أنا أشعر بالدوار، فهلا جئتم لي بقليل من العصير؟

فقال بلنت بسرعة: بالطبع يا عزيزتي، تعالي إلى المنزل.

فأخذت ذراعه واتكأت عليه بكلّ ثقلها، ثم نظر بلنت من فوق كتفيه إلى بوارو وهوارد ريكس وقال: هل يمكن أن تُحضرا هذا الشاب؟ سوف نبلغ الشرطة ونسلمه إليهم.

وفتح فرانك كارتر فمه ولكنه لم يستطع أن يتفوّه بكلمة، وكان شاحباً كالأموات وركبتاه ترتعشان في حين كان هوارد ريكس يجرّه بيدٍ قاسية، ثم همس فرانك كارتر بصوت خشن غير مسموع قائلاً: إنها أكذوبة.

فنظر هوارد ريكس إلى بوارو وقال: أرى أنك لا تنطق بكلامك المعتاد، فلماذا؟

- أنا أفكّر يا سيد ريكس.

- أعتقد أنه يجب عليك أن تفكّر وإلا فسوف تفقد وظيفتك بسبب هذه القضية لأن الفضل لا يعود إليك في إنقاذ حياة أليستير بلنت هذه المرّة.

- أجل، وهذه هي المرّة الثانية التي تقوم فيها بمثل هذا العمل العظيم، أليس كذلك يا سيد ريكس؟

- ماذا تقصد؟

- لقد حدث بالأمس أنك قبضت على رجل اعتقدت أنه هو الذي أطلق النار على السيد بلنت ورئيس الوزراء، أليس كذلك؟ ولكن يوجد اختلاف، فبالأمس لم يكن الرجل الذي قبضت عليه هو المتهم.

فقال فرانك كارتر بجفاء: وقد تخطئ الآن أيضاً.

فهمس هيركيول بوارو قائلاً لنفسه: عجباً!

* * *

ارتدى هيركيول بوارو ملابسه لتناول الغداء ثم نظر إلى خياله في المرآة وقطب جبينه؛ فهو لم يكن راضياً عن نفسه ويشعر بالضياع وهو يفسر أسباب ما حدث لأن القضية كانت واضحة جلية أمام عينيه، وقد قبضوا على فرانك كارتر متلبساً.

ولم يكن بوارو مقتنعاً بفرانك كارتر، لم يحبه لأنه كان يراه شخصاً سيئاً كما يقول الإنكليز، كما أنه كان شاباً لا يسرّ

ولكنه من النوع الذي يثير النساء حتى إنهن يرفضن الاقتناع بأي شيء يقترفه مهما كانت الأسباب واضحة. وقد كانت قصّة كارتر كلها ضعيفة إلى أقصى درجة، إلا تلك القصّة التي زعم فيها أن المخابرات استخدمته وقدّمت له وظيفة بستاني يكتب تقارير عن محاورات وأعمال زملائه الآخرين، وكانت قصّته مرفوضة جملة وتفصيلاً لأنه لا أساس لها من الصحة ولأنها أكذوبة سهلة يمكن أن يختلقها رجل مثل كارتر، ومن ناحية أخرى لا يوجد ما يُقال عن كارتر لأنه لم يستطع أن يقدّم تفسيراً بديلاً، اللهم إلا القول بأن شخصاً آخر هو الذي أطلق النار، وقد أخذ كارتر يكرّر ذلك التفسير الكاذب. وكذلك لا يوجد ما يُقال عن ريكس، اللهم إلا القول بأنها كانت مصادفة غريبة أن يتواجد هوارد ريكس في يومين متتاليين في نفس اللحظة التي يُطلَق فيها الرصاص على أليستير بلنت، لكن ماذا في هذا القول من الناحية الشكلية؟ من المؤكّد أن ريكس لم يطلق النار في شارع داوننغ، كما أن حضوره هناك أمر لا غبار عليه؛ فقد أتى ليكون قريباً من فتاته. لا، يوجد شيء غير طبيعي في هذه القصة.

وقد عزّز هذا الحادث من موقف هوارد ريكس لأنه إذا أنقذك شخص من الموت فأنت لا تستطيع أن تطرده من المنزل، بل إن أقلّ ما تفعله له هو أن تكون كريماً معه وصديقاً له، ولكن السيدة أوليفيرا لم يعجبها ذلك إلا أنها لم ترَ بديلاً له.

وثبتت أقدام صديق جين في المنزل وأصرّ بلنت على أن يبقى هناك، وقد راقبه بوارو بتأمّل في المساء فرأى أنه يلعب دوره بعناية بالغة، فلم يُظهر آراءه المتطرّفة ولم يتحدّث في السياسة، بل أخذ يروي قصصاً مسلّية عن صيده ورحلاته في الأماكن الموحشة. قال بوارو لنفسه: يا له من ذئب يرتدي جلد حمَل وديع.

وبينما كان بوارو يستعد للنوم في ذلك المساء سمع طرقاً على الباب فقال: ادخل.

فدخل هوارد ريكس، وبعد التحية قال مباشرة: لماذا كنت تنظر إليّ طَوال الجلسة يا سيد بوارو؟

- وهل ضايقك ذلك؟

- نعم، ولم تعجبني نظراتك. لقد كنت شارد الفكر.

- ولماذا يضايقك هذا يا صديقي؟

- لا أدري، ولكنني تصوّرت أنك وجدت بعض الأمور التي استعصت على فهمك.

- حسناً، وماذا في ذلك؟

- لقد قرّرت أن أحضر لأشرح لك ما حدث بالأمس، فقد كانت مسرحية مبتكرة. لقد كنت أراقب رئيس الوزراء في أثناء خروجه من شارع داونغ، فرأيت رام لال يطلق النار عليه، وأنا أعرف أنا رام لال شاب لطيف ولكنه مثير للشغب بعض الشيء ويؤلمه ما يحدث لبلاده، الهند. وعلى كل حال لم يحدث أي ضرر، فلم يُمسّ قميص الرئيس الغالي وأخطأته الرصاصة بميلين، لذلك قرّرت أن أقوم باستعراض لأنقذ الشاب الهندي فأمسكت بتلابيب شاب أشعث كان قريباً منّي وصرخت بأنني أمسكت المجرم على أمل أن يفرّ رام لال، ولكن الشرطة كانوا يقظين فقبضوا عليه في لحظات، وهذا هو ما حدث. هل فهمتني؟

فقال هيركيول بوارو: وماذا عن اليوم؟

- الأمر يختلف اليوم لأنه لا يوجد رام لال، لم يكن يوجد

في تلك المنطقة سوى كارتر الذي أطلق الرصاص بالفعل، وكان المسدس معه عندما انقضضت عليه، وأعتقد أنه كان يحاول أن يطلق الرصاص مرّة ثانية.

فقال بوارو: أرى أنك كنت حريصاً على إنقاذ حياة السيد بلنت.

فابتسم ريكس ابتسامة لها مغزاها وقال: هل تعتقد أن هذا شيء غريب بعد كل ما قلته؟ أنا أعترف بذلك، وأعتقد أن بلنت رجل يجب أن يُقتل من أجل التقدّم والإنسانية، وأنا لا أقصد قتله هو بصفة شخصية؛ فهو رجل لطيف، ورغم ذلك قفزت وأنقذت حياته عندما شاهدت شخصاً يحاول قتله، وهذا يُظهر لك تناقض الإنسان. هذا نوع من الجنون، أليس كذلك؟

- يوجد فرق كبير جداً بين النظرية والتطبيق.

- يوجد فرق كبير فعلاً.

ثم نهض ريكس من فوق السرير الذي كان يجلس عليه وقد ابتسم ابتسامة لطيفة تدعو إلى الثقة وقال: لقد رأيت أن آتي إليك وأشرح لك الأمر برُمّته.

ثم خرج وأغلق الباب خلفه برفق.

* * *

في الكنيسة ردّدت السيدة أوليفيرا بصوت حازم فيه نشاز قائلة: أجِرْني يا ربي من الرجل الشرّير واحفظني من ذلك اللعين.

وكان في أدائها قسوة مما أعطى بوارو إحساساً بأن هوارد ريكس هو الشخص الشرّير في نظرها. وقد حرص بوارو على أن

يذهب مع مضيفه وعائلته إلى كنيسة القرية، فقال هوارد ريكس بشيء من السخرية: أرى أنك تذهب إلى الكنيسة يا سيد بلنت.

فغمغم أليستير بشيء فُهم منه أنه حين يذهب إلى القرية فيجب أن يزور الكنيسة حسب العادة الإنكليزية، وقد أثار هذا الرأي حيرة الشاب الأمريكي وجعل هيركيول بوارو يبتسم ابتسامة الفاهم. وقد ذهبت السيدة أوليفيرا مع مضيفها وأمرت ابنتها بأن تحذو حذوها، وراح بوارو يدعو بصوت خاشع قائلاً: يا ربي، لقد نصب لي المغرور شَركاً وسط شبكة مصنوعة من الحبال، ووضع لي المصايد في الطريق و...

وظلّ فم بوارو مفتوحاً؛ فقد رآه، رأى بطريقة واضحة الشرَك الذي وقع فيه مؤخّراً. كان الشرَك منصوباً بطريقة خبيثة، كما كانت توجد شبكة مصنوعة من الحبال وحفرة تحت قدميه حُفرت بحذر كي يقع فيها. وظلّ هيركيول بوارو واقفاً كرجل وقع في مصيدة فاغراً فاه يحملق إلى اللاشيء حتى جذبت جين أوليفيرا ذراعه وهي تهمس قائلة بحدّة: اجلس.

لقد كان الأمر يشبه مشهداً سينمائياً رأى خلاله فردة حذاء، وجوارب مقاس تسعة، ووجهاً ممزقاً، وألفريد العامل الذي يقرأ رواية بوليسية، ونشاطات السيد أمبريوتيز، والدور الذي لعبه الطبيب الراحل مورلي، كل هذه الصور جرت أمامه ثم استقرّت في نسق متوافق، ولأول مرّة بدأ بوارو ينظر إلى القضية بالطريقة الصحيحة، ثم نهض فرحاً كمَن كان في حلم وصحا منه أخيراً.

* * *

الفصل السادس

- دكتور ريلي.

تحرّك الرجل وهو يسمع الصوت من خلفه واستدار فوجد أمام رجلاً قصيراً له شارب كبير ورأس يشبه البيضة يقول له: ألا تذكرني؟

- أنت تظلم نفسك يا سيد بوارو؛ فلست أنت الرجل الذي يُنسى بسهولة.

ثم استدار إلى الخلف ليكلّم الموظف الذي كان ينتظر خلف نضد الملاحة، فقال بوارو: هل أنت ذاهب لقضاء عطلة بالخارج؟

- ليست عطلة. وماذا عنك يا سيد بوارو؟ آمل أن لا تترك هذا البلد.

فقال بوارو: أنا أعود إلى بلدي بلجيكا لفترة قصيرة أحياناً.

فقال ريلي: أما أنا فذاهب إلى أبعد من ذلك، إلى أمريكا، ولا أعتقد أنني سأعود.

- أنا آسف لأنني أسمع هذا يا سيد ريلي، ولكن هذا معناه أنك تركت عملك في شارع الملكة شارلوت.

- إذا قلت إن عملي هو الذي تركني فسيكون تعبيرك أدقّ.

- حقاً؟ هذا أمر محزن.

- ولكنه لا يضايقني لأنني عندما أفكر في الديون التي سأتركها خلفي دون أن أدفعها أشعر بالسعادة.

ثم ابتسم واستطرد قائلاً: لست أنا الذي ينتحر بسبب المتاعب المالية، سوف أترك المتاعب خلفي وأبدأ من جديد، وأعتقد أن لدي مؤهلات ممتازة.

فهمس بوارو قائلاً: لقد رأيت الآنسة مورلي منذ أيام.

- وهل سُررت لذلك؟ أعتقد أنك لم تُسرّ. أنا لم أرَ امرأة بمثل ذلك الوجه البشع.

فقال بوارو: هل أعجبك حكم قاضي المحكمة في قضية زميلك؟

فردّ ريلي قائلاً: لا، لم يعجبني طبعاً.

- ألا تعتقد أنه أخطأ في إعطاء المخدّر؟

فقال ريلي: إذا كان مورلي قد حقن الرجل اليوناني بالكمّية التي يتحدّثون عنها فهو إما كان مخموراً أو كان يقصد أن يقتل الرجل، وأنا أعرف أن مورلي لا يشرب الخمر.

- هل معنى هذا أنك تعتقد أنه تعمّد قتل الرجل؟

- لا أقول ذلك لأنه اتهام كبير لا أصدّقه حتى الآن.

- إذن يجب أن يوجد تفسير آخر.

- بالتأكيد، ولكنني لم أصِل إلى هذا التفسير بعد.

فقال بوارو: ما آخر مرّة شاهدت فيها السيد مورلي حياً؟

- دعني أتذكر. لقد شاهدته آخر مرّة في الليلة الأخيرة قبل موته في الساعة السابعة إلا الربع.

- ألم ترَه في نفس يوم مصرعه؟

- لم أرَه.

- هل أنت متأكّد؟

- لست متأكداً، ولكنني لا أذكر.

- ألم تذهب إلى حجرته في الحادية عشرة وخمس وثلاثين دقيقة عندما كان يفحص أحد المرضى مثلاً؟

- بلى، ذهبت لأنه كان لدي سؤال فنّي أردت أن أسأله إياه، وهو يتعلّق ببعض الآلات التي أستخدمها، وقد ضغطوا لي الجرس فلم أمكث غير دقيقة، لذا نسيت هذا الموضوع، وبالفعل كان مورلي يفحص أحد مرضاه في ذلك الوقت.

فأومأ بوارو برأسه ثم قال: أريد أن أسألك سؤالاً آخر. لقد ألغى مريضك السيد ريكس موعده معك بانصرافه، فماذا فعلت خلال نصف الساعة التي كانت مقرّرة له؟

- فعلت ما أفعله عندما أكون غير مشغول، وهو أن أُعدّ لنفسي شراباً، وكما قلت لك تحدّثت بالهاتف وذهبت كي أرى مورلي للحظات.

فقال بوارو: هذا معناه أنك لم تقابل أي مريض من الثانية عشرة والنصف منذ أن تركك بارنز وحتى الواحدة. بالمناسبة، متى تركت بارنز؟

- بعد الثانية عشرة والنصف.

- وماذا فعلت بعد ذلك؟

- نفس الشيء، أعددت شراباً آخر.

- ثم ذهبت لترى السيد مورلي مرّة أخرى؟

فابتسم السيد ريلي وقال: هل تقصد أنني ذهبت إليه لأقتله؟ لقد أخبرتك من قبل أنني لم أقتله.

فقال بوارو: ما رأيك في الخادمة أغنيز؟

فحملق إليه ريلي وقال: ما هذا السؤال يا سيد بوارو؟

- أريد أن أعرف رأيك في الخادمة أغنيز.

- حسناً، لم أفكر فيها لأن جورجينا قد تعوّدت أن تراقب الخادمات، لذلك لم تنظر الفتاة ناحيتي قطّ، وهذا يدلّ على أنها عديمة الذوق.

فقال هيركيول بوارو: أنا أشعر بأن تلك الفتاة تعرف بعض الأشياء.

ثم نظر إلى ريلي متسائلاً، فابتسم هذا وهزّ رأسه ثم قال: لا تسألني؛ فأنا لا أعرف شيئاً عن الموضوع ولا أستطيع أن أساعدك إطلاقاً.

ثم جمع التذاكر التي كانت أمامه ومشى بعدما حيّاه بإيماءة وابتسامة. وقال بوارو للموظف إنه قد غيّر رأيه في السفر إلى العواصم الشمالية.

* * *

زار بوارو منطقة هامبستيد مرّة أخرى فدهشت السيدة آدمز لرؤيته بعض الشيء، ورغم أن المفتش العام لاسكتلنديارد كان قد عرّفه بها إلا أنها كانت تعامله على أنه أجنبي غريب لا يهتمّ كثيراً بما يقول، ولكنها كانت تريد أن تتكلّم معه.

حكى بوارو لمضيفته عن شخصية الخدم وعن الاكتشافات التي توصّلت إليها المحكمة، وهي اكتشافات لم تهتم بها وسائل النشر كثيراً، كما حكى لها كيف كانت القضية تتعلق بخطأ في الشخصية حينما ظنوا أن جثة السيدة شابمان هي جثة الآنسة ساينسبري سيل، وهذا هو كل ما عرفته الجماهير، ولكن أحداً لم يهتمّ كثيراً بحقيقة أن الآنسة ساينسبري سيل كانت هي آخر شخص رأى السيدة شابمان المسكينة حيّة، ولم تُشِر الصحف إلى أن رجال الشرطة ربما كانوا يريدون القبض على الآنسة ساينسبري سيل بتهمة جنائية.

ثم هدأت نفسية السيدة آدمز عندما علمت أن الجثة التي اكتُشفت بهذه الطريقة الاستعراضية لم تكن جثة صديقتها، وبدا أنها لا تشكّ مطلقاً في الآنسة مابيل ساينسبري سيل، ثم قالت: ولكن اختفاءها بهذه الصورة يبدو أمراً شاذاً، وأنا أعتقد اعتقاداً جازماً أن سبب اختفائها هو فقدان الذاكرة يا سيد بوارو.

فقال بوارو: هذا أمر محتمَل، وقد عرفت حالات مشابهة.

- أنا أذكر صديقة لإحدى بنات عمي كانت تشكو من كثير من المتاعب فأُصيبت بفقدان الذاكرة كما يسمّونه.

فقال بوارو بأنه يعتقد أن فقدان الذاكرة هو الاصطلاح الفنّي، وصمت برهة ثم سأل السيدة آدمز عما إذا كانت قد سمعت الآنسة سيل تتحدّث عن السيد شابمان، فقالت السيدة آدمز بأنها لا تذكر

مطلقاً أن صديقتها ذكرت شخصاً بهذا الاسم، ومن الطبيعي أن لا تذكر الآنسة ساينسبري سيل كل شخص عرفته، ثم سألته قائلة: ولكن مَن السيدة شابمان؟ هل لدى الشرطة أية فكرة عن قاتلها؟

- هذا لغز يا سيدتي.

ثم هزّ بوارو رأسه وسأل السيدة آدمز عما إذا كانت هي التي أوصت الآنسة سيل بأن تذهب إلى الدكتور مورلي، فردّت السيدة آدمز بالنفي، فقد اعتادت هي نفسها أن تذهب إلى الدكتور فرنش في شارع هارلي، ولو أن مابيل كانت قد سألتها عن طبيب أسنان لأوصتها بأن تذهب إليه. فقال بوارو: من المحتمل أن تكون السيدة شابمان هي التي أوصت الآنسة ساينسبري سيل بأن تذهب إلى السيد مورلي، أليس كذلك؟

فوافقته السيدة آدمز وقالت: ولكن ألم يسألوا عند الطبيب؟

وكان بوارو قد سأل الآنسة نيفيل هذا السؤال قبل ذلك، ولكن نيفيل لم تكن تذكر، وكانت نيفيل تذكر السيدة شابمان فقط، ولكنها تعتقد أن السيدة شابمان لم تذكر أمامها اسم الآنسة سيل، وقالت بأنها لو كانت سمعت لذكرته لأنه اسم غريب.

واستمرّ بوارو في أسئلته قائلاً: لقد تعرّفت بالآنسة ساينسبري سيل بداية في الهند، أليس كذلك يا سيدة آدمز؟

فوافقت السيدة آدمز فسألها قائلاً: هل تذكرين أن الآنسة سيل قابلت السيد أو السيدة أليستير بلنت في أي وقت هناك؟

- هل تقصد ذلك الثري الكبير؟ لا أعتقد ذلك يا سيد بوارو. لقد ذهب هو وزوجته إلى الهند مع المندوب السامي، ولكنني متأكّدة تماماً من أن مابيل لم تقابلهم لأنها لو كانت قابلتهم لتحدّثت

عن هذه المقابلة أو ذكرت اسمها.

ثم ابتسمت السيدة آدمز ابتسامة ماكرة وقالت: أنا أعرف أنها تذكر الشخصيات المهمّة، فنحن جميعاً عاطفيون بالفطرة.

- ألم تذكر عائلة بلنت أو السيد بلنت على وجه الخصوص؟

- نعم، لم تذكرهم قطّ.

- أظن أنها لو كانت صديقة حميمة للسيدة بلنت لكان من المحتمل أن تكوني قد عرفت ذلك.

- أجل، لا أعتقد أن مابيل عرفت أشخاصاً مثل هؤلاء، فمعظم أصدقائها كانوا أشخاصاً عاديين مثلنا.

فردّ بوارو بشجاعة قائلاً: عذراً، أنا لا أسمح بذلك يا سيدتي.

واستمرّت السيدة آدمز تتكلّم عن الآنسة ساينسبري سيل كما لو كانت تتحدّث عن صديقة ماتت مؤخّراً، فذكرت محاسن أعمالها وعطفها وعملها الدؤوب وحماستها وشغفها، وقد أنصت هيركيول بوارو بصبر نافد ثم ذكر أن جاب قال له بأن مابيل ساينسبري سيل كانت شخصية حقيقية عاشت في كلكتا ودرست البلاغة وعملت وسط الأهالي، وكانت شخصية محترمة لها كيانها، وصحيح أنها كانت تبدو غبية واستعراضية ولكن هذا ما يمكن أن نسميه امرأة بقلب من ذهب.

واستمرّت السيدة آدمز تقول: لقد كانت تتحمّس لكل شيء يا سيد بوارو، ولكنها كانت تجد الناس غلاظ القلوب من الصعب أن يلينوا، كما كان من الصعب أن تحصل على التبرعات منهم،

وتزداد الصعوبة سنة بعد أخرى مع ازدياد ضريبة الدخل وتكاليف المعيشة وكل شيء. وقد قالت لي مرّة: "عندما يدرك المرء أهمية ما تصنعه النقود وما يمكن أن تنجزه من مشروعات خيرية مدهشة فإنني سأرتكب جريمة للحصول على النقود يا أليس"، وهذا يُظهر عمق مشاعرها، أليس كذلك؟

فسأل بوارو قائلاً: هل أنت متأكّدة من أنها قالت ذلك؟

ثم سأل عن الوقت الذي نطقت فيه الآنسة ساينسبري سيل بهذه العبارة فعلم أن ذلك كان منذ ثلاثة أشهر خلت.

* * *

ترك بوارو المنزل وسار شارد الذهن وهو يفكّر في شخصية مابيل ساينسبري سيل ويتذكّر قول السيدة آدمز بأنها كانت امرأة لطيفة طيبة القلب متحمسة من النوع المحترم، ولكن السيد بارنز قد أشار إلى احتمال وجود مجرم حقيقي وسط هذا النوع من الناس، ثم إنها كانت قد عادت من الهند على نفس السفينة التي عاد عليها أمبريوتيز، وتشير الأدلة إلى أنها تناولت الغداء معه في فندق سافوي، ثم زعمت بأنها تعرف أليستير بلنت وادّعت بأن لها علاقة حميمة بزوجته، كما زارت مساكن كنغ ليوبولد مرّتين حيث اكتُشفت جثة مخبأة في خزانة فرو ومع الجثة حقيبة اليد التي كانت تدلّ على شخصيتها، ثم تركت فندق غلنغوري كورت فجأة بعد مقابلة مع الشرطة. هل النظرية التي اعتقد أنها حقيقية يمكنها أن تشرح أو تفسّر كل هذه الوقائع؟ لقد قال بوارو لنفسه إنها يمكن أن تفسّر ذلك.

شغلت هذه التأمّلات ذهن بوارو وهو عائد إلى منزله إلى أن وصل إلى ريغنت بارك، فقرّر أن يعبر الحيّ على قدميه قبل أن

يستقلّ سيارة أجرة؛ فقد كان يعرف اللحظة التي يؤلمه فيها حذاؤه الجلدي. وكان اليوم يوم صيف جميل، ونظر بوارو إلى الفتيات وهن يضحكن ويقهقهن مستمتعات بأشجار ريغنت بارك، وتحت كل شجرة تقريباً كان يجلس فتى وفتاة، فهمس بوارو متأثراً بالمنظر قائلاً: آه من الفتيات.

وكانت فتيات لندن أنيقات يرتدين ملابسهن بطريقة استعراضية. ثم ذكر لنفسه أن هؤلاء الفتيات وأمثالهن لسن الوحيدات اللواتي يعشقن أشجار ريجنت بارك. فتحت الشجرة جلست فتاة تشبه شيا بريلي ومعها شاب حنى رأسه قريباً منها، فوقف ينظر إليهما حتى أدرك فجأة أنه يعرفهما. لقد جاءت جين أوليفيرا إلى ريجنت بارك لتقابل ذلك الأمريكي.

ظهر الحزن والأسى على وجه بوارو فجأة، وبعد فترة تردّد قصيرة عبر الحشائش إليهما ثم حرّك قبّعته بنشاط وقال: صباح الخير يا آنسة.

ولم تكن جين أوليفيرا متبرّمة من رؤيته كما تصور، ولكن هوارد ريكس تضايق كثيراً من إزعاج بوارو فزمجر قائلاً: أنت مرّة أخرى؟

فقالت جين: صباح الخير يا سيد بوارو، أنت تظهر بطريقة غير متوقعة دائماً.

فسأل بوارو بقلق قائلاً: هل أزعجتكما؟

ردّت جين أوليفيرا قائلة بحنان: إطلاقاً.

ولم ينبس هوارد ريكس ببنت شفة فقال بوارو: إن هذا المكان الذي اكتشفتموه مكان جميل.

فردّ هوارد ريكس قائلاً: كان مكاناً جميلاً.

وقالت جين: اسكت يا هوارد، عليك أن تتعلم حسن الخلق.

فهاج ريكس وسأل قائلاً: وما فائدة حسن الخلق؟

فقالت جين: إنه يساعدك على المضيّ في الحياة. صحيح أنني سيئة الخلق ولكن هذا لا يهم؛ فأنا ثرية متوسطة الجمال ولي أصدقاء كثيرون ولا أشكو من أية مضايقات كتلك التي يتحدّثون عنها في الإعلانات، لذا أستطيع أن أشقّ طريقي بلا أخلاق حسنة.

فقال ريكس: لا أريد أن أتحدث في مثل هذه الأمور، وأعتقد أنني يجب أن أتركك الآن.

ثم نهض وأومأ باحترام إلى بوارو وانصرف، وحملقت جين أوليفيرا إليه وهي تضع ذقنها على راحتها فقال بوارو: للأسف، المثَل صحيح: «عندما تحبون يجب أن تكونوا اثنين لأن الثلاثة لا يصلحون».

فقالت جين: الحب؟ يا لها من كلمة.

- ولكنها الكلمة الصحيحة لشاب يهتمّ بفتاة قبل أن يطلب الزواج بها. إنهم يقولون ذلك، أليس كذلك؟

- يبدو أن أصدقاءك يقولون لك أشياء مضحكة للغاية.

ثم استدارت فجأة ناحية بوارو وقالت: أريد أن أعتذر إليك لأنني أخطأت بحقك حينما ظننت أنك تسلّلت وجئت يوم العطلة كي تتجسس على هوارد، ولكن بعد ذلك أخبرني خالي أليستير

أنه سألك أن تحضر لأنه أراد أن تكشف له عن مكان الآنسة سيل المفقودة. هل هذا صحيح؟

- نعم، صحيح.

- إذن أنا أعتذر عما قلته في ذلك المساء، ولكن الأمر بدا وكأنك كنت تتبع هوارد وتتجسس علينا.

- حتى لو صحّ ذلك يا آنسة فقد كنت شاهد عيان على إنقاذ السيد ريكس لحياة خالك عندما قفز على المجرم ومنعه من أن يطلق رصاصة أخرى.

- لديك طريقة مضحكة في الكلام عن الأشياء يا سيد بوارو، حتى إنني لا أدري إذا كنت جاداً أم أنك تمزح.

فردّ بوارو بحزن قائلاً: في هذه اللحظة أنا جادّ تماماً يا آنسة أوليفيرا.

فقالت جين بصوت متهدّج قليلاً: لماذا تنظر إليّ وكأنك حزين؟

- أنا حزين يا آنسة فعلاً لأنني سأتخذ بعض الإجراءات حالاً.

- إذن لا تتخذ هذه الإجراءات.

- آسف يا آنسة، يجب أن...

وتوقّف عن إتمام الكلام فحملقت إليه دقيقة أو اثنتين ثم قالت: هل وجدتم المرأة؟

فقال بوارو: لنقُل إنني أعرف مكانها.

- هل هي ميتة؟

- أنا لم أقُل ذلك.

- إذن هي حية.

- أنا لم أقُل ذلك أيضاً.

فنظرت إليه جين بضيق وقالت: يجب أن تكون حية أو ميتة، أليس كذلك؟

- في الواقع إن الأمر ليس بهذه السهولة.

- أعتقد أنك تريد أن تعقّد الأمور.

فقال بوارو: يقال عني...

وصمت ولم يكمل، فارتعدت جين وقالت: أليس الأمر مضحكاً؟ إنه يوم دافئ ومع ذلك أشعر بالبرد فجأة.

- من الأفضل لك أن تنصرفي يا آنسة.

فنهضت جين ووقفت لمدّة دقيقة وهي خائرة العزم ثم قالت فجأة: يريد هوارد أن يتزوجني دون أن يعلم أحد، ويقول إن هذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكن أن أقوم بها، ويتهمني بالضعف.

وانفجرت باكية، ثم أمسكت بيد بوارو بقوة غريبة وقالت: ماذا أفعل يا سيد بوارو؟

- لماذا تسألينني النصيحة؟ يوجد آخرون أقرب لك منّي.

- أتقصد أمي؟ إنها ستملأ البيت عويلاً إذا سمعت الفكرة، أما خالي أليستير فسيكون حذراً ومملاً وسوف يقول: إن الأمر محتاج إلى وقت طويل يا ابنتي كي تتأكّدي جيداً من ذلك الشاب لأنه كالسمك الغريب، لا فائدة من الاندفاع.

فقال بوارو: وماذا عن أصدقائك؟

- ليس لي أصدقاء، إنهم مجرّد مجموعة من السذّج الذين أخرج معهم ونردّد أحاديث سخيفة. هوارد هو الشخص الواقعي الوحيد الذي عرفته.

- إذن لماذا تسألينني؟

فقالت جين: لأنه يبدو عليك أنك متضايق من شيء أو تعرف أن شيئاً ما سيحدث و... وتوقّفت عن الكلام ثم سألته قائلة: ماذا تقول؟

فهزّ هيركيول بوارو رأسه.

* * *

عندما وصل بوارو إلى المنزل قال له جورج: السيد جاب كبير المفتشين هنا يا سيدي.

ابتسم جاب بطريقة جادة عندما دخل بوارو الحجرة وقال: أنا هنا يا عزيزي. لقد جئت إلى هنا كي أقول لك إنك معجزة.

- وكيف علمت هذا؟ وما الذي جعلك تتصوّر هذه الأمور؟ ولكن معذرة، هل تحبّ أن تشرب شيئاً ملطفاً، عصير ليمون مثلاً؟

- حسناً، الليمون مناسب لي.

وبعد عدّة دقائق رفع جاب كأسه وقال: هنا بوارو الذي هو على حقّ دائماً.

- لا، لا يا صديقي.

- لقد كان لدينا جريمة انتحار جميلة، ولكن هيركيول بوارو

قال إنها جريمة قتل ويريدها كذلك، فإذا بها كذلك.

- آه! إذن فقد اقتنعت أخيراً؟

- حسناً، لا يستطيع أحد أن يقول إنني غبيّ، فأنا لا أهرب من مواجهة الأدلة، وقد كانت المشكلة من قبلُ هي اختفاء الأدلة.

- ولكن توجد أدلة الآن، أليس كذلك؟

- بلى، وقد جئت إلى هنا لأقدّم فروض الولاء والطاعة كما تسميها، وكذلك أقدّم لك الحقائق على طبق من فضّة.

- أنا مشتاق إلى سماع ذلك يا عزيزي.

- حسناً. إن المسدس الذي حاول أن يقتل به فرانك كارتر بلنت يوم الأحد توأم للمسدس الذي قُتل به مورلي.

فحملق إليه بوارو وقال: هذا أمر غريب.

- أجل، وهذا يعقّد الأمور على السيد فرانك.

- ولكن هذا لا يدينه تماماً.

- أجل، ولكن يجعلنا نعيد حساباتنا فيما يخص قضية الانتحار. إن المسدسين مصنوعان في الخارج.

فحملق هيركيول بوارو إليه وقال: فرانك كارتر؟ بالتأكيد لا.

فتنفّس جاب بتبرم وقال: ماذا حدث لك يا بوارو؟ في البداية قلت إن مورلي قُتل ولم ينتحر، وعندما جئت لأقول لك إننا بدأنا نؤيّد رأيك أراك تزوم وتئنّ وكأنك لا تريد ذلك؟

- هل تعتقد أن فرانك كارتر قتل مورلي فعلاً؟

- هذا أمر جائز؛ فأنت تعرف جيداً أن كارتر كان يكره

مورلي، وقد جاء إلى شارع الملكة شارلوت في ذلك الصباح وادّعى أنه جاء ليخبر فتاته بأنه وجد وظيفة، وقد اكتشفنا أنه لم يعثر على الوظيفة آنذاك وأنه عثر عليها بعد ذلك بمدّة، وقد اعترف هو بذلك، وهذه هي الأكذوبة الأولى، ثم إنه لم يفسّر لنا أين كان منذ الثانية عشرة وخمس وعشرين دقيقة، ويقول إنه كان يسير في طريق مارلي بون، ولكن أول شيء يستطيع أن يثبت به ذلك هو أنه تناول شراباً في أحد المشارب في الواحدة وخمس دقائق، وعندما سألنا النادل قال إنه كان في حالة غير عادية، فكانت يده ترتعش ووجه شاحباً.

فتنهد بوارو وهزّ رأسه ثم همس قائلاً: هذا لا يتفق مع استنتاجاتي.

- وما هي استنتاجاتك؟

- إن ما تقوله يثير القلق إلى درجة كبيرة لأنك لو كنت على حق...

وسكت بوارو لأن قد فُتح الباب ودخل جورج قائلاً: معذرة يا سيدي، ولكن...

ولم يكمل كلامه؛ فقد ألقت الآنسة نيفيل بنفسها داخل الحجرة وهي تبكي وتصرخ بألم شديد قائلة: أدركني يا سيد بوارو.

فقال جاب بسرعة: سأنصرف أنا.

وترك الحجرة باندفاع، فردّت عليه غلاديس نيفيل بنظرة حقد وقالت: هذا هو الرجل، مفتش اسكتلنديارد، الذي نصب شَركاً ولفّق قضية ضدّ فرانك المسكين.

- لا تنزعجي.

- ولكنه فعل ذلك، لقد ادّعوا أولاً أنه حاول قتل السيد بلنت، ولم يكتفوا بذلك، بل اتهموه بقتل السيد مورلي المسكين أيضاً.

فسعل هيركيول بوارو وقال: لقد كنت هناك يوم الأحد عندما أُطلقت الرصاصة على بلنت.

فقالت غلاديس نيفيل بارتباك: ولكن... حتى لو صحّ أن فرانك فعل ذلك فقد فعل تلك الفعلة النكراء لأنه واحد من أصحاب القمصان الإمبراطورية الذين يرفعون الأعلام ويحيّون بطريقة مضحكة، وهؤلاء الشاب مخدوعون لأنهم طيّبون مثل فرانك ويعتقدون أنهم يؤدّون أعمالاً خارقة وبطولية.

فقال بوارو: وهل هذا هو دفاع السيد كارتر عن نفسه؟

- لا، إن فرانك يقسم على أنه لم يفعل ذلك وأنه لم يرَ المسدس قبل ذلك، وأنا لم أتحدّث معه لأنهم لم يسمحوا لي بذلك، ولكنه وكّل محامياً للدفاع عنه فأخبرني بما قاله فرانك. إن فرانك مُصرّ على أن المسألة برُمّتها ملفّقة ضدّه.

فهمس بوارو قائلاً: ويعتقد المحامي أن من الأفضل لموكّله أن يقول قصّة أكثر إقناعاً.

- إن المحامين يعقّدون الأمور ولا يقولون شيئاً بطريقة مباشرة، ولكن الذي يضايقني هو تهمة القتل. نعم يا سيد بوارو، أنا متأكّدة من أن فرانك لم يكن ليقتل مورلي لأنه لا يوجد ما يدفعه إلى ذلك.

فقال بوارو: هل صحيح أنه لم يكن قد عثر على وظيفة حينما جاء في ذلك الصباح؟

- حسناً يا سيد بوارو، أنا لا أرى أي فرق بين عثوره على الوظيفة في صباح ذلك اليوم أو بعد الظهر.

فقال بوارو: ولكنه يقول إنه جاء كي يخبرك عن وظيفته الجديدة، وقد علموا أنه لم يكن قد عثر على وظيفة حينئذ، فلماذا جاء؟

- لقد كان فرانك المسكين مضطرباً وقلقاً، وسأقول بصراحة إنه كان مخموراً بعض الشيء، وهو عصبي المزاج والخمر تزيده عصبية، لذا شعر بأنه يريد أن يفتعل مشاجرة، فحضر إلى شارع الملكة شارلوت ليُنهي الأمر مع السيد مورلي لأن فرانك حسّاس جداً، وقد ضايقه كثيراً أن يشعر أن مورلي لا يوافق عليه وأنه يحرّضني ضدّه.

- هذا معناه أنه أراد أن يقوم بمشادة في أثناء ساعات العمل.

- أجل، أعتقد أن هذه كانت فكرته، وهي فكرة خاطئة بالطبع.

فتأمّل بوارو الفتاة الشقراء الباكية الواقفة أمامه ثم قال: هل كنت تعلمين أن فرانك كان يملك مسدساً أو مسدسين؟

- آه! لا يا سيد بوارو، أقسم أنه لم يكن يملك أي مسدس.

فهزّ بوارو رأسه ببطء بطريقة محيّرة فقالت: سيد بوارو، ساعدنا، فأنا إذا شعرت أنك تقف في صفّنا...

فقاطعها بوارو قائلاً: أنا لا أقف في صفّ أحد، وإنما أقف في صفّ الحقيقة فقط.

وبعد أن تخلّص من الفتاة اتصل بوارو باسكتلنديارد، ولم يكن جاب قد عاد بعدُ، وقد اعتذر الرقيب بدوز عن ذلك وأطلعه على التطوّرات الجديدة، كما أخبره بأن الشرطة لم عثروا بعدُ على أي دليل يثبتون به امتلاك فرانك كارتر لأي مسدس قبل هجومه على بلنت.

ثم وضع بوارو سماعة الهاتف وهو يفكّر في أن تلك النقطة في صالح كارتر ولكنها كانت النقطة الوحيدة، كما علم من بدوز تفصيلات جديدة عن أقوال كارتر فيما يخصّ تعيينه بستانياً. وقد تمسّك كارتر بأقواله بأنه كان يعمل لحساب المخابرات التي أعطته أموالاً وبعض المعلومات عن فلاحة البساتين وأخبرته بأن يقدّم طلب تعيين إلى السيد ماك أليستير رئيس البستانيين، وكانت التعليمات تأمره بأن يستمع إلى محاورات البستانيين ويعرف اتجاهاتهم الحمراء ويدّعي أنه أحمر، وكان قد تلقى هذه التعليمات في أثناء مقابلة له مع سيدة تُسمى ك. هـ. ٥٦ بعد أن قدّم لها ما يدلّ على أنه معادٍ للشيوعية، وقد تحدّثت معه في ضوء ضعيف، وهو لا يعتقد أنه يمكنه أن يتعرّف عليها إذا قابلها مرّة أخرى، كما قال إن شعرها كان أحمر ووجهها كان مليئاً بالأصباغ.

فزمجر بوارو وقال: يبدو أن لمسة الروائي فيليبس أو بنهيم تظهر من جديد.

وفكر بوارو في أن يستشير السيد بارنز في الموضوع، وطبقاً لاستشارة بارنز فإن تلك الأمور يمكن أن تحدث، كما جاء البريد بما يزيد من قلقه، وكان عبارة عن ظرف رخيص عليه عنوان بخط اليد، وبدا أن الظرف قد جاء من منطقة هرتفورد شير. فتح بوارو الظرف وقرأ ما يلي:

سيدي العزيز،

آمل أن تغفر لي إزعاجي، ولكنني متضايقة ولا أدري ماذا أصنع، فأنا لا أريد أن أختلط بالشرطة إطلاقاً رغم أنني أدرك أنه كان من واجبي أن أقول شيئاً كنت أعرفه من قبل، ولكنهم قالوا إن سيدي انتحر فقلت لنفسي بأنه لا داعي إلى أقوالي، كما أنني لم أكن أريد أن أضع صديق الآنسة نيفيل في مشكلة، ولم أكن أتخيّل للحظة أنه فعل ذلك. ثم سمعت أنه حاول إطلاق النار على رجل في الريف، وقد يكون بريئاً، ولكنني رأيت أن من واجبي أن أكتب إليك باعتبارك صديقاً لسيدتي، ولأنك سألتني عمّا إذا كان لديّ شيء عندما كنت عندنا. وكم كنت أتمنّى لو أنني قلت لك وقتذاك، ولكنني آمل أن لا أختلط بالشرطة لأنني لا أحب ذلك، كما أن أمي لا تحب ذلك لأنها محافظة دائماً.

مع تقديري، أغنيز فلتشر.

فهمس بوارو قائلاً: كنت أعلم أن الأمر يتعلق برجل، ولكنني خمّنت الرجل خطأ، وهذا كل ما في الأمر.

* * *

الفصل السابع

تمّت المقابلة مع أغنيز فلتشر في هرتفورد شير في مشرب منعزل لأن أغنيز كانت حريصة على أن لا تروي قصّتها أمام الأعين الناقدة للآنسة مورلي. وبعد أن ردّدت أغنيز بعض الكلمات التافهة عدّة مرّات بإضافات مختلفة اقتربت قليلاً من موضوع المحاورة وقالت: لم أشأ أن أقول شيئاً للآنسة مورلي؛ فقد تؤذيني لأنني لم أقُل ذلك من قبل، ولكنني ناقشت الموضوع مع الطباخة ورأينا أنه لا داعي إلى أن نثير ضجّة بعد أن طالعنا في الصحف أن سيدي أخطأ في إعطاء مخدّر فانتحر بمسدس كان في يده، فلذا لم يبدُ الأمر غريباً.

- ومتى أحسست أن الموقف قد تغيّر؟

سأل بوارو هذا السؤال التشجيعي كي يقترب من اعترافاتها التي وعدته بها، فردّت أغنيز على الفور قائلة: عندما قرأت في الصحف ما كتبته عن فرانك كارتر، صديق الآنسة نيفيل، وكيف أنه أطلق النار على الرجل الذي كان يعمل عنده كبستاني، فقد بدا الأمر كما لو كان قد فقدَ صوابه لأنني أعرف أشخاصاً يحدث لهم ذلك فيشعرون بأنهم مطارَدون وأنهم محاطون بالأعداء، وبذلك يصبح حبسهم في المنازل خطراً ومن الواجب إرسالهم إلى مستشفيات الأمراض العقلية. وقد تصورت أن فرانك يعاني

من مثل هذه الحالة لأنني أذكر أنه تعوّد على أن يذهب إلى السيد مورلي، ويقول إن السيد مورلي ضدّه وإنه يحاول أن يفرّق بينه وبين الآنسة نيفيل، رغم أن الأخيرة لم تكن تسمع كلمة ضدّه، وكذلك أنا، أما الطباخة فلم تستطع أن تنكر أن السيد كارتر وسيم للغاية وأنه الرجل المثالي، وبالطبع كنا نعتقد أنه يمكن أن يفعل شيئاً للسيد مورلي، وقد اعتبرنا أن ما حدث كان أمراً غريباً. هل تفهم ما أقصد؟

فقال بوارو بصبر نافد: وما هو هذا الأمر الغريب؟

- كان ذلك في ذات الصباح الذي انتحر فيه مورلي، حينما كنت أفكر في أن أهبط الدرَج لأتسلّم البريد لأن موظف البريد كان قد أتى، ولكن ألفريد لم يحضر الخطابات لأنه اعتاد أن لا يصعد بالخطابات إلا إذا كان بها خطابات للآنسة مورلي أو السيد مورلي، أما إذا كانت الخطابات لآما أو لي فلم يكن يهتم بإحضارها حتى موعد الغداء، لذا نزلت إلى الصالة كي آتي بالخطابات.

وأخذت أغنيز نفساً عميقاً ثم استطردت قائلة: في ذلك الوقت رأيته، أقصد أنني رأيت فرانك كارتر في وسط الطريق على درَج الخدم فوق الطابق الذي يجلس فيه سيدي، وكان يقف هناك وهو يرهف السمع باهتمام شديد وينظر إلى أسفل، فشعرت بأن شيئاً غريباً في الموضوع.

- متى كان ذلك؟

- كان ذلك بعد الثانية عشرة والنصف يا سيدي، وكنت أعتقد في ذلك الوقت أن أمل فرانك كارتر سيخيب لو عرف أن الآنسة نيفيل متغيّبة، وفكرت في أن أُسرع إليه وأخبره، وبينما كنت متردّدة بدا أن السيد كارتر قد حزم أمره فهبط الدرَج وسار في الصالة إلى

حجرة عمليات السيد مورلي، فقلت لنفسي إن سيدي لن يرضى بذلك وتوقّعت أن تحدث مشاجرة. وفي ذلك الوقت نادت آما عليّ وسألتني لماذا تأخّرت فتركتها وصعدت مرّة أخرى، وبعد ذلك سمعت أن سيدي انتحر فسبّب ذلك توقّف ذهني. وعندما خرج مفتش الشرطة قلت لآما: "إنني لم أذكر أن السيد كارتر كان عند سيدي في ذلك الصباح"، فسألتني قائلة: "وهل كان هناك؟" فقصصت عليها الحكاية فقالت: "حسناً، كان يجب أن تقولي"، ولكنني قلت بأنه من الأفضل أن أنتظر قليلاً فوافقت لأننا كنا لا نريد أن نوقع فرانك في مشكلة بقدر استطاعتنا، وفي أثناء المحاكمة تبيّن أن السيد مورلي أخطأ في إعطاء المخدّر مما أدى إلى إصابته بالذعر فانتحر. وهذا أمر طبيعي، لذا لم نرَ داعياً إلى أن نقول شيئاً، ولكن عندما قرأنا في الصحف منذ يومين نبأ فرانك تغيّر موقفنا وقلت لنفسي بأنه قد يكون من هؤلاء الرفاق الذين يعتقدون أنهم مضطهَدون فيطلقون النار على الناس، ورغم ذلك ربما لم يقتل فرانك سيدي إطلاقاً.

فملأ بوارو صوته برنّة التأكيد بقدر ما استطاع وقال: تأكّدي من أنك كنت على صواب بإدلائك بهذه الأقوال إليّ يا أغنيز.

– حسناً، يجب أن أقول لك إن ضميري قد استراح يا سيدي؛ فقد كنت ألوم نفسي دائماً لأنني لم أقُل، ولكنني خفت وقتها أن أختلط بالشرطة ومما كانت ستقوله أمي.

فردّ بوارو بسرعة قائلاً: أجل، أجل.

لقد شعر بوارو بأنه سمع عن أمّ أغنيز في مساء واحد أكثر مما يُحتمَل.

* * *

زار بوارو اسكتلنديارد وسأل عن جاب، وعندما وصل إلى حجرة كبير المفتشين قال: أريد أن أرى كارتر.

فحدجه جاب بنظرة جانبية سريعة وقال: هل عندك جديد؟

- هل ترفض مقابلتي إياه؟

- لا، لم أكن أقصد ذلك يا بوارو وإنما قلت ذلك لأنك تسعد بذكر عبقريتك اللعينة. لماذا تريد أن ترى كارتر؟ ألتسأله إذا ما كان قتل مورلي أم لا؟

فدهش جاب عندما أومأ بوارو مؤكّداً وقال: بالضبط يا صديقي، هذا هو السبب.

- افترض أنك تعتقد أنه سيقول لك إنه قد قتله فعلاً.

وكان جاب يضحك وهو يتكلم، ولكن هيركيول بوارو بقي حزيناً ثم قال: ربما... قد يخبرني. نعم.

فنظر جاب إليه باستغراب وقال: أنا أعرفك منذ نحو عشرين سنة، ولكنني لا أستطيع أن أفهم مراميك حتى الآن، ولكنني أعرف أن عندك شيئاً يخص فرانك كارتر وأنك لا تريد أن تثبت إدانته لسبب أو لآخر.

فهزّ هيركيول بوارو رأسه بحماسة وقال: لا، لا، أنت مخطئ. إن الطريق الآخر هو...

وصمت عن إتمام جملته فقال جاب: إذن لماذا لا تريد أن تعتقد أنه مذنب؟

- أريد أن أقتنع بأنه مذنب.

- أظن أنك تقصد أنك حصلت على شيء يثبت بقليل أو كثير

براءته، ولكن لماذا تخفيه؟ يجب أن تكون عادلاً معنا يا بوارو.

– أنا عادل معكم وسوف أعطيك فوراً اسم وعنوان شاهدة كي تساعدك على فكّ اعتقاله، رغم أن شهادتها ستدينه أكثر.

– ولكن لماذا أنت شغوف بمقابلته؟

فردّ بوارو قائلاً: لأُرضي نفسي.

ولم يقُل أكثر من ذلك.

* * *

نظر فرانك كارتر وهو متهالك شاحب الوجه إلى ضيفه غير المتوقّع بضيق واضح وقال له بوقاحة: أنت مرّة أخرى أيها الأجنبي الأحمر الصغير؟ ماذا تريد؟

– أريد أن أراك وأتحدّث إليك.

– حسناً، ها أنت تراني أمامك الآن، ولكنني لن أتكلم إلا إذا كان المحامي موجوداً، وأعتقد أن هذا حقي، أليس كذلك؟

– بلى، هذا حقك، وتستطيع أن تبعث إليه إذا شئت، ولكن من أفضل أن لا تفعل ذلك.

– أعتقد أنك تريد أن تنصب لي شَركاً كي أُدلي باعترافات خطيرة.

– لاحظ أننا هنا بمفردنا.

– هذا شيء غريب حقاً، ولكنني متأكّد من أنه توجد أجهزة تجسّس.

– أنت مخطئ، فهذه مقابلة خاصة بيني وبينك.

فضحك فرانك كارتر وبدا عليه السخط والحنق ثم قال: هل تريد أن تخدعني؟

- هل تذكر فتاة اسمها أغنيز فلتشر؟

- لم أسمع عنها قطّ.

- أعتقد أنك ستذكرها رغم أنك ربما لم تهتم بأمرها. لقد كانت خادمة المنزل رقم ثمانية وخمسين بشارع الملكة شارلوت.

- حسناً، ماذا عنها؟

فقال هيركيول بوارو ببطء: في صباح اليوم الذي قُتل فيه مورلي تصادف أن نظرت الفتاة إلى الدرَج من الطابق العلوي فرأتك تنظر وترهف السمع، ثم رأتك تتوجّه إلى حجرة السيد مورلي، وكانت الساعة حينئذ نحو الثانية عشرة وست وعشرين دقيقة.

فارتعدت فرائص فرانك بعنف وتصبّب العرق على جبينه وازدادت عيناه ثورة، ثم أخذ يسير بوحشية يمنة ويسرة ويهتف بغضب قائلاً: هذه أكذوبة، أكذوبة لعينة. لقد دفع لها رجال الشرطة لتقول ذلك.

فقال هيركيول بوارو: وفي ذلك الوقت، كما ذكرت أنت بنفسك، غادرت المنزل وكنت تسير في طريق مارلي بول، وقد كنت هناك بالفعل.

- تلك الفتاة كاذبة لأنها لم تكن تستطيع أن تراني، هذه حيلة قذرة، ثم إنه إذا كانت هذه هي الحقيقة فلماذا لم تقُل ذلك من قبل؟

قال بوارو بهدوء: لقد قصّت الموضوع على صديقتها وزميلتها

الطباخة، وقد كانتا منزعجتين لأنهما لم تعرفا كيف تعترفان بذلك. وعندما صدر حكم بأن الحادث كان انتحاراً ارتاح بالهما وقرّرتا أنه لا فائدة من الإدلاء بالأقوال.

– أنا لا أصدق كلمة واحدة من هذا، لا شكّ أنهما مشتركتان في المؤامرة، هذا كل ما في الأمر، هما اثنتان من الكذابين القذرين.

وعندما توقّف صوت كارتر قال بوارو بنفس الصوت الهادئ المنظّم: الغضب والألفاظ القذرة لن تساعدك لأن الفتاتين سوف تحكيان القصّة وسوف يصدّقهما رجال الشرطة لأنهما تقولان الحقيقة. لقد رأتك أغنيز فلتشر بالفعل عندما كنت بأعلى الدرَج في ذلك الوقت، فأنت لم تترك المنزل كما أنك دخلت إلى حجرة السيد مورلي بالفعل.

وسكت بوارو برهة ثم سأله بهدوء قائلاً: ماذا حدث بعد ذلك؟

– هذه أكذوبة كما قلت لك.

فقال هيركيول بوارو: أعتقد أنك ستقول لي الحقيقة.

ولكن لم يكن أمام هيركيول بوارو إلا أن يأخذ عصاه على كتفه ليرحل، فقال فرانك كارتر: هذه أكذوبة.

ومرّت فترة صمت ولم ينهض بوارو لينصرف رغم أنه كان يريد ذلك، ولكنه مكث قليلاً ثم اتكأ إلى الأمام وقال بكل قوة شخصيته الجبارة: أنا لا أكذب عليك، وأريدك أن تصدّقني. إذا كنت لم تقتل مورلي فإن أمَلك الوحيد هو أن تقول لي الحقيقة المجرّدة. ماذا حدث في ذلك الصباح؟

فارتعد كارتر وظهرت عليه علامات الشكّ، كما أخذت عيناه

تتجهان يمنة ويسرة بهلع كعينَي حيوان مذعور، وفجأة انهار أمام قوة الشخصية التي تواجهه وقال بخشونة: حسناً، سأقول لك، وسحقاً لك إذا كنت تخدعني. لقد دخلت فعلاً ثم صعدت الدرَج وانتظرت حتى تأكّدت من أنه بمفرده، ثم انتظرت هناك فوق درَج مورلي، وبعدها خرج رجل سمين ونزل الدرَج، وكنت ما زلت أتخذ قراري بالذهاب عندما خرج رجل آخر من حجرة مورلي ونزل الدرَج أيضاً، فأدركت أنني يجب أن أُسرع إلى حجرته دون أن أطرق الباب، وكنت قد قرّرت أن أقتله لأنه كان يتآمر عليّ ويحرّض فتاتي ضدّي. عليه اللعنة.

توقّف فقال بوارو ولم تزل في صوته رنّة الإلحاح: نعم.

- ولكنني وجدته راقداً ميتاً. أقسم على أن هذا صحيح، فقد كان راقداً كما قالوا في التحقيق، وفي البداية لم أُصدق عينَي فانحنيت عليه ولكنه كان ميتاً بالفعل، فقد كانت يده باردة كالثلج وثقب الطلقة في رأسه وحولها دائرة من الدماء.

وعندما جاء إلى هذه النقطة من روايته سال العرق على جبينه ثم قال: وأدركت أنني وقعت في مأزق لأنهم سوف يقولون بأنني أنا الفاعل، فلم ألمس أي شيء فيما عدا يده ومقبض الباب فمسحته بالمنديل من الجانبين، وعندما خرجت لم يكن يوجد أحد في الصالة فتسللت إلى أسفل بأسرع ما يمكن فخرجت، ثم أطلقت لنفسي العنان بقدر ما استطعت، ولا عجب إن كنت قد أحسست بالفزع بعد ذلك.

وسكت ثم اتجهت عيناه إلى بوارو وقال: هذه هي الحقيقة، أقسم على أنها الحقيقة. لقد كان ميتاً بالفعل، وعليك أن تصدّقني.

فنهض بوارو وقال بصوت متعَب حزين: أنا أصدّقك.

ثم تحرّك ناحية الباب فصرخ فرانك كارتر قائلاً: سوف يشنقونني إذا عرفوا أنني كنت هناك.

فقال بوارو: لقد أنقذت نفسك من الشنق عندما قلت الحقيقة.

- لا أعتقد ذلك؛ فسوف يقولون...

فقاطعه بوارو قائلاً: اترك الأمور لي الآن.

ثم خرج ولكنه لم يكن سعيداً.

* * *

وصل بوارو إلى منزل السيد بارنز في منطقة إيلنغ، وذلك في الساعة السادسة وخمس وأربعين دقيقة، وكان السيد بارنز قد قال له إن ذلك وقت مناسب. كان السيد بارنز يعمل في حديقته، فقال على سبيل التحية لضيفه: نحن نحتاج إلى المطر بشدّة يا سيد بوارو.

ونظر إلى ضيفه ملياً ثم قال: أراك حزيناً يا سيد بوارو.

فقال هيركيول بوارو: أحياناً لا أحب الأشياء التي يجب أن أفعلها.

فهزّ السيد بارنز رأسه بعطف وقال: أعرف هذا.

ثم نظر بوارو حوله إلى التنسيق البديع للأحواض وهمس قائلاً: هذه الحديقة بديعة النظام، كل شيء هنا بمقدار وميزان، ورغم أنها صغيرة إلا أنها أنيقة.

فقال السيد بارنز: عندما تكون المساحة صغيرة فإنها تتحمّل

أخطاء التخطيط.

فأومأ هيركيول بوارو برأسه واستطرد بارنز قائلاً: أرى أنك حصلت على الرجل، أليس كذلك؟

- أتقصد فرانك كارتر؟

- نعم. أنا مدهوش حقاً.

- ألم تكن تعتقد أنها قضية قتل؟

- بصراحة أنا لم أكن أعتقد ذلك. ماذا عن أمبريوتيز وأليستير بلنت؟ لقد تأكّدت من أنها شبكة مضادة للجواسيس.

- هذا هو رأيك الذي شرحته لي في أول مقابلة.

- أعرف ذلك، وقد كنت متأكّداً منه في تلك المرّة.

فقال بوارو ببطء: ولكنك كنت مخطئاً.

- أجل، وأرجو أن لا تؤاخذني؛ فالمشكلة أنني اختلطت مع أمثال هؤلاء الناس إلى درجة أنني أميل إلى رؤيتهم في كل مكان.

فقال بوارو: لقد رأيت ذات مرّة ساحراً يقدّم بطاقة، وذلك في أثناء خدمتك. ألم يحدث لك ذلك؟

- بلى، حدث بالطبع.

- وهذا ما حدث هنا، ففي كل مرّة يشكّ فيها الإنسان أن مورلي قُتل بدافع شخصي تظهر بطاقة جديدة، أمبريوتيز وأليستير بلنت وحالة السياسة غير المستقرّة للبلاد.

ثم هزّ بوارو كتفيه واستطرد قائلاً: أما بالنسبة لك يا سيد بارنز

فقد ضلّلتني أكثر من أي شخص آخر.

- آه، أنا آسف جداً يا بوارو.

- لقد كنت في وضع يمكّنك من أن تعرف، ولذلك وثقت بك.

- حسناً، لقد كنت أعتقد ما كنت أقوله، وهذا هو اعتذاري الوحيد. هل كان الدافع شخصياً؟

- بالضبط، وقد قضيت وقتاً طويلاً حتى عرفت سبب القتل، رغم أن الحظّ قدّم لي فرصة كبيرة في البداية.

- وما هي؟

- جزء من محاورة كان سيضيء لي الطريق إذا كانت لي القدرة على فهم مغزاه في ذلك الوقت.

فحكّ السيد بارنز أنفه وهو يفكّر فلطخت قطعة طين جانباً من أنفه ثم سأل بابتهاج قائلاً: هل الأمر سرّي؟

فهزّ هيركيول بوارو كتفيه وقال: أنا حزين لأنك لم تكن صريحاً معي.

- يا زميلي العزيز، أنا لم أكن أعرف شيئاً عن جريمة كارتر؛ فقد ترك المنزل قبل أن يموت مورلي بوقت كافٍ كما أعلم، كما أعتقد أنهم لم يكتشفوا أنه لم يترك المنزل إلا عندما قال ذلك.

فقال بوارو: لقد كان كارتر في المنزل في الثانية عشرة وست وعشرين دقيقة وقد رأى القاتل بنفسه.

- هل هذا معناه أن كارتر لم...

- أقول لك إن كارتر رأى القاتل.

فقال السيد بارنز: وهل... تعرّف عليه؟

فهزّ هيركيول بوارو رأسه ببطء.

* * *

الفصل الثامن

في اليوم التالي قضى بوارو عدّة ساعات مع عميل سرّي من معارفه، وفي المساء ذهب إلى أكسفورد، وفي اليوم التالي ذهب إلى الريف وعاد في ساعة متأخّرة من الليل. وكان بوارو قد اتصل بالهاتف قبل أن يذهب إلى موعد مع السيد أليستير بلنت في ذلك المساء، وفي التاسعة والنصف وصل إلى المنزل القوطي.

كان أليستير بلنت وحده في المكتبة عندما دخل عليه بوارو، وسأله أليستير وهو يصافحه قائلاً: حسناً، هل وجدتها؟

- نعم، لقد وجدتها.

فقال أليستير بلنت: أنت تبدو مُتعَباً.

- أجل، كما أن الذي سأقول لك لن يكون مُبهماً.

فقال بلنت: هل هي ميتة؟

فردّ هيركيول بوارو ببطء: هذا يعتمد على الطريقة التي تحبّ أن تنظر بها إلى الموضوع.

فقطب بلنت جبينه وقال: يا صديقي العزيز، إن المرء يجب أن يكون ميتاً أو حياً، لذا يجب أن تكون الآنسة ساينسبري سيل إما ميتة وإما حية.

- أجل، ولكن مَن تكون الآنسة ساينسبري سيل؟

فقال أليستير بلنت: بالطبع أنت لا تقصد أنه لا توجد امرأة بهذا الاسم.

- لا، لقد كانت توجد امرأة بهذا الاسم تعيش في كلكتا، وكانت تدرّس البلاغة وتعمل بالأعمال الخيرية، ثم جاءت إلى الهند على سفينة المهاراناه، وهي نفس السفينة التي أبحر عليها السيد أمبريوتيز، ورغم أنهما لم يستقلاّ نفس الدرجة إلا أنه ساعدها على التغلب على مشكلة تتعلّق بمتاعها، فقد كان رجلاً شهماً في بعض النواحي. أحياناً يعود الخير على أصحابه بطريقة غير متوقعة يا سيد بلنت، وهذا ما حدث للسيد أمبريوتيز، فقد تصادف أن قابل الآنسة مرّة أخرى في أحد شوارع لندن وكان يشعر بالضيق، فدعاها بقلب طيّب لتناول الغداء معه في فندق سافوي، وهذه معاملة لم تكن تتوقّعها، كما كان كرماً غير متوقّع من السيد أمبريوتيز لأنه لم يكن كريماً بصفة دائمة. ولم تكن لديه أدنى فكرة عن أن تلك الفتاة المعدمة سوف تقدّم له كنزاً من ذهب، وهذا ما فعلته رغم أنها لم تكن تعرف ذلك، لم يكن ذكاؤها من الدرجة الأولى. صحيح أن روحها طاهرة ولكن عقلها كان عقل دجاجة.

فقال بلنت: هذا معناه أنها لم تقتل السيدة شابمان.

فقال بوارو ببطء: من الصعب أن أعرف كيف أسرد لك الموضوع، ولكنني سوف أبدأ بكيفية بدء الموضوع بالنسبة لي. لقد بدأ بفردة حذاء.

فقال بلنت بدهشة: فردة حذاء؟!

فأومأ هيركيول بوارو مؤمّناً وقال: نعم، فردة حذاء. لقد

خرجت من عند طبيب الأسنان، وبينما أنا على الدرَج في شارع الملكة شارلوت وقفت سيارة أجرة في الخارج، ثم فُتح الباب وخرجت قدم امرأة. وأنا ألاحظ دائماً أقدام النساء وأحذيتهن. كان الجورب غالي الثمن، ولكنني لم أحب الحذاء؛ فرغم أنه كان حذاء جديداً لامعاً مصنوعاً من الجلد وله إبزيم معدني كبير يزيّنه إلا أنه لم يكن أنيقاً على الإطلاق. وبينما أنا أراقب ذلك ظهرت السيدة فخاب ظنّي لأنها كانت في متوسط عمرها وغير جذّابة وترتدي ملابس رخيصة.

- هل كانت تلك المرأة هي الآنسة ساينسبري سيل؟

- بالضبط. وبينما كانت تنزل وقع لها حادث، إذ علق إبزيم حذائها بالباب فانفكّ وسقط، فالتقطتُه وأعدته إليها، وهذا كل ما حدث. وفي نفس اليوم ذهبت مع جاب كبير المفتشين لإجراء تحقيق مع الآنسة، ولم تكن قد ثبّتت إبزيم حذائها حتى ذلك الوقت، وفي نفس المساء خرجت الآنسة ساينسبري سيل من الفندق واختفت، وهذا ما سوف نسمّيه بالفصل الأول.

وصمت بوارو برهة ثم قال: ويبدأ الفصل الثاني عندما استدعاني جاب كبير المفتشين إلى مساكن الملك ليوبولد، وكانت هناك خزانة فرو في أحد الشقق، وفي الخزانة عثرنا على جثة، ثم دخلت الحجرة وذهبت إلى الخزانة وكان أول ما رأيته هو فردة حذاء قديمة.

- حسناً، وماذا في ذلك؟

- أنت لم تفهم هذه النقطة بعد. لقد كانت فردة الحذاء قديمة ممزّقة تماماً، مع أننا علمنا أن الآنسة ساينسبري سيل ذهبت إلى مساكن الملك ليوبولد في نفس مساء اليوم الذي قُتل مورلي في

صباحه، والذي كان حذاؤها جديداً فيه كما نعرف.

فقال أليستير بلنت بقلة اهتمام: من الجائز أن يكون لديها زوجان من الأحذية.

- أجل، ولكن الأمر لم يكن كذلك لأنني صعدت مع جاب إلى حجرتها في فندق غلنغوري كورت ونظرنا إلى كل ممتلكاتها فلم يكن من بينها زوج أحذية بإبزيم معدني. صحيح أنه يمكن أن يكون لديها زوج أحذية قديم وأنها ربما غيّرت حذاءها بعد يوم مجهِد كي تخرج في المساء، ولكن إذا صح هذا الكلام فإن الزوج الآخر كان سيظلّ في الفندق. لكننا لم نجده، وهذا أمر غريب، أليس كذلك؟

فابتسم بلنت قليلاً وقال: لا أرى أن هذا شيء مهم.

- أجل، ليس مهماً على الإطلاق، ولكن المرء لا يحب الأشياء التي لا يفهمها. لقد وقفت بجوار خزانة الفرو ونظرت إلى فردة الحذاء فوجدت أن الإبزيم قد أُعيد تثبيته بواسطة يد شخص ما. صحيح أنني مررت بلحظة شكّ في نفسي فقلت: يبدو أنك كنت في الصباح غير متيقّظ تماماً يا هيركيول بوارو لأنك كنت تنظر إلى العالم نظرة وردية فبدت الأحذية القديمة جديدة لك.

- ربما كان هذا هو التفسير.

- ولكن لا، لم يكن هذا هو التفسير. إن عينَيّ لا تخدعانني، ولكي أكمل لك أقول إنني فحصت جثة تلك المرأة الميتة فلم يعجبني ما رأيته، فلماذا يمزّق الوجه بطريقة مدبّرة قذرة حتى أصبح غير واضح المعالم؟

فتحرّك أليستير بلنت بقلق وقال: هل يجب أن تعود إلى ذلك

مرّة ثانية؟ نحن نعرف.

فردّ هيركيول بوارو بحزم قائلاً: هذا ضروري لأنني أريد أن أصل بك إلى النقطة التي أوصلتني إلى الحقيقة. لقد قلت لنفسي: يوجد شيء خطأ، فهنا سيدة ميتة ترتدي ملابس الآنسة ساينسبري سيل فيما عدا الحذاء، وبجوارها حقيبة يد الآنسة ساينسبري سيل، ولكن لماذا شُوّهت ملامح وجهها؟ ربما لأن وجهها ليس وجه الآنسة ساينسبري سيل. وعلى الفور بدأت أرتّب ما سمعته عن ظهور المرأة الأخرى التي تمتلك الشقة، وسألت نفسي قائلاً: ألا يمكن أن تكون المرأة الأخرى هي تلك الميتة؟ ثم ذهبت إلى حجرة نوم المرأة الأخرى وحاولت أن أصوّر لنفسي شكل تلك المرأة. لقد كانت في المظهر الخارجي مختلفة، فقد كانت أنيقة ترتدي ملابس استعراضية وتحبّ الظهور، ولكن الصفات العامة لم تكن مختلفة، مثل الشعر والجسم والسنّ، وإن كان يوجد اختلاف واحد، وهو أن السيدة شابمان كانت تلبس حذاء مقاس خمسة في حين كانت الآنسة ساينسبري سيل تلبس جورباً مقاس تسعة، وهو ما يساوي ستة في الأحذية على أقل تقدير، وهذا معناه أن قدمَي السيدة شابمان كانتا أصغر من قدمَي الآنسة ساينسبري سيل. ثم عدت إلى الجثة، فإذا كانت فكرتي الناقصة صحيحة وكان جسد السيدة شابمان يرتدي ملابس الآنسة ساينسبري سيل فسوف تكون الأحذية واسعة، فأمسكت بواحدة فوجدت أنها مُحكَمة، ومعنى هذا أن الجثة كانت جثة الآنسة سيل، وفي هذه الحالة لماذا يُشوَّه الوجه؟ لقد كانت شخصيتها واضحة من حقيبة يدها التي كان من السهل أن تختفي.

وأخذ بوارو نفَساً عميقاً ثم استطرد قائلاً: وكانت هذه مشكلة كبيرة. وفي حالة من اليأس أمسكت بدفتر عناوين السيدة

شابمان لأن طبيب الأسنان هو الشخص الوحيد الذي يمكن أن يثبت هوية المرأة الميتة، وعن طريق المصادفة كان طبيب أسنان السيدة شابمان هو الدكتور مورلي، ولكن مورلي قد مات، إلا أن التحقّق من الشخصية كان ممكناً، وأنت تعرف النتيجة، فقد تبيّن في المحكمة من خلال أقوال نائب الدكتور مورلي أن الجثة كانت جثة السيدة ألبرت شابمان.

كان بلنت يتحرّك بصبر نافد، ولكن بوارو لم يهتمّ واستطرد قائلاً: ثم واجهتني مشكلة نفسية، وهي من أي طراز كانت الآنسة ساينسبري سيل؟ وقد وجدت إجابتين لهذا السؤال، الإجابة الأولى هي الأوضح إذ تؤيّدها الحياة الطويلة في الهند وشهادة أصدقائها الشخصيين، وهذا يصوّرها على أنها فتاة صاحبة ضمير حيّ متحمّسة غبية بعض الشيء، وفي نفس الوقت كانت توجد امرأة تناولت غداءً مع عميل أجنبي معروف وقابلتك في الطريق وادّعت أنها كانت صديقة مقرّبة إلى زوجتك، وهذا غير صحيح، كما زارت منزل رجل قبل أن يُقتَل بقليل، وزارت امرأة أخرى في نفس المساء الذي قُتلت فيه تلك المرأة الأخرى، ثم اختفت رغم أنها تعلم أن شرطة إنكلترا كانت تبحث عنها. هل ترى أن كل هذه الأعمال مطابقة للشخصية التي رسمتها صديقاتها لها؟ لقد بدا لي أنها ليست كذلك، وعلى ذلك فإذا لم تكن تلك المرأة هي الآنسة ساينسبري سيل المخلوقة الطيبة المحبوبة فمن المحتمل أن تكون قاتلة محترفة أو أنها شريكة في الجرائم على الأقل. كما كان لي انطباع شخصي آخر، وهو أنني كنت قد تحدّثت مع الآنسة مابيل ساينسبري سيل بنفسي، فكيف استطاعت أن تخدعني؟ وكان هذا هو أصعب سؤال بالنسبة لي. إن طريقة كلامها وسلوكها وحركاتها، كل هذا كان متناسقاً مع شخصيتها، ولكنه في نفس الوقت كان

متمشياً مع ممثّلة بارعة تعلب دوراً. قبل أي شيء أريد أن أقول إن الآنسة ساينسبري سيل بدأت حياتها كممثّلة، وكنت قد تأثّرت بمحاورة أجريتها مع السيد بارنز الذي كان مريضاً في شارع الملكة شارلوت في ذلك اليوم أيضاً، وكانت نظريته التي شرحها بحماسة تقول إن موت مورلي وأمبريوتيز كان شيئاً عارضاً وأن الخصم المطلوب هو أنت.

فقال أليستير بلنت: هذا كلام مبالَغ فيه.

– أحقاً يا سيد بلنت؟ أليس صحيحاً أنه توجد الآن جماعات مختلفة من الناس يهمّهم أن يزيحوك عن الطريق حتى لا تستمرّ في ممارسة نفوذك؟

فقال بلنت: بلى، هذا صحيح، ولكن لماذا تخلط قضية مورلي بهذا الموضوع؟

فقال بوارو: لأنه كان يوجد تبذير ملحوظ في القضية، فلا الأموال تهمّ ولا أرواح الناس تهمّ. نعم، كان يوجد استخفاف وتبذير يشيران إلى جريمة كبرى.

– ألا تعتقد أن مورلي قد انتحر لأنه أخطأ؟

– أنا لم أعتقد ذلك للحظة واحدة. إن مورلي قد قُتل، وأمبريوتيز قد قُتل، وامرأة مجهولة قد قُتلت، فلماذا؟ لهدف آخر كبير. وكانت نظرية بارنز تقول إن أحد الناس حاول أن يدفع رشوة إلى مورلي أو إلى شريكه كي يزيحوك عن الطريق.

فقال أليستير بلنت بحدّة: هذا كلام فارغ.

– أجل، ولكن هل هذا كلام فارغ حقاً؟ لنقُل إن شخصاً يريد أن يزيح شخصاً آخر عن الطريق، ولكن ذلك الأخير متيقّظ

مسلّح من الصعب الوصول إليه، ولكي يُقتل ذلك الشخص فمن الضروري أن يكون القاتل قادراً على أن يقترب منه دون أن يثير انتباهه، وعادة يقلّ تشككّ الإنسان عندما يكون فوق كرسي طبيب أسنان، أليس كذلك؟

- بلى، هذا صحيح، ولكنني لم أفكّر في هذا من قبل.

- هذا صحيح، وعندما أدركت ذلك أمسكت بأول طرف خيط الحقيقة.

- هذا معناه أنك قبلت نظرية بارنز. بالمناسبة، مَن بارنز هذا؟

- بارنز هو مريض الساعة الثانية عشرة عند ريلي، وهو موظف متقاعد على المعاش يعيش في منطقة إيلنغ، وهو رجل غير مهم. وقد أخطأت حينما قلت إنني قبلت نظريته، فأنا لم أقبلها وإنما قبلت مبدأ النظرية فقط.

- ماذا تقصد؟

فقال هيركيول بوارو: في خلال فترة البحث كنت أبعد عن الطريق، أحياناً بطريقة ساذجة وأحياناً بطريقة ماكرة، وذلك لهدف معيّن، ودائماً كانت الأدلة تُقدَّم إليّ أو تُفرَض عليّ كي أعتقد أن الجريمة جريمة عامة، أو بمعنى آخر أنك كنت بؤرة الجريمة باعتبارك شخصية عامة يا سيد بلنت، فأنت الثري المسيطر على الاقتصاد وحامي التراث المحافظ، ولكن لكل شخصية عامة حياتها الخاصة أيضاً، وكانت هذه غلطتي لأنني نسيت الحياة الخاصة ونسيت أنه توجد أسباب خاصة وراء مصرع مورلي، مثل موضوع فرانك كارتر مثلاً، كذلك من الممكن أن توجد أسباب

خاصة لقتلك، حيث إنه لك أقرباء يمكن أن يرثوك عندما تموت، كما يوجد أُناس يحبونك وآخرون يكرهونك كإنسان لا كشخصية عامة، وبذلك أكون قد وصلت إلى ما أستطيع أن أسميه البطاقة المفروضة أو الهجوم المدبّر عليك بواسطة كارتر، لأن هذا الهجوم لو كان صحيحاً لكانت الجريمة جريمة سياسية. ولكن هل يوجد تفسير آخر؟ نعم، لقد كان يوجد رجل آخر في الحديقة، وهو الرجل الذي انقضّ على كارتر والذي يجوز أنه أطلق النار ثم ألقى المسدس تحت قدمَي كارتر الذي سيلتقطه حتماً، ثم يقبض عليه ذلك الرجل وهو ممسك به.

وسكت بوارو برهة ثم استطرد قائلاً: لقد درست مشكلة هوارد ريكس، وقد كان ريكس في شارع الملكة شارلوت في صباح ذلك اليوم الذي قُتل فيه مورلي، وقد علمت أن ريكس يعادي كل مبادئك. نعم، ولكنه كان أكثر من ذلك، كان الرجل الذي يمكن أن يتزوج ابنة قريبتك، وإذا مِتّ أنت ورثَت هي مبلغاً محترماً رغم أنك رتّبت الأمور بحرص حتى لا تخدش المبدأ الأساسي. إذن هل كانت الجريمة خاصة، جريمة للكسب الشخصي وإرضاء الذات؟

- ولكن لماذا اعتبرتها جريمة عامة من قبل؟

- لأن هذه الفكرة قد أُوحيت إليّ أكثر من مرة وفُرضت عليّ كبطاقة مفروضة، وعندما خطر لي هذا الخاطر ظهر أول شعاع للحقيقة، وكنت وقتها في الكنيسة، وقد دعوت وذكرت الشرَك المصنوع من الحبال، الشرَك المصنوع لي أنا. نعم، هذا ممكن، ولكن مَن الذي نصبه لي؟ لا يوجد غير شخص واحد يمكن أن ينصبه لي، ولكن ذلك لا أهمية له، أليس كذلك؟ وبذلك تكون

القضية قد قُلبت رأساً على عقب، ولكن إذا صحّت هذه الفكرة الجديدة الغريبة فلا بدّ أن تفسّر كل شيء، يجب أن تفسر الغموض الذي يكشف الطبيعة المزدوجة للآنسة ساينسبري، كما يجب أن تحلّ معضلة الحذاء وتجيب على سؤال: "أين الآنسة ساينسبري سيل الآن؟". وقد فسّرت الفكرة كل هذا وأكثر، فقد أظهرت لي أن الآنسة ساينسبري سيل كانت بداية ووسط ونهاية القضية، ولا عجب أن بدا لي أنه توجد شخصيتان باسم ساينسبري سيل، وبالفعل كانت توجد شخصيتان باسم ساينسبري سيل، الأولى طيبة غبية محبوبة كما ذكرت صديقاتها، والثانية امرأة مشتركة في جريمتَي قتل، كذابة اختفت بطريقة غامضة.

ونظر بوارو إلى السيد بلنت نظرة لا تنمّ في ظاهرها عن شيء ثم استطرد قائلاً: ثم تذكرت أن بوّاب مساكن الملك ليوبولد قال إن الآنسة ساينسبري سيل كانت هناك من قبل، وفي إعادة بنائي للقضية اعتبرت أن أول زيارة لها كانت الزيارة الوحيدة، فلم تترك مساكن الملك ليوبولد لأن الآنسة ساينسبري سيل الأخرى قد حلّت محلّها، وهذه الأخرى ارتدت ملابسها وانتعلت حذاء جديداً ذا إبزيم لأن الحذاء الآخر كان واسعاً، ثم ذهبت إلى فندق راسل سكوير في منتصف النهار وحزمت ملابس المرأة الميتة ودفعت الحساب وانصرفت إلى فندق غلنغوري كورت. ولم يرَها صديق من أصدقاء الآنسة سيل الحقيقية بعد ذلك، وقد قامت بدور ساينسبري لأكثر من أسبوع فارتدت ملابسها وتحدثت بصوتها، ولكنها استمرّت تلبس أحذية صغيرة، وبعد ذلك اختفت، وكانت آخر مرّة ظهرت فيها عندما دخلت مرّة أخرى مساكن الملك ليوبولد في مساء نفس اليوم الذي قُتل فيه مورلي.

فسأله أليستير بلنت قائلاً: هل تحاول أن تقول إن الجثة التي

وُجدت في الشقة كانت جثة مابيل ساينسبري سيل؟

– نعم، كانت جثّتها، وكانت اللعبة لعبة ذكية؛ فقد قُصد من تشويه الوجه التشكيك في شخصية المرأة.

– ولكن شهادة طبيب الأسنان...

فقاطعه بوارو قائلاً: لم يكن طبيب الأسنان نفسه هو الذي أدلى بالشهادة، فمورلي كان قد مات ولم يكن ليقدّم شهادة عن عمله، ولو استطاع لكشف عن شخصية المرأة الحقيقية لأن ملفّاته هي السند القانوني، ولكن الملفات زُوّرت، وقد كانت المرأتان من مرضاه، وكل ما كان مطلوباً هو تغيير الملفّات بتبديل الأسماء.

وصمت بوارو برهة ثم استطرد قائلاً: ها أنت ترى الآن ما قصدته عندما سألتني إذا كانت المرأة ميتة أم لا وأجبتك بأن هذا يعتمد على أي واحدة من ساينسبري سيل تقصد، هل هي المرأة التي اختفت من فندق غلنغوري كورت أم ساينسبري سيل الحقيقية؟

فقال أليستير بلنت: أعرف أن لك شهرة كبيرة يا سيد بوارو، لذا فأنا أوافقك على هذا الافتراض الشاذ لأنه مجرّد افتراض ولا شيء أكثر من ذلك، ولكن كل ما أستطيع أن أفهمه هو ذلك الاحتمال البعيد للموضوع برُمّته. لقد قلت إن الآنسة سيل قُتلت عن قصد وإن مورلي قُتل حتى لا يكشف عن الشخصية الحقيقية للقتيلة، فلماذا؟

– هذا ما أريد أن أعرفه، فلدينا امرأة طيبة متوسطة العمر لها أصدقاء كثيرون وليس لها أعداء، فلماذا كل هذه الخطّة الواسعة للتخلّص منها؟

- نعم، هذا هو السؤال، لماذا؟ فكما تقول كانت مابيل ساينسبري سيل مخلوقة طيبة لا تضرّ أحداً، فلماذا تُقتَل بهذه الطريقة الوحشية؟

- سوف أقول لك ما أعتقده.

- ما الذي تعتقده؟

اتكأ بوارو إلى الأمام وقال: أعتقد أن مابيل ساينسبري سيل قُتلت لأن ذاكرتها قوية بالنسبة للوجوه.

- ماذا تقصد؟

فقال هيركيول بوارو: لقد فصلنا بين الشخصية المزدوجة فعلمنا أنه توجد الآنسة الطيبة التي كانت في الهند كما توجد الممثّلة التي لعبت دورها، ولكن يوجد حادث يربط بين الدَّوْرين، فأيهما التي تحدّثت إليك على عتبة منزل الدكتور مورلي؟ لقد ادّعت أنها صديقة مخلصة لزوجتك، ولكن صديقاتها نفَين هذا الادعاء البعيد عن التصديق، إذ يمكن أن نقول إنها أكذوبة، ولكن الآنسة سيل الحقيقية لا تكذب، إذن هي أكذوبة روتها بعناية لغرض في نفسها.

فأومأ أليستير بلنت وقال: أجل، هذا تفسير واضح للغاية، رغم أنني لا أعرف ماذا كان غرضها حتى الآن.

فقال بوارو: عفواً، دعنا ننظر إليه من الناحية الأخرى. لقد كانت تلك المرأة هي الآنسة سيل الحقيقية، وسيل الحقيقية لا تكذب، إذن فالقصّة حقيقية.

- أعتقد أنه من الممكن أن تنظر إليها من هذه الناحية، ولكن هذا الاحتمال بعيد.

- أجل، هذا الاحتمال بعيد، ولكننا إذا اعتبرنا أن هذا الافتراض حقيقي فالقصة إذن حقيقية، وعلى ذلك فإن الآنسة ساينسبري سيل كانت تعرف زوجتك جيداً ولا بد أن زوجتك من النوع الذي يمكن أن تعرفه الآنسة ساينسبري سيل جيداً، أعني أنها كانت في نفس مستواها الاجتماعي، امرأة هندية إنكليزية ممثّلة، وليست ربيكا أرنهولت بالطبع.

وصمت بوارو برهة ثم استطرد قائلاً: والآن هل تفهم ما قصدته عندما تكلمت عن الحياة الخاصة والحياة العامة يا سيد بلنت؟ صحيح أنك أنت المموّل الكبير ولكنك أيضاً الرجل الذي تزوج امرأة غنية، وقبل أن تتزوجها كنت موظفاً صغيراً في شركة لا تبعد كثيراً عن أكسفورد. أنت تعرف أنني بدأت أنظر إلى القضية من الزاوية الصحيحة. إن التكاليف لا قيمة لها بالنسبة لك، كما أنك لا تهتمّ بحياة البشر لأنك كنت ديكتاتوراً لفترة طويلة، والديكتاتور تهمّه حياته أكثر من أي شيء آخر، أما حياة الآخرين فلا أهمية لها بالنسبة إليه.

فقال أليستير بلنت: ماذا تقصد يا سيد بوارو؟

فردّ بوارو بهدوء: أقصد أنك تزوجت ربيكا أرنهولت وأنت متزوج بغيرها قبل ذلك يا سيد بلنت، وقد استطعت أن تكتم الحقيقة وتُسكت زوجتك الحقيقية عن طريق المال والنفوذ.

- ومَن زوجتي الحقيقية؟

- لقد استعارت تلك الزوجة اسم السيدة ألبرت شابمان وعاشت في مساكن الملك ليوبولد، وهي منطقة قريبة من منزلك على ضفاف شلسي، كما اتخذت اسم عميل سرّي حقيقي كي تدعم موقفها وتزعم أنها متزوجة برجل يعمل في المخابرات. وقد

نجح مشروعك تماماً ولم يُثِر أي شكّ، ورغم ذلك بقيت الحقيقة، وهي أنك لم تتزوج ربيكا أرنهولت بطريقة شرعية، كما كنت مُداناً بتعدّد الزوجات. ولم تتوقّع الخطر إلا بعد عدّة سنوات، ولكن الخطر جاء فجأة على شكل امرأة مزعجة تذكّرتك بعد نحو عشرين سنة كزوج لصديقتها، وشاءت الظروف أن تعود تلك المرأة إلى البلاد وأن تقابلك في شارع الملكة شارلوت ومعك ابنة قريبتك التي صعقت مما قالته لك، وإلا لما كنت أنا قد عرفت.

- أنا الذي حدّثتك عن ذلك يا عزيزي بوارو.

- لا، لقد كانت ابنة قريبتك هي التي أصرّت على أن تخبرني، ولم تستطع أنت أن تعترض حتى لا تثير الشبهات. وبعد هذا الاجتماع وقع حادث بسيط من وجهة نظرك، حين قابلَت الآنسة مابيل ساينسبري سيل أمبريوتيز وتناولت معه الغداء وتحدّثت معه عن تلك المقابلة مع زوج صديقتها، وأظنها قالت بأنك لم تتغيّر رغم مرور كل هذه السنوات وظهور الشيخوخة عليك. هذا افتراض من عندي، ولكنني أعتقد أنه حدث، ولا أعتقد أن الآنسة مابيل ساينسبري أدركت أن بلنت الذي تزوجت به صديقتها هو محرّك السياسة المالية لأن اسمك ليس شائعاً، ولكن أمبريوتيز الذي كان يعمل في التجسّس كان محتالاً، والمحتالون يحبون الأسرار. وقد دهش أمبريوتيز عندما عرف حقيقتك، وأنا متأكّد من أنه اتّصل بك أو كتب إليك لأنك منجم ذهب بالنسبة إليه.

توجد طريقة وحيدة وفعّالة للتعامل مع محتال متمرّس كفء، وهي أن تُسكته إلى الأبد. لم تكن القضية كما صوّرتها لنفسي، وهي أنه يجب أن يختفي بلنت، بل كانت على العكس، يجب أن يختفي أمبريوتيز، ولكن الإجابة كانت واحدة، وهي أن أسهل طريقة

للتخلّص من أي رجل هي أن تهاجمه وهو بعيد عن الحراسة، وهذا يتأتى بطريقة سهلة للغاية وهو على كرسي طبيب الأسنان.

لقد ذُكرت لي حقيقة القضية في وقت مبكر، إذ كان الساعي ألفريد يقرأ قصة بوليسية عنوانها «الموت في الحادية عشرة إلا الربع»، وكان علينا أن نأخذ هذا العنوان كنذير لأنه في هذا الوقت بالتحديد قُتل مورلي. لقد أطلقت أنت النار عليه عندما كنت تغادر حجرته، ثم ضغطت الجرس وفتحت صنابير المياه وتركت الحجرة. لقد حدّدت أنت هذا الموعد كي تهبط الدرَج في نفس الوقت الذي يكون فيه ألفريد مصطحباً مابيل سيل الزائفة إلى المصعد، كما فتحت أنت الباب الخارجي، وربما كنت قد خرجت، ولكن عندما أُغلق باب المصعد وتحرّك إلى أعلى تسلّلت مرّة ثانية إلى الداخل وصعدت الدرَج. وأنا أعرف ما كان يفعله ألفريد عندما يأخذ مريضاً، فقد كان يطرق الباب ويفتحه ويتراجع إلى الخلف ليسمح للمريض بالدخول. وفي الداخل كانت المياه تنزل من الصنابير مما يوحي بأن مورلي كان يغسل يديه كالعادة، ولكن ألفريد لم يكن يراه في واقع الأمر. وعندما انصرف ألفريد إلى المصعد ذهبت أنت إلى حجرة العمليات ورفعت مع شريكتك الجثة وحملتها إلى المكتب المجاور، ثم زوّرت الملفّات وصور أشعّة أسنان السيدة شابمان والآنسة ساينسبري سيل بسرعة، ثم ارتديت معطفاً من التيل الأبيض، كما يبدو أن زوجتك قد وضعت بعض الأصباغ، ولا حاجة إلى أكثر من ذلك.

كانت تلك هي المرّة الأولى التي زار فيها أمبريوتيز مورلي، كما أنه لم يقابلك من قبل، أضِف إلى ذلك أن صورتك لا تظهر كثيراً في الصحف، كما أنه لم يكن يشكّ في شيء لأن النصّاب لا يخشى طبيب الأسنان. ثم تنزل الآنسة سيل فيأخذها ألفريد إلى

الخارج، ويُسمع صوت الجرس فيصعد أمبريوتيز فيجد طبيب الأسنان يغسل يديه خلف الباب بطريقة عادية، ثم يجلس على الكرسي ويشير إلى السنّ التي تؤلمه فتحادثه أنت بلهجة طبّية وتقول إن من الأفضل له أن يخدّر اللثة، وكانت محقنة البروكين والإدرينالين جاهزة، ثم تحقنه بجرعة كبيرة تكفي لقتله، ولحسن الحظ أنه لم يشعر بأي أعراض وهو في عيادتك، ثم يغادر أمبريوتيز العيادة دون أن يشكّ فتحرّك أنت جثة مورلي وتضعها على الأرض بعد أن تسحبها قليلاً على السجادة لأنك قد أصبحت وحيداً، ثم تمسح المسدس وتضعه في يده، كما قمت بمسح مقبض الباب كي تزيل بصماتك، وبالطبع فإن كل الآلات التي استخدمتها تمرّ على التعقيم، ثم تترك الحجرة وتهبط الدرَج وتخرج من الباب الخلفيّ في لحظة مناسبة، وتلك هي اللحظة الخطرة الوحيدة، ولكنها مرّت بسلام. ومات اثنان كانا يهدّدان أمنك، كما مات شخص ثالث لم يكن من موته مفرّ بالنسبة لك، ثم بدا الأمر أن مورلي انتحر لأنه أخطأ في حقن أمبريوتيز، وبهذا تسبب موت أحدهما في موت الآخر.

ولكن لسوء حظك أنني كنت داخل العرض، فكنت أشكّ وأعترض، ولم تمرّ الأمور بسلام كما كنت ترجو، مما استدعى وجود خطّ دفاع ثانٍ، إذن يجب أن تحدث ضجة. وكنت قد عرفت أنت أعضاء منزل مورلي بعد فترة قصيرة، ومنهم فرانك كارتر الذي كان يصلح لغرضك، فرتّبت مع شريكتك خطّة كي يلحق بوظيفة بستاني بأمر من المخابرات لأنه لو ذكر هذه القصّة المضحكة فلن يصدّقه أحد، وفي الوقت المناسب سوف تظهر جثة خزانة الفرو وسوف يظهر لأول وهلة أنها جثة الآنسة ساينسبري سيل، إلا أنهم أخذوا شهادة طبيب الأسنان فكانت فضيحة لا بدّ منها،

ولكنك لا تريد أن يبحث رجال الشرطة عن السيدة ألبرت شابمان المفقودة، إذن لتمُت السيدة شابمان وليبحث رجال الشرطة عن الآنسة سيل التي لن يجدوها أبداً، أضِف إلى ذلك أنك استخدمت نفوذك فرتّبت الأمور بحيث يتوقّف البحث في القضية، ولكنك كنت تعرف أنني أبحث في القضية فأرسلت إليّ وطلبت منّي أن أبحث لك عن الآنسة المفقودة، وأخذت تفرض عليّ البطاقة، فاتصلت بي شريكتك بطريقة مثيرة وحذّرتني وردّدت نفس الكلام، التجسس والجانب العام للقضية. إن زوجتك ممثّلة بارعة، ولكن كي تغيّر صوتك فمن الأفضل أن تقلّد صوتاً آخر غير معروف. لقد قلّدت زوجتك صوت السيدة أوليفيرا مما جعلني أشكّ إلى درجة كبيرة.

وابتسم بوارو ثم استطرد قائلاً: وفي يوم الأحد أتممت الفصل الختامي في المسرحية، وكان من السهل أن تُلقوا مسدساً محشواً وسط الأحراش كي يطلقه أحد الأشخاص المختبئين، ثم يُلقى المسدس تحت أقدام كارتر ليلتقطه. وماذا تريدون أكثر من ذلك؟ لقد قبضتم عليه متلبّساً بقصّة مضحكة ومعه مسدس يشبه المسدس الذي قُتل به مورلي.

فتحرّك أليستير بلنت قليلاً على كرسيه وقد بدا وجهه حزيناً ثم قال: لا تُسئ فهمي يا سيد بوارو. لكن أكمل، إلى أين وصلت افتراضاتك وإلى أي مدى وصلت معلوماتك؟

فقال بوارو: لدي شهادة زواج من مكتب التوثيق القريب من أكسفورد، والشهادة تُثبت زواج السيد مارتن أليستير بلنت بغردا غرانت، وقد رأى فرانك كارتر رجلين يتركان حجرة عمليات مورلي بعد الثانية عشرة وخمس وعشرين دقيقة، وكان الأول هو

أمبريوتيز والثاني هو أنت طبعاً، ولكن كارتر لم يتعرّف عليك لأنه رآك على عجل.

- يا لك من إنسان ذكي!

- وذهب كارتر إلى حجرة العمليات فوجد جثة مورلي فارتعدت فرائصه، وكانت الدماء الجافة تحيط بالجرح، ومعنى هذا أن مورلي كان قد مات منذ فترة، كما أن طبيب الأسنان الذي كان يفحص أمبريوتيز لم يكن مورلي وإنما كان قاتل مورلي.

- هل لديك شيء آخر؟

- نعم، لقد أُلقي القبض على هيلين مونتريسور هذا المساء.

فاضطرب أليستير بلنت بعنف ثم جلس صامتاً وقال: وهذا يفسد كل شيء.

فقال بوارو: أجل، إن ابنة عمّك هيلين مونتريسور الحقيقية ماتت منذ سبع سنوات في كندا، وقد أخفيت أنت النبأ واستفدت من موتها.

فابتسم أليستير بلنت وتحدث بطريقة طبيعية وقد بدت عليه فرحة الأطفال وقال: لقد خرجت غردا من هذا الموضوع بلا شيء، وسأشرح لك كل شيء أيها الصديق الذكي. لقد تزوجتها دون أن يعلم أهلي لأنهم كانوا محافظين، وكانت تعمل بالتمثيل في حين كنت أعمل أنا بالشركة، واتفقنا على أن نُخفي أمر زواجنا، واستمرّت هي في التمثيل. وكانت مابيل ساينسبري سيل تعمل معي في الشركة فعلمت بالخبر، ثم سافرت إلى الخارج مع شركة سياحية، وقد سمعت غردا عنها مرّة أو مرتين حينما كانت في الهند، ثم توقّفت عن الكتابة إليّ واختلطت مع بعض الهنود. لقد

كانت فتاة غبية وساذجة دائماً.

أودّ أن أحكي لك عن مقابلتي بربيكا. إن زواجي بربيكا معناه أنني سأتزوج بملكة وسألعب دور الأمير أو ولي العهد أو الملك. وقد كنت أنظر إلى زواجي بغردا على أنه مغامرة عاطفية، ولكنني كنت أحبها ولم أكن أريد التخلّص منها. وسارت الأمور بطريقة ممتازة، فأحببت ربيكا ذات العقلية المالية الرائعة، وقد كنا ممتازَين كفريق عمل. وأعتقد أنني أسعدتها، وقد حزنت عليها حزناً بالغاً عندما ماتت، ولكن الغريب في الأمر أنني وغردا كنا نستمتع بأعمالنا السرّية، وقد كانت ممثّلة بالفطرة فمثّلت سبع أو ثماني شخصيات، منها شخصية السيدة ألبرت شابمان، كما مثّلت دور مطلّقة أمريكية في باريس حيث قامت ببعض الأعمال، كما اعتادت أن تذهب إلى النرويج كرسّامة، وقد ذهبت لمقابلتها هناك على أساس أنني مسافر لصيد السمك، وبعد ذلك زعمت أنها ابنة عمي هيلين مونتريسور، وكنا نستمتع بهذا كثيراً.

كان من الممكن أن نتزوج بصفة رسمية بعد موت ربيكا، ولكننا لم نحب ذلك لأنه من الصعب على غراد أن تشاركني حياتي الرسمية، كما أن شبح الماضي يمكن أن يظهر، إلا أنني أعتقد أن السبب الرئيسي هو استمتاعنا بسرّية الموضوع لأننا كنا سنجد الحياة العادية مملّة.

ثم أفسدت تلك المرأة الملعونة كل شيء. لقد تعرّفت عليّ بعد كل هذه السنوات وأخبرت أمبريوتيز، وأنت ترى أن الأمر لم يكن متعلقاً بي لأن العار لو مسّني فسيمسّ بريطانيا كلها، وكذلك لأنني قدّمت شيئاً لإنكلترا يا سيد بوارو، فقد حافظت عليها وعلى تماسكها، فهي الآن حرّة من المستبدّين من الفاشية والشيوعية.

أنا لا أهتم بالمال في حدّ ذاته وإنما أهتم بالسلطة، أحب أن أحكم، ولكنني لا أحب أن أظلم. نحن ديمقراطيون في إنكلترا وباستطاعتنا أن نزمجر ونقول ما نعتقده ونضحك على ساستنا، نحن أحرار، وأنا أهتم بهذا كله، ولكنني إن اختفيت فأنت تعلم ما سيحدث. إن إنكلترا تريدني يا سيد بوارو، وذلك اليوناني الملعون المزوّر المحتال كان يريد أن يدمّر حياتي، وكان لا بدّ أن نفعل شيئاً، وقد رأت غردا الخطر معي.

لقد حزنّا على الآنسة سيل، ولكن كان لا بدّ أن نُخرسها؛ فلم يكن من الممكن أن تكتم الأسرار، فذهبت غردا إليها ودعتها إلى تناول الشاي وقالت لها: "اسألي عن شقّة السيدة شابمان لأنني أعيش معها"، وجاءت مابيل سيل دون أن تشكّ في الأمر، وقد وضعنا الميدنال في الشاي، والميدنال لا يؤلم، فهي تنام ولا تستيقظ مرّة ثانية، ثم حطمنا وجهها لأن ذلك كان ضرورياً. ثم اختفت السيدة شابمان، وأعطيت لابنة عمّي هيلين منزلاً صغيراً لتسكن فيه، وقد قرّرنا أن نتزوج بعد فترة، ثم تخلّصنا من أمبريوتيز الذي لم يشكّ في أنني طبيب الأسنان الحقيقي. لقد جهّزت المخدّر بعناية رغم أنني لم أستخدم الحفار من قبل، وبعد التخدير لم يشعر بأي شيء.

- وماذا عن المسدسين؟

- كانا ملكاً لسكرتير لي في أمريكا، وقد أحضرهما معه من الخارج، وعندما ترك بلادنا نسي أن يأخذهما معه.

ومرّت فترة صمت ثم سأله أليستير بلنت قائلاً: هل تريد معرفة شيء آخر؟

فقال هيركيول بوارو: وماذا عن مورلي؟

فقال أليستير بلنت ببساطة: لقد كنت حزيناً على مورلي.

فقال هيركيول بوارو: أجل، أنا أرى...

ومرّت فترة صمت طويلة ثم قال بلنت: حسناً يا سيد بوارو، ماذا عن هذا الموضوع؟

فقال بوارو: لقد قبضنا على هيلين مونتريسور.

- والآن جاء دوري، أليس كذلك؟

- هذا ما أريد أن أقوله.

فقال بلنت بهدوء: ولكنك لست راضياً عن ذلك، أليس كذلك؟

- بلى، لست راضياً.

فقال أليستير بلنت: لقد قتلت ثلاثة أشخاص، لذا فمن المحتمَل أن أُشنق، ولكنك سمعت دفاعي.

- وما هو بالضبط؟

- أنا أعتقد اعتقاداً جازماً أنني ضروري لحفظ سلام وبقاء البلاد.

فردّ بوارو قائلاً: ربما كان هذا صحيحاً.

- هذا معناه أنك توافقني، أليس كذلك؟

- أنا أوافق بالطبع، فأنت تحافظ على كل القيم التي أعتبرها ضرورية مثل التوازن والاستقرار والعقلانية والمعاملة الحسنة.

فردّ أليستير بلنت بهدوء قائلاً: شكراً. حسناً، وماذا عن هذا الدفاع؟

- هل تقصد أن أترك القضية؟

- نعم.

- وماذا عن زوجتك؟

- إن لديها قدرة كبيرة على التخفي.

- وإذا رفضت فماذا سيحدث؟

فقال أليستير بلنت: سأُشنق.

وصمت برهة ثم استطرد قائلاً: الأمر في يدك يا بوارو، ولكنني أودّ أن أقول لك، وليس قولي هذا دفاعاً عن النفس، إن هذا العالَم يريدني. هل تدري لماذا؟ لأنني رجل شريف وذكي.

فأومأ بوارو وقال: أجل، هذا جانب من الموضوع. أنت الرجل المناسب في المكان المناسب؛ فعندك العقل والاتزان، ولكن يوجد جانب آخر، وهو أنك قتلت ثلاثة أشخاص.

- أجل، ولكن فكّر فيهم، مابيل ساينسبري سيل كانت امرأة غبية كما قلت بنفسك، أما أمبريوتيز فكان محتالاً ونصاباً.

- وماذا عن مورلي؟

- قلت لك من قبل إنني حزنت على مورلي، وعلى أية حال فلم يكن إلا شخصاً لطيفاً وطبيب أسنان ناجحاً، ويوجد أطباء أسنان آخرون.

- وماذا عن فرانك كارتر؟ هل ستتركه يُشنق دون أن تندم؟

فقال بلنت: أنا لا أشفق عليه لأنه إنسان قذر.

فقال بوارو: لكنه بشر.

- نحن جميعاً بشر.

- أجل، نحن جميعاً بشر وهذا ما تسميه أنت. لقد قلت إن مابيل سيل كانت امرأة حمقاء وأمبريوتيز شرّير وفرانك كارتر قذر، أما مورلي فقد كان طبيب أسنان ويوجد غيره كثيرون، أما بالنسبة لي فأنا أعتبر حياة كل فرد من هؤلاء بنفس درجة أهمية حياتك.

- أنت مخطئ.

- لا، لست مخطئاً. في داخلك يكمن حبّ السلطة ويزداد يوماً بعد يوم، لذا فقد ضحّيت بأربعة أشخاص واعتبرت أن لا أهمية لهم.

- ألا تعتقد أن أمان الأمة بأسرها وسعادتها تعتمد عليّ يا بوارو؟

- أنا لا أهتم بالأمم يا سيدي، بل أهتم بحياة الأشخاص العاديين الذين لهم حق الحياة.

فقال أليستير بلنت: إذن هذا هو ردّك؟

فقال هيركيول بوارو بصوت متعَب: نعم، هذا هو ردّي.

ثم اتجه ناحية الباب وفتحه فدخل رجلان من الشرطة، ونظر هيركيول بوارو إلى حيث كانت توجد فتاة تنتظر. كانت جين أوليفيرا تقف بجانب المدفأة ووجهها شاحب مضطرب وبجوارها هوارد ريكس، ثم قالت: ماذا حدث؟

فقال بوارو بهدوء: لقد انتهى الموضوع.

وقال ريكس بخشونة: ماذا تقصد؟

فقال بوارو: لقد قبضنا على أليستير بلنت بتهمة القتل.

فقال ريكس: لقد تصوّرت أنه قد اشتراك بماله.

فردّت جين قائلة: أما أنا فلم أتصوّر ذلك قطّ.

فتنهد بوارو وقال: العالم ملككم، السماء الجديدة والأرض الجديدة، فانشروا الحرّية والرحمة في عالمكم الجديد يا أبنائي. هذا كل ما أريده.

* * *

الفصل التاسع

عاد بوارو إلى منزله سائراً في الشوارع المهجورة، فلحق به السيد بارنز، فهزّ هيركيول بوارو كتفيه وبسط ذراعيه فقال بارنز: أي طريق سلك؟

- لقد اعترف بكل شيء وطلب الرحمة قائلاً إن وطنه يحتاجه.

وبعد هنيهة استطرد قائلاً: ألا تعتقد ذلك؟

- بلى، أعتقد ذلك.

- حسناً، قد نكون على خطأ.

فقال بارنز: لم أفكّر في ذلك. ربما.

ومشيا قليلاً ثم سأله بارنز بشغف قائلاً: فيمَ تفكر؟

فقال هيركيول بوارو وهو يفكّر: إن الغرور من أكبر الآثام.

فقال بارنز: هذا هو تفسير الموضوع.

وسارا قليلاً ثم قال بارنز: سوف أركب الحافلة من هنا. إلى اللقاء يا بوارو.

وسكت برهة ثم قال وهو يشعر بالحرج: أريد أن أقول لك شيئاً.

- ماذا تريد أن تقول يا صديقي؟

- لقد أخطأت في حقك وضلّلتك دون قصد... أعني بشأن ألبرت شابمان، أو «كيو إكس رقم ٩١٢».

- ماذا؟

- أنا ألبرت شابمان، وهذا هو السبب الذي جعلني أهتمّ بالموضوع؛ فأنا لم أتزوج قط طَوال حياتي.

ثم أسرع الخطى وهو يضحك. ووقف بوارو جامداً كالحجر وقد اتسعت عيناه وارتفع حاجباه، ثم انطلق إلى منزله.

* * *

(تمت)